الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

القلم الجديد

Pênûsa nû

دورية
أدبية
ثقافية
فكرية
مستقلة

تأسست في 22 نيسان 2012

السنة السادسة - العدد (70) // آذار / مارس - 2018م

رئيس هيئة التحرير: خورشيد شوزي
نائب رئيس التحرير: د.محمود عباس

كلمة العدد

د. محمود عباس

استيقظي يا أمتي نحن في متاهة

الأسباب عديدة، والعوامل متنوعة، والنتيجة واحدة، نحن في أوهن حالة، وعلينا أن نستيقظ من الغيبوبة شبه الأبدية، والمدامة عقوداً إن لم تكن قروناً، فبعد أن كنا نسود كإمبراطورية، أصبحنا أمة بلا تاريخ، وشعب بلا وطن، وديمغرافية بلا جغرافية، سرقت منا روحانيتنا، ونهبت ممتلكاتنا، وهمشت لغتنا، وأصبحنا بلا ماض، وفُتاته الباقي فُبرك وشوّه وحرّف أو سرقه الآخرون، وتحولنا إلى أمة متناحرة فيما بينها، وهذا يجرف حراكها إلى المتاهات، ومن ضمنها الإذعان للإملاءات، فيجبر على اعتبار التبعية دبلوماسية مناسبة، وفي هذا الوضع يفقد بوصلته لبلوغ الغاية، وأية غاية؟ تلك التي لا تزال متمرغة ضمن جدالات عقيمة، لم يتفق عليها حتى اللحظة طرفان كردستانيان، ويتأنى منها الشارع الكردي أكثر من حراكه، ومثله الشريحة الواعية المنفية من الساحة.

وهذا يؤدي إلى التقاتل فيما بيننا، فينسينا الأعداء، ويطيب لنا خدمة الآخرين، ونعمل من أجل قضيتنا بخجل وتنتابنا الحيرة والتردد، تتقدمنا الأخطاء، ليصيدها الأعداء، ويغيّب عنا ما يكيده لنا المتربصون، وهذا ما يزيد من لوم بعضنا البعض. ناهيكم عن تقزيم أحدنا للآخر، وما يزيد الطين بِلّة أن معظم ما نقوم به تنتهي بلا نتيجة، إن لم تكن بكارثة.

ليس شماتة بحراكنا، فهي مسلوبة الإرادة، ولا إضعافاً لمعنوياتنا، ولا تصغيراً لقادة ضحوا، لكننا في سبات، فنحن أمة جديرة بنيل حريتنا، يدرك المقتسمون هذه الجدلية، لذا يحدون من مجموعات حراكنا الكردي المكافح من أجل إشاعة الديمقراطية، متجنبين، بقدر الإمكان، الاقتراب من ديمقرطة المنطقة، لأنها ستزيد من فرص استقلال كردستان.

لا تخفي القوى الإقليمية غاية تحالفاتها السياسية، المرتبطة بظهور كردستان أو عدمه، فيقفون وبشكل واضح وتحت حجج متنوعة في وجه صعودنا، يدركون أن الأمة التي حافظت على ذاتها ولغتها وخصوصياتها رغم كل ما جرى في القرون الماضية، جديرة بكردستانها، وإمكانياتها كافية لتحقيق هذا الهدف في الأجواء الديمقراطية، لكن هذه الجدلية بدون تكامل العامل الذاتي ستنجرف لصالح الأعداء، لذا يعملون المستحيل للنخر في حراكنا السياسي، فيتطلب منه (الحراك) إعادة النظر في نهجه المتبع لحل هذه المعضلة، على الأقل التفاهم والاتفاق على نقاط التقاطع، وهذا بحد ذاته الحد الأدنى، فبدونها إمكانياتنا كأمة ستظل مشتتة، وستظل أحزابنا تحت أجندات القوى الإقليمية، ولن نبلغ غايتنا مهما كانت الأجواء ديمقراطية، بل في حضورها ومع تشتتنا نعطي الأعداء كل المبررات لديمومة استعمارها، وواقعنا الذاتي الجاري تفضح الحقيقة المرة، وهي إننا أمة إما دون سوية كردستان أو في غيبوبة. .... ص (2) ....

سقوط عفرين ... وكرد ستانيو تركيا !!!

كمال أحمد

بقراءة متأنية، لمجريات أحداث الغزو التركي لمنطقة عفرين، يتبين جلياً، وبكل وضوح، ودون أي لبس أو غموض، حقيقة ناصعة، تشير إلى المايسترو، "السمسار الانتهازي" الذي إستغل ضعف، وتردد، وخنثاة، أوباما، ليتمكن في غفلة من الزمان، أن يستغل ضعف النظام السوري، والذي كان على مشارف السقوط والإنهيار، بتارخ 2015/09/30 م، هذا النظام، الذي كان مستعداً لمقايضة سوريا، أرضاً وشعباً، وكرامة، بجغرافيتها، وديموغرافيتها، ولبيعها، لمن يضمن له مقاليد الأمور، وبقاءه في السلطة، هذا المايسترو، "السمسار الإنتهازي" كان السيد فلاديمير بوتين، هذا الرفيق الشيوعي، ضابط ال".k.g.b" السابق الذي إستغل الفترة الإنتقالية بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي، وفي ظل المهرج "بوريس يلتسين"، الذي قاد تلك المرحلة، بكل إرتكاباته وفضائحه وفساده، هذا "الفلاديمير بوتين" وهو من سكان "بطرسبرغ" أي لينينغراد حالياً، ورث من ابن مدينته، القيصر نيكولاس الثاني، وآخر قياصرة روسيا قبل الثورة البلشفية، والذي أعدم هو وعائلته على أيدي البلاشفة ليل 16-17 /يوليو 1918م مما أسدل الستار على حكم عائلة رومانوف الذي استمر لثلاثة قرون..... ص (3) ...

تركيب إلى أين؟

جان كورد

استقبل السيد رجب طيب أردوغان، الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في زيارته الأخيرة إلى أنقره لحضور القمة الثلاثية بينه وبين الرئيس التركي والرئيس الايراني، استقبال سلطانٍ عثماني لقيصر روسي، ورحّب بالرئيس حسن روحاني استقبال الأخ لأخيه، وفي هذا تناقض فظيع فيما تفعله وتقوله الرئاسة التركية كما يظهر للعيان.

الرئيس التركي المسلم السني الذي لا يخفي طموحه لزعامة العالم الاسلامي بأسره، ويبدو كمجاهدٍ في ساحات الوغى ضد السيطرة الاستعمارية في المنطقة ويتوعّد ويهدد كل يوم شرقاً وغرباً بصدد الموقف المعلن من قبله ضد اسرائيل ومن وراءها من القوى العظمى ويتباكى عندما يتحدث عن مأساة الشعب السوري المسلم وكان يرسم الخطوط الحمراء، كلما أوغل نظام الأسد في حربه على الشعب السوري، فإنه يستقبل بحفاوةٍ لا مثيل لها في تاريخ تركيا بوتين الذي لم يدع مدينة للمسلمين السوريين إلاّ وقصفها ودمرها تدميراً، وهو الذي أعاق عدة مراتٍ متتالية اتخاذ أي قرارٍ بمعاقبة نظام الأسد في مجلس الأمن الدولي من خلال ممارسته حق الفيتو ضد كل المشاريع الدولية لرد العدوان عن الشعب السوري ولتحقيق سلامٍ دائم في سوريا. ولا يكتفي السيد أردوغان بالتحالف مع بوتين وإنما يشتري منه الأسلحة والصواريخ الخطيرة ويتحالف معه تحت ذريعة "اتفاق الدول الضامنة للسلام في سوريا". ... ص(6)...

الكرد ولعبة الدول الكبرى

بيار روباري

الأحداث الأخيرة الكبرى، التي شهدتها كردستان بأجزائها الأربعة، تؤكد وبشكل قاطع بأن الكرد ليس لهم حلفاء في هذا العالم، وأن القضية الكردية رهينة بيد الدول الكبرى، وهي من تقرر مصيرهم، والكرد لا حول لهم ولا قوة. وهذه الدول تتاجر بقضيتهم مرة أخرى عندما إستخدمتهم كوقود في حربهم ضد تنظيم داعش، الذي كان يسعى لبسط نفوذه على المنطقة برمتها، وفرض أيدلوجيته الإسلامية الراديكالية، على قاطنيها من الكرد والعرب وسواهم. ولم يكن يهدف إلى قتل الكرد وإقتلاعهم وبدليل أنه سيطر على مناطق كردية إسلامية ولم يتعرض لهم، وإنما تعرض للمكونات الغير إسلامية كالكرد الأيزيديين والمسيحيين القاطنيين في هذه المنطقة، إضافة للغربيين العاملين فيها أيضاً، لأسباب عقائدية خاصة بهم.

ونتيجة قيام تنظيم داعش بتفجيرات في العديد من الأوروبية، وقتل مواطنيها بوحشية لا نظير لها في كل من سوريا والعراق، وتهديد مصالحه في هذين البلدين، حول الغرب إهتمام من مقارعة النظام الأسدي، الذي إنتفض في وجهه الشعب السوري برمته بآذار عام 2011، مطالباً بإسقاطه ومحاسبة المسؤولين عن قتل المواطنين السوريين الأبرياء. فهنا وجد الغربيين وعلى رأسهم ضالتهم في الكرد، وأعني بذلك مقاتليهم. وهنا يجب أن نميز بين الكرد "العراقيين" و "السوريين". ... ص (9)....

هل الكرد أمام مذبحة مفتوحة حتى مئة سنة قادمة

إبراهيم اليوسف

لطالما نظر الكثيرون من شركاء الكرد في المنطقة، من عرب، وترك، وفرس، إليهم، بعيد التعاطف الدولي الذي تم أعقاب مجازر الأنفال وحلبجة آذار 1988، ومن ثم الهجرة المليونية في العام 1990، على أنهم المحظوظون لدى الغرب، على نحو عام، ولدى أمريكا، على نحو خاص. إذ إن كلاً من الراحلة دانيال ميتران- زوجة الرئيس الفرنسي الأسبق ميتران- ومادلين أولبرايت- وزيرة الخارجية الأمريكية في أواخر القرن الماضي- عنتا على نحو خاص بالخلاف بين الحزبين الرئيسين في الإقليم: الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، حيث تمت المصالحة بين هذين الطرفين، عبر اللقاء التاريخي بين الرئيسين مسعود بارزاني والراحل جلال طالباني في العام 1998 في واشنطن على يدي وزيرة خارجيتها، لتتم مرحلة جديدة في تاريخ إقليم كردستان، كان من آثارها نشوء نهضة عمرانية، ونقلة حضارية في الإقليم، ناهيك عن تشكيل مقومات دولة حقيقية، لافتة لأنظار العالم كله. لم يتغير في الكرد شيء، فهم أنفسهم من تعرضوا للظلم التاريخي، إلا أن أمريكا ... ص (2)...

وأنا أيضاً كنت طائفياً!

ميخائيل سعيد

نعم، كان في خلفية اختياري "للمعبطلي"، كمكان للتعليم، موقف طائفي، مهما حاولت تجميله وتبريره فيما بعد.

أعطاني "الموجه التربوي"، في مديرية تربية حلب، عدة أوراق فيها قوائم بأسماء قرى الريف الحلبي، التي في مدارسها "شاغر" أو أكثر، يعني ينقصها معلم. حملت الأوراق وذهبت إلى فندقي في "بستان كليب". كان نزلاء الفندق من فقراء سورية، فأجرة السرير ليرة سورية واحدة، ومن غير المحتمل أن ينتحل غني صفة الفقر، كي يأتي إلى مكان مثل هذا لممارسة "الصراع الطبقي" مع صبية ما. كان بعض النزلاء يتسامرون مع بعضهم في بهو الفندق، فطلبت منهم مساعدتي في اختيار أي قريةٍ يرد اسمها أثناء قراءتي للقائمة، تكون قريبة من حلب ويمر بها طريق إسفلتي.

كانت منطقة عفرين في مقدمة القائمة. قرأت عدة أسماء، إلى أن وصلت إلى قرية "المعبطلي"، وهنا تدخل شخصان من الحاضرين لتحذيري من اختيار هذه القرية، وعندما سألتهما، لماذا هما ضد اختيار "المعبطلي"؛ قالا: سكان هذه القرية يشربون الكحول، ولا يوجد جامع في القرية، وسكانها غير مسلمين. قلت: ما هو دينهم إذاً؟ قال أكبرهما سناً: "إنهم علويون". وكانت المرة الأولى التي أسمع فيها أن هناك أكراداً علويين، فقررت التوقف عن البحث؛ لقد اخترت "المعبطلي".

عندما أعود إلى الماضي لتفسير موقفي ذلك، لا أجد إلا تفسيراً واحداً مقبولاً، ألا وهو أنني أعرف العلويين أكثر من غيرهم، السنّة في المدينة ودار المعلمين لم يكونوا أصدقائي، فمشتركاتنا قليلة، مقارنة مع مشتركاتي مع علويي حمص؛ فهم جيران طفولتي ... ص (2)...

تتمـــة:
استيقظي يا أمتي نحن في متاهة

معظم الحركات السياسية والثقافية في الشعوب الحية عند السقوط تبحث عن وحدة أمتها، وترفع من معنوياتها، وآخر ما تفكر به هي الشماتة بالمخالف له من أبناء جنسه أمام الأعداء، ولا يتهاون معهم (الأعداء) مهما قدموا من المسوغات، عند تبييض بشائعهم، أو التغطية على جرائمهم، إلا نحن الكرد، ورغم أنهم يدركون أن الجاري بينهم، هي نتيجة ترسبات إملاءات المربعات الأمنية الماضية، ومن الجدير بهم التخلص من النهج المتبع، إلا أنهم لا يزالون مستمرين على الدروب ذاتها بشكل أو آخر، تبررها بعض الأطراف بأبجدية الحوارات السياسية مع القوى الإقليمية.

حراكنا يحتاج إلى تنقية الذات من الماضي السياسي المشؤوم، المبني على جدلية التعامل بين الضعيف والقوي، وتبعيتهم للأنظمة الشمولية المستعمرة لكردستان، علاقة السيد والموالي، فالحراك الكردي في النهاية غايتها التحرر، وسوف لن ترقى إلى سوية حوارات مع وزارت أو مؤسسات سياسية دولية، إلا إذا ارتقينا بتعاملنا بين بعضنا إلى أبعاد حضارية وديمقراطية، وخلقنا معاً قوة مشتركة تعكس قدرات شعبنا الكردي.

خدمنا ونخدم الآخرين بتفاني، ونجد لها مبررات.

أليس غريباً، لا الشيوعيون الكرد كانوا كشيوعيي العالم، ولا أئمتنا المسلمون كأئمة العالم، ولا أمميونا كأممي العالم، ولا وطنيونا كوطنيي الآخرين، ولا طوباويونا كطوباويي الناس، ولا حتى انتهازيونا كإنتهازيي البشر الآخرين. استفاد الأعداء من جل خدماتهم الوطنية، لأخطاء ساروا عليها، فانتشت قدر شعبهم الكردي الضائع، فهل حراكنا في ضياع، أم أمتنا في غيبوبة؟! فمتى سنستيقظ؟

موسى عندما كلمه الله تباهى ورفع من مقام الأمة اليهودية إلى مصاف أمم العالم، ووصفهم وعلى لسان ربه بالشعب الله المختار، ومحمد أفاد العرب تحت عباءة الإسلام وبرسالة من الله، خير أمة أخرجت للناس، وعظَم من مقام اللغة العربية لتصبح لغة أهل الجنة، أما نحن الكرد، أرتقت قليلاً بعض حركاتنا السياسية، فبدل أن ترفع من معنويات أمتها وذلك بحثها للتخلص من الاحتلال، فمن أولويات ذلك العمل على التقارب بين أطرافها المتناثرة، عادت بالقهقري في مطالبها إلى درجة التسول، فارتفع مقام الآخرين على حساب تراجعنا، وهذا صدى سذاجتنا وبساطة تفكيرنا. ورب الحقيقة هو الانتصار الأهم لأعدائنا.

وما حدث لنا في الشهور الأخيرة خير مثال، بعد أن كنا على كل لسان، وكان العالم يهتم بنا، خسرنا المكتسبات، وحلت بنا الكوارث، ضاعت كركوك والمناطق المتنازع عليها، ومنطقة عفرين، بل غربي الفرات، وقطع علينا الطريق إلى البحر، المتنفس الوحيد المأمول الخروج منه إلى العالم الخارجي دون المرور من تحت خيم الأعداء. تاريخنا مليء بالنكسات والخسائر، أو بالأحرى لم ننتصر حتى اليوم، ولهذا ليس لنا وطن، وإن كان هناك شيء من هذا القبيل، فقد جنى ويجني ثمارها غيرنا، وهي التي أعطتهم القوة اليوم والبارحة، وقد يكون غداً، ليسودوا علينا، وينهبوننا، ليس فقط مادةً بل عزة وثقة بالذات، رغم أن الثقة بدون معرفة جهالة مثلما المعرفة بدون الثقة جبن، يخلق التردد، وهذا بدوره يؤدي إلى القرارات الخاطئة، بل وتؤدي إلى نتائج كارثية أحياناً، كالمذكور سابقاً.

فعلينا أن نعي أن نجاح الأعداء لا ينحصر في قدراتهم على تسخيرنا لأجنداته، بل في توسيع شرخ الصراع بيننا ودفعنا لاتهام البعض بالخيانة، وفي إسقاط بعض الأطراف من الحراك الكردستاني في مستنقع التبعية، وبدل أن نتحاور ضمن مؤتمرات على ما أصابنا، نلهي الشعب بصراعاتنا، ونبعدهم عن معرفة القوى التي تمكنت من تقزيمنا واستخدامنا كأدوات، والغريب أن الشرائح العاملة على تصحيح هذا النهج الخاطئ، أو مساعدة الشعب لإيقاظه من سباته، يلغى من الجغرافية الوطنية، فلا مكان لمن لا يزيد من دوامة التهم والتهجم على البعض، وهذا هو الأكسير الذي يموله لنا العدو بشكل دائم وبدون مقابل.

لا شك، الأخطاء سادت على مخططات كل من حاول تقديم خدمة للوطن، وفي جميع مراحل التاريخ، هذه هي طبيعة الإنسان، فليست هنا تكمن الطامة، بل في عدم استيعابنا لتجارب ماضينا، وعدم تعلمنا من خساراتنا. فمن سيوقظ هذه الأمة، ما دمنا كحراك مستمرين في متاهاتنا؟

تتمـــة:
هل الكرد أمام مذبحة مفتوحة حتى مئة سنة قادمة

والغرب اللذين وقفا إلى جانبهم، في مطلع تسعينيات القرن الماضي، وتم فرض الحظر الجوي على العراق ما جعل إقليم كردستان يستفيد من الحماية الدولية، بل ولم تساوم أمريكا حتى على قنديل- المركز العسكري لحزب العمال الكردستاني- عندما طلبت منها تركيا القضاء على قوات "ب ك ك" المتمركزة فيها، كما فعلت مع التنظيمات الإسلامية القاعدية فيها ك"أنصار الإسلام وجند الإسلام- كشرط للموافقة من قبلها للانطلاق لضرب بغداد في العام 2003، فإنهما من ساوما على إقليم كردستان بعيد استفتائه الذي تم في أيلول 2017، حيث تم إطلاق يدي الحكومة المركزية ضده، ما أدى إلى نكسة كركوك، عبر ضمها إلى حكومة المركز، بالرغم من أن الكرد يرون فيها قلب كردستان، على حد تعبير الراحل الملا مصطفى البارزاني.

كان تخلي أمريكا على نحو خاص، والغرب على نحو عام، عن إقليم كردستان رسالة واضحة إلى حزب الاتحاد الديمقراطي الذي أقام ثلاث كانتونات في كل من "قامشلي- عفرين- كوباني"، إذ تعرض هذا الأخير لغزو داعش الذي دمر مركز مدينة كوباني، ليكون كانتونا الجزيرة وعفرين رئتين لهذا الحزب، بعد ما ألحق بالمدينة المنكوبة من شلل عام، وتهجير شبه كامل لأهل المدينة وأريافها، وفي ظل غياب أي بريق أمل بإدراجها ضمن لوائح المدن التي تنتظر إعادة إعمارها، حيث لسان أهلها: لا بواك لنا..!

لم يلتقط الاتحاد الديمقراطي رسالة إدارة الأمريكان ظهر المجن لكرد الإقليم، إذ عاشوا على أمل أن يكون التعامل مع ملفهم في سوريا، على نحو خاص واستثنائي، من دون أن يحصلوا على أية وعود موثقة- كما يبدو- وإن كانت الدوائر الغربية التي اهتمت بهذا الحزب- لاسيما في واشنطن- لم تدع مجالاً للاستطراد بالحديث خارج ملف محاربة الإرهاب، بينما راح الاتحاد الديمقراطي ينفذ كل ما يخطط له هؤلاء، في التوجه إلى مدن: الرقة- منبج..إلخ، خارج محيط كانتوناتها الكردية، ما أدى إلى تكبد آلاف الأرواح، إلى أن تم إلحاق الهزيمة بتنظيم داعش، بالتعاون مع القوى الدولية المعنية، وهو ما عرض الاتحاد الديمقراطي إلى حالة استعداء من قبل نسبة كبيرة من أبناء تلك المدن التي ساهم في تحريرها من داعش، بل إن منهم من راح يعمم موقفه من الكرد السوريين، وهو ما بدا على الصعيدين الشعبي والنخبوي من قبل شركاء الكرد هؤلاء.

وبالرغم من أن حزب "ب ي د" لم يضع من ضمن استراتيجته إنشاء دولة قومية، بل راح ينادي بفكرة "أخوة الشعوب" التي رفضها المختلفون معهم من الكرد، ورأوا فيها مؤامرة على القضية الكردية، فإن أوساطاً واسعة من السوريين استشعرت خطرهم، ورأت في هذا الشعار مجرد قناع، ومرد هذا الموقف هو أن المنتمين إلى هذه الأوساط كانوا قد تربوا على ثقافة ألا يكون الكردي إلا تابعاً لهم، لا يمتلك أية أدوات القوة، ناهيك عن أن من بينهم من رأى في محاولة قمع الاتحاد الديمقراطي للمظاهرات السلمية التي كان ينظمها الحراك الشبابي، في بدايات الثورة السورية، بالإضافة إلى هيمنته على المناطق الكردية دونما أية مواجهات مع النظام السوري دليلاً على التعاون بينهما، وإضعاف مواجهة النظام، بالرغم من أن ذلك التفاهم بين النظام و"ب ي د" لم يكن في حقيقته إلا عابراً، فقد راح يعمل كل منهما لمصلحته، إذ رأى النظام في "ب ي د" أنه لن يشكل أي خطر كبير، أنى استطاع الإجهاز على الثورة، بينما راح الاتحاد الديمقراطي يرى في النظام ساقطاً، وقد آن الأوان ليجني ثمار الحركة الكردية في سوريا والتي لم يكن له فيها أي حضور فعال قبل الثورة السورية.

من هنا، فإن ما بناه شباب الحراك الثوري، ومن ثم بعض الأحزاب الكردية التقليدية والمستقلين الذين لا يلتقون مع الاتحاد الديمقراطي سرعان ما تداعى، ولم يبد له أثر، بالرغم من حجم التضحيات الكبيرة التي بذلوها، إذ لايزال مصير الكثيرين من الناشطين الكرد الذين اعتقلوا في بدايات الثورة مجهولاً، ناهيك عن اغتيال الكثيرين منهم، من قبل النظام، أو أدواته، وصار ينظر للكرد في سوريا بريبة كبيرة، وهو ما غذته بعض وسائل الإعلام المغرضة، بالإضافة إلى بعض الجهات الممولة للمعارضة وفصائلها العسكرية- لاسيما تركيا- إذ تم الاستعداء على الكرد، وتشويه صورتهم، وهو ما أظهرته بعض الفيديوات التي تسربت، وكان عناصر الجيش الحر ينحرون كردياً، أو ينالون من كرامة سيدة كردية، أو ينهبون مواشيهم، ودواجنهم، وآلياتهم، ومحتويات بيوتهم التي اضطروا على مغادرتها بعد قصف الطيران التركي لقراهم، وبلداتهم، ومدنهم.

في المقابل، فإن الكرد السوريين- حتى هؤلاء المختلفون مع حزب "ب ي د"- صدموا برؤية هذه المشاهد الانتقامية، الثأرية، الوحشية، ليس فقط من قبل تركيا التي لم يمسس الكرد السوريون حدودها المرسومة بسوء، وإنما من قبل بعض من هم شركاء الوطن الواحد الذين راحوا يتصرفون بهمجية تقشعرُ لها الأبدان، أيضاً، وفي هذا ما ينسف حالة الثقة، أو مفهوم ثقافة الشراكة الافتراضية، وهوما سيتفاقم، فيما لو أوكلت رعاية أمورهم بعد غياب سلطة "ب ي د" التي فرضت بقوة السلاح، إلى تركيا، أو الفصائل التي تم استخدامها كدروع بشرية للعدوان التركي، وهي تتبع- الحكومة المؤقتة- والائتلاف.

وإذا كانت خريطة كردستان قد تعرضت للتمزيق، خلال المئة سنة الماضية التي أعقبت اتفاقية سايكس بيكو 1916، فإن ثمة أخطار جدية تهدد مصير الكرد السوريين-على نحو خاص- قد تستمر مئة سنة أخرى، لاسيما في ظل تهديدات تركيا بمتابعة عدوانها على كانتون الجزيرة، ضمن مخططها المزعوم لمطاردة تنظيم حزب العمال الكردستاني "ب ك ك"، وسط تصامم وتعام وتباكم أمريكي/ روسي، وهوما يدحض مصداقية هذا الغرب، إذ تمارس حرب إبادة بحق الكرد، ومشروع حلمهم الكردستاني الذي وأدته تركيا في داخلها، على امتداد القرن الماضي، على نحو خاص، وباتت تواصله ضمن حدود الدول السيادية المجاورة!

تتمـــة:
وأنا أيضاً كنت طائفياً!

في القرية، وهم جيران فقري في المدن السورية التي خدم فيها أبي في سلك الشرطة، وهم، في دار المعلمين، شركائي في الثقافة والغزل، وفي اكتشاف عيوب المدينة بعيون ريفية. لم أكن أحب مسيحيي المدينة لموقفهم العنصري والطبقي مني، لذلك كانت "الأطراف الحمصية" أقرب إلى عقلي وقلبي، فاخترت بسهولة "المعبطلي" الكردية العلوية، وفضلتها على "مكحلة" البدوية السنّية. صحيح أن طريقتي بالتفكير اختلفت فيما بعد، ولكن ما سجلته عن تلك المرحلة كان صادقاً وحقيقياً، بدرجة حقيقة وجودي الآن.

عمّق إحساسي الطائفي عدة أمور ومواقف، سأكتفي بعرض ثلاثة مواقف منها، حدثت أثناء وجودي في قريتي (المعبطلي) و(جويق)، في بداية عملي في التعليم:

1 – التحق بمدرسة (المعبطلي) معلمٌ وكيل عمره في الخامسة والعشرين تقريباً، كان متشدداً "إسلامياً"، منذ لحظة وصوله واحتكاكه بنا، ففي إحدى حواراتنا، كمعلمين، أبديت إعجابي بروايات جرجي زيدان التاريخية، وقلت إنني بفضلها تعرفت على التاريخ العربي الجميل وأحببته، فتدخل زميلنا، المعلم الجديد، قائلاً: "إن جرجي زيدان شخص تافه، ومشرك، وكل همه كان تشويه صورة الإسلام".

صفعني بـ "جفاصته" وأحكامه القطعية، وعدم احترامه لمشاعري، كزميل وكمسيحي، ومع ذلك قلت: إن رواياته تجعلنا نحب الإسلام والعرب، وكتابه "تاريخ الآداب العربية" من الكتب المهمة التي تؤرخ للأدب العربي، وتدافع عنه وتشذبه، (كنت وقتها طالب أدب عربي، سنة أولى)، فكيف تتهمه بالعمالة وتشويه صورة الإسلام؟

2 – كان بين المعلمين واحد من مدينة (الباب)، وكان الأصغر بالعمر، فقد نال الثانوية العامة قبل أشهر، وأصبح معلماً وكيلاً قبل أن يبلغ العشرين من العمر، وكان قد قال لي إنه لم يغادر (الباب) البتة، قبل تعيينه هنا. مع مرور الزمن أصبحنا أصدقاء، فقد كنا الأصغر عمراً بين المعلمين، وكنا عازبين، وهمومنا متقاربة. في إحدى سهراتنا في غرفتي، قال لي: أريد أن أسألك سؤالاً، وأرجو أن لا تزعل، وصمت بعدها، قلت له ضاحكاً قلْ أولاً، ثم نرى إذا كان الأمر يستحق الزعل أم لا، قال بعد تردد: يقول أهل (الباب) "إن المسيحي، عندما يقف أمام الكاهن كي يزوجه، يشترط عليه الخوري أن تكون الليلة الأولى للعروس معه، فهل هذا الكلام صحيح؟". ضحكت حتى وقعت على ظهري، وقلت له: هل أهل الباب عقلاء فعلاً! ألا يوجد بينهم من عاشر المسيحيين!! ألا يوجد بينهم من له صديق مسيحي؟ قال لي: والله بعد أن تعرفت عليك حتى عرفت أن المسيحي مثل المسلم.

3 – في العام الدراسي التالي 1970 –1971 تم نقلي إلى قرية (جويق) كمدير لمدرستها، لأنه لم يكن فيها إلا الوكلاء الذين لا يحق لهم استلام الإدارة، وكانت تبعد عن عفرين حوالي 10 كم.

في منتصف العام المدرسي، زارنا المفتش التربوي للاطلاع على سير العملية التربوية، وكانت أهم ملاحظة له عليّ، أنه لا يحق لي تعليم حصة التربية الإسلامية، ويجب أن أكلف بها أحد الزملاء المسلمين. قلت له: أنا تعلمت في دار المعلمين تعليم كل المواد، ولا أظن أنني عاجز عن تعليم التربية الدينية الإسلامية لطلابي، كما أنني ضد تبديل المعلمين للصف الواحد، أم أنك تخشى قراءتي لآية قرآنية دون بسملة مثلاً. قال بغضب: هذا قرار وزارة التربية والتعليم، وعليك الالتزام به. أشعرني كلام المفتش التربوي بالغضب والغيظ، وبأنني معلم ناقص الأهلية، وغير موثوق به، فانقبضت طائفياً.

لم يكن للأكراد، ولا العلويين ولا السنة، دور في نمو مشاعري الطائفية، لأننا كنا بعيدين عن الجسم الاجتماعي لهم، بسبب حاجز اللغة، فلم يكن لي موقف طائفي من سكان القريتين؛ لأننا لم نحتك بهم بسبب غياب اللغة، وفي الحقيقة كان التمييز الطائفي يأتينا من خارج الدائرة الكردية، وتحديداً من الدائرة العربية المحيطة بنا، الشعبية منها، كما في مثال (الباب)، أو الثقافية كما في مثال المعلم الإسلامي المتشدد، أو الحكومي كما في مثال المفتش التربوي.

ساعدني وجودي في حمص، فيما بعد، في ملاحظة التضخم السرطاني للوضع الطائفي، وكنت أشاهد دور نظام الأسد فيه، من خلال أصدقاء علويين بدؤوا يغرقون في لعبة الأسد دون إدراك أحياناً، وبمعرفة مسبقة أحياناً أخرى، تحقيقاً لمصالحهم الشخصية، ورغبة من بعضهم في الصعود السياسي أو الوظيفي، كان ذلك يقلقني، وكنت أعرف ما يجري في كواليس الحزب، من خلال بعض الأصدقاء، ومن خلال انضمامي إلى جماعة 23 شباط، التي كانت غالبية الأعضاء فيها من العلويين.

بالمقابل كانت خبراتي الثقافية ومعرفتي بالمدينة تزداد، وبدأت أفهم آليات الصراع بين المدينة والريف، وأصبحت أكثر قدرة على تمييز مواقف ومشاعر أبناء المدينة، واستطعت اختراق الغشاء الذي كان يمنعني من فهم آليات العمل المديني، فبدأت أصحح مواقفي ومشاعري التي كانت تتسم سابقا بالطائفية العفوية، وأصبحت أكثر قدرة على فهم مواقف الآخرين. كانت تجربة السجن الثانية، قد فتحت عيوني على الأخير، وبدأت أقرأ سلوك النظام الطائفي، وأرى مفاعيله في سلوك الناس القريبين، وأفهم خططه القريبة، وكان الموقف من مجزرة حماة 1982 هو دليلي العملي، على طائفية فلان من الناس أو عدمه عند علتان.

مع بداية الثورة، كنت متأكداً من الأرضية الصلبة التي أقف عليها؛ أنا مع كل من هو ضد نظام الأسد، مهما كان لونه، فليس هناك من هو أكثر سوءاً من هذا النظام. هذا الموقف جعلني أبرر، أو لا أرى، المواقف الطائفية التي تضخمت عند الأطراف الداعمة للثورة. وكونها ردة فعل على سلوك النظام لا يبرر لنا عدم نقدها بصوت مرتفع.

أخيراً، نعم كنت طائفياً، في بداية العشرينات من عمري، ولكنني اعترفت بها ونقدتها وشرحتها، وأفتخر أنني شفيت منها تماماً، ولعل غيري يفعل مثلي.. لقد كنت منسجماً مع ضميري وثقافتي على طول الخط.

سقوط عفرين ... وكرد ستانيو تركيا !!!

كمال أحمد

هذا القيصر الذي كان قد تربى على الاعتقاد بأن القيصر يجب أن يتمتع بسلطة مطلقة، وربما أيضاً حكم العالم، ورث بوتين من ابن مدينته القيصر نيكولاس الثاني، هذين الحلمين، وهما السلطة المطلقة، والتمدد على جغرافيات الآخرين، ولكن أيضاً، ورث من الرفيق "جوزيف ستالين" سلوك وممارسة السلطة المطلقة بأعتى أدوات البطش والعنف، فكما إحتل ستالين جميع دول أوربا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى دول آسيا الوسطى، التي كان قد احتلها بعد قيام الثورة البلشفية وخلالها، والذي مارس أعنف الممارسات، ضد القوميات غير الروسية، نجد أيضاً، أن السيد بوتين، سار على نهج رفيقه ستالين، حيث إحتل، وبعد إعتلائه السلطة، ابخازيا، وأوسيتيا، ومحاولة إحتلال جورجيا، لولا التدخل الغربي – الأمريكي، كما إحتل جزيرة القرم، وكذلك مقاطعة دونباس ودونيتسك الأوكرانيتين، كما أنه مارس سياسة الأرض المحروقة، بتعامله مع الشعوب الاسلامية ضمن الاتحاد الروسي حالياً، مثل الشعب الشيشاني، والداغستاني، والأنجوشي في جمهوريات القوقاز، والشعب الموردوفي في منطقة الفولغا، ومجازر غروزني تشهد على البطش البوتيني، ومازالت ماثلة في ذاكرة وأذهان العالم.

بعد هذه التوطئة، التي تشير إلى الخلفية السلوكية، الممارساتية، للسيد بوتين !!!، نعود إلى الصفقات التي عقدها مع الأطراف المختلفة، ذات العلاقة بالأزمة السورية، وبالنيابة عن النظام السوري، وأحياناً كثيرة دون رضاه وموافقته "حيث لا حول له ولا قوة"، بعد التدخل العسكري لبوتين في سوريا، وبتاريخ 2015/09/30م، وهيمنته على القرار العسكري والسياسي فيها وخاصة مع الدولة التركية" التي يمثلها خليفة المسلمين، السلطان العثماني الجديد السيد "رجب طيب أردوغان".

1 – الصفقة مع النظام السوري:

لا نضيف جديداً، بل يمكن القول إنه وصف لواقع معاش، يدركه القاصي والداني، بأن السيد بوتين (وكما أكد وزير خارجيته سيرجي لافروف) بأنه لولا التدخل الروسي، لسقط النظام خلال أسبوع). مقابل الإبقاء على سلطة النظام، كان حصاده من الصفقة، اتفاقية إقامة القاعدة البحرية في طرطوس، المتعددة الأغراض، (لتموين السفن الحربية، وصيانتها، مع تجهيزها لرسو كافة القطع البحرية، وبجميع أنماطها، من طرادات، ومدمرات، وغواصات، حتى النووية منها، ومن ضمنها حاملة الطائرات اليتيمة "الأميرال كوزنيتسوف، أما البند الآخر من الصفقة، هي قاعدة حميميم الجوية في ضواحي اللاذقية "مطار حميميم سابقاً" إضافة إلى صفقات البترول والغاز في كل من صحراء حمص، والمياه الإقليمية السورية في البحر المتوسط، مع السيطرة على المجال الجوي السوري.

2 – الصفقة مع الولايات المتحدة الأمريكية:

نظراً لإستراتيجيتها القديمة، الجديدة، في التصدي لتمدد النفوذ الايراني في المنطقة، فقد بسطت نفوذها على المنطقة الممتدة من منبج وحتى الحدود العراقية، وبالتوافق مع السيد بوتين أيضاً، لقاء سكوتها على ممارسات وسلوك الروس في سوريا، وحفاظاً على ما حققتها في طرطوس وحميميم، وما يتم بيعه أو مقايضته بالقطعة والمفرق، من الجغرافيا السورية، لشريكه التركي، والإيراني.

3 – الصفقة مع إيران:

من الجدير بالذكر، بأن طموحات ايران في سوريا، كانت وما زالت كبيرة، ضمن مشروعها المسمى "تصدير الثورة التشيعية في المنطقة" أي الإستحواذ على سوريا بكاملها "إن أمكنها ذلك؟"، ولكن مع ظهور الكثير من المنافسين ليس على تقاسم النفوذ فحسب، بل حتى على تقاسم الأرض والجغرافيا، على الساحة السورية، مع وجود الصراع والخلاف بين الروس والايرانيين على الكثير من القضايا في سوريا، بعضها يظهر للعلن، وبعضها تحت الرماد يتعلق بتاريخ العلاقات غير الودية بين الطرفين!

وعلى ضوء البراغماتية التي تتمتع بها القيادة الايرانية، لجأ الإيرانيون، إلى الحكمة القائلة "ما لا يدرك كله لا يترك جله" وبالتلي إنقاذ ما يمكن إنقاذه !!! أي الاتفاق مع الروس، بمساعدتهم على إنشاء طريق الحرير الإيراني المسمى "الهلال الشيعي" من طهران –الى حزب الله اللبناني في الضاحية الجنوبية في بيروت "والذي من أهم مقوماته، هو التغيير الديموغرافي، المتضمن تهجير الطوائف الأخرى من هذا المسار، وخاصة السنية منها، واسكانها وإحلالها بسكان جدد من الشيعة المتوافقين مع إيديولوجية الولي الفقيه، سواء كانوا من شيعة المنطقة العراقيين أو السوريين أو اللبنانيين، وحتى لا بأس من الإيرانيين والأفغان والباكستانيين "تحت ذريعة الحماية والمحافظة على المراقد المقدسة لأهل البيت"، لضمان الإستمرارية على المدى الإستراتيجي، وخاصة في المناطق المحيطة بالعاصمة دمشق، كما تم سابقا في داريا، والمناطق المحيطة "بمقام "الست زينب" وكذلك حول مطار دمشق الدولي (حيث مقر القاعدة والقيادة الرئيسية لهم ولفيلقهم في المنطقة وهم قوات حزب الله) ووادي بردى، وأيضاً في مناطق القلمون، وحتى وكما يحدث الآن في الغوطة الشرقية.

4 – الصفقات مع أردوغان تركيا:

وهنا الجدير بذكره في هذا المقام، أيضاً، هو الشكوك المتبادلة بين الطرفين الروسي والتركي، والرواسب التاريخية التي مازالت تلقي بظلالها على حاضر العلاقات بينهما، سواء في العهود القيصرية الروسية – السلطنة العثمانية، أو التركية الكمالية – مع السلطات السوفيتية لاحقاً، التي بقيت تركيا عضواً في الحلف الأطلسي، ومناوئاً للإتحاد السوفيتي وعلى حدودها، إضافة إلى الصراع على النفوذ في الجمهوريات والأقاليم ذات الأصول التركية والتركمانية، المتواجدة في آسيا الوسطى، سواء ما منها ما زالت ضمن الإتحاد الروسي، أو في جمهوريات أوزبكستان، وقرغيزستان، وتركمانستان، وتترستان، وأذربيجان، وغيرها من هذه الأقاليم.

ولكن مع ظهور القضية الكردية، في الشرق الأوسط، وبروز التفكير الجدي المحلي والدولي، بإعادة النظر في الخرائط الجيوسياسية، التي رسمتها إتفاقية سايكس-بيكو-سازانوف، بعيد الحرب العالمية الأولى، خاصة بعد إنتفاضات الربيع العربي، وما تلاها من جهود التحالف الدولي على محاربة الإرهاب الداعشي والجهادي – السلفي بشكلها العام والواسع، وبمسمياته وأطيافه وألوانه المختلفة، والتي أفرعت وتناسلت عن الجذر الأساسي لهذه الجماعات، وكما هو معلوم لدى معظم النخب، ألا وهو "الإسلام السياسي" الذي ظهر بظهور "حركة الإخوان المسلمين التي أسسها السيد حسن البنا عام 1928 م في مصر.

وهنا دق جرس الإنذار، وناقوس الخطر، لدى الدول المتقاسمة والمشاركة في إحتلال جغرافية كردستان التاريخية (والتي أطلق عليها الكردولوجي إسماعيل بيشكجي على كتابه الذي يعالج ويتناول القضية الكردية إسم:

"كردستان مستعمرة دولية")، وكان على رأس هذه الدول، هي الدولة التركية، كونها تحوز على أكبر جزء من جغرافية وديموغرافية كردستان، التي ما زالت تحافظ على وتيرة القمع والإنكار والإقصاء للشعب الكردي، من العهود السلجوقية التي بدأت إحتلالها لكردستان، في معركة ملاذكرد مع البيزنطيين عام 1071م ثم العثمانية مروراً بالعهد الجمهوري الكمالي، وعهود العسكريتاريا الانقلابية، وصولاً الى حكم حزب العدالة والتنمية الإخواني الإسلامي بقيادة السلطان العثماني الجديد، والذي يسعى الى قيادة الأمة الاسلامية من طنجة، الى جاكرتا، بوصفه أميراً وخليفة للمؤمنين الإسلاميين، السيد رجب طيب أردوغان.

لذلك أصبحت السياسة التركية تلخيصاً في جوهرها هي، مكافحة "الأكراد" وجودياً على أي بقعة من هذا الكون، وليس حزباً كردياً بعينه، كما يدعون بأنه "p.k.k"، أصبح هذا الخيار هو الأول على لائحة الأولويات التركية – الأردوغانية، وبالتالي أصبحت جميع إمكانيات ومصالح الدولة التركية، قابلة للمقايضة مع أية جهة كانت، حتى ولو كانت "روسيا عدو الأمس" لقاء القضاء على الوجود الكردي، وحيث أن هناك سياسة أمريكية مختلفة، على ضوء التغيرات في المنطقة، وظهور إستراتيجية التصدي للنفوذ والتمدد الإيراني في المنطقة، بعد الإتفاق على هذا الهدف، مع الكثير من دول المنطقة، خلال الإجتماع الذي جمع، الرئيس ترامب مع زعماء، من قادة وممثلي 55 دولة عربية وإسلامية في المنطقة، في عاصمة السعودية "الرياض" بتاريخ 20 – 21/ 5/ 2017م إضافة إلى التلاقي مع الأهداف الإسرائيلية المعادية لإيران، وحيث أنّ الجغرافيا الكردستانية، سواء في إقليم كردستان العراق، أو غربي كردستان، تقع ضمن إستراتيجية المخطط الأمريكي، للتصدي للنفوذ والتمدد الإيراني، وهنا برزت التناقضات بين المصالح التركية – الأمريكية والتي قد تتعمق هذه الخلافات، قد تصل إلى مصير عضوية تركيا في الحلف الأطلسي، ومصير تواجد قاعدة "انجرليك" الإستراتيجية لهذا الحلف على الأراضي التركية !!!

على ضوء تدهور العلاقات التركية- الأمريكية، وكذلك حال العلاقات الإيرانية- الأمريكية التي هي متدهورة أصلاً، وقد تصل لدرجة المواجهة العسكرية، يحاول السيد بوتين، ويسعى لتعميق هذا الشرخ بين الولايات المتحدة من جهة، وبين هاتين الدولتين، لمقايضة أمريكا عليهما فيما بعد، وبذلك إفتتح سوقاً في سوريا، للجغرافيا والديموغرافيا السورية، بما يشبه مجازاً (سوق الحرامية) كونه الوصي على حكم وحاكم سوريا، بشكل إحتلالي وإستعماري، أصبح هو البائع والمنسق بين الكثير من الجهات المشاركة في الصراع على سوريا، مثل أمريكا وإسرائيل والأردن، وأيضاً الحليفين اللدودين، ايران وتركيا، في مواقع ومحطات كثيرة، وآخرها التنسيق بينهما، ببيع عفرين لتركيا (ضمن المجال الحيوي والأمني لتركيا).

لإيران (من ضمن مسار الهلال الشيعي أو طريق الحرير الايراني) حيث تمت الزيارة الميدانية للسيد بشار للقوات الرديفة كما يسميها هو بتاريخ 16/ 3/ 2018 في الغوطة الشرقية إيذاناً بالإنتصار (بعد الإيعاز التركي للفصائل المرتبطة بها للإنسحاب إلى أدلب لتجنيدها مجدداً في جبهة عفرين ومنطقة الشهباء وتل رفعت)، وتزامناً مع ذلك، كان ذات وعين اليوم التي دخلت وإحتلت القوات التركية مدينة عفرين، ((هذا، مقابل ذاك))، كما رتبه ونسقه "بوتين!! التاجر النخاسي والسمسار للصفقات الخسيسة" والتي تفتقر إلى أدنى قيم الأخلاق السياسية.

5 – ذرائع الإحتلال التركي لمدينة عفرين:

هناك البعض الكردي، سواء من النخب السياسية، أو الثقافية، ممن يستغرق في الجزئيات والتفاصيل، ليصل إلى درجة، إضفاء الشرعية، على الذريعة التركية، التي حدت بها، وجعلتها تحتل عفرين، وهي محاربة ومكافحة حزب كردي بعينه، وهو حزب الإتحاد الديموقراطي، والقوات المنتمية إليه، وهي وحدات حماية الشعب، ووحدات حماية المرأة، وأنّ الجيش التركي لا يستهدف الأحزاب الكردية الأخرى، والتي يضمها خيمة المجلس الوطني الكردي !!!!، ونرى برؤيتنا المتواضعة، أنّ ذلك يعود إلى غشاوة في رؤية هؤلاء البعض، حيث إستغراقهم في الجزئيات، يجعلهم يغفلون عن الرؤية الشمولية، للسياسة التركية التاريخية، بمختلف حكوماتها المتعاقبة، تجاه المكون الكردي ضمن جغرافية الدولة التركية أولاً، وتجاه الشعب الكردي بعمومه في مختلف مناطق تواجده على هذا الكوكب ثانياً، وهي سياسة عدائية مزمنة، وهذا يعيدنا إلى الذريعة التركية لإحتلال عفرين، وليس صحيحاً أن الهدف التركي هو مكافحة وحدات حماية الشعب والمرأة، بل مكافحة وإبادة الشعب الكردي، أينما وجد، وحيثما أمكن ذلك، ويرخص دونه أي ثمن.

وبالعودة إلى التاريخ الغزوي، الإحتلالي، الإستلابي، لأسلاف السيد أردوغان وصولاً إليه، وكانت عقيدتهم على مر التاريخ هي هذه المقولة (كان المغول يعتقدون بأن كل العالم من حق شعب جنكيز خان، ويجب أن يخضع الجميع لهم، أي أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء). وهذا مايجب تبيانه والوقوف عنده وعليه، ونرى شواخص التاريخ، شاهدة على، ممارسة هذه الثقافة، من خلال أمثلة كثيرة ذات الدلالة على ذلك، مثال إحتلال السلاجقة كردستان في معركة ملاذكرد (ولاية موش الكردية حالياً) 26/ 08/ 1071م بقيادة ألب أرسلان، وإحتلال هولاكو لبغداد عاصمة الخلافة العباسية التي بدأت بالريخ 29/ 01/ 1258 وإنتهت بإعدام الخليفة العباسي "المستعصم بالله بصورة وحشية بتارخ 24 /02/ 1258، وإحتلال محمد الفاتح لإسطنبول في 06/ 1453/04م، ومحاولة إحتلال فيينا من قبل السلطان سليمان العثماني بعد ذلك، ومن ثم إحتلال الشلطان سليم بلاد الشام بدءاً بمعركة مرج دابق في 24/ 08/ 1516 (وتم إحتلال جرابلس وإعزاز بما فيها مرج دابق مجدداً من قبل جيش أردوغان بذات التاريخ والميقات تيمنا بسلوك أجداده وأسلافه إستنهاضاً للتاريخ) ثم إحتلاله لمصر في معركة الريدانية بتاريخ 22/ 01 /1517م.

وبعد إستعراض قائمة الإحتلالات التي قد تطول، التي مارسها أسلاف السيد أردوغان، يظهر سؤال يطرح نفسه؟؟؟ وهو، هل هذه الغزوات الإحتلالية كانت رد على عدوان خارجي؟؟؟ أو دفاع مشروع عن النفس؟؟؟. يبدو أنه لا ذلك، ولا ذاك، بل هي ثقافة غزوية إحتلالية متجذرة في أذهان أسلاف أردوغان، وبالتالي فإنّ إحتلال عفرين بذريعة تواجد وحدات حماية الشعب فيها، ماهي إلاّ ورقة التوت التي تحاول تركيا ستر عورتها بها، وأتمنى وبكل ود وإخلاص، من هؤلاء البعض الكردي، أن يعيدوا النظر، وقراءة المشهد بشكله الشامل، بما فيه التاريخي آملين أن يؤدي ذلك إلى تغيير رؤيتهم وإعادة تقييمهم للإحتلال التركي لعفرين السلام وأسبابه، ولا شك بأن هناك أخطاء مرتكبة من قبل الجهات المعنية، ولكنها ذريعة لا تصمد أمام الحقيقة، وواقع الحال !!!!

6 – كردوستانيو تركيا.. والإستعبار من التلريخ:

يتبين من تقليب وتصفح مجريات الأحداث التاريخية، تظهر بوضوح، مدى إستغلال شعوب المنطقة، المجاورة لجغرافية وشعب كردستان، مثل الشعوب العربية والتركية والفارسية، لفلسفات وديانات وأيديولوجيات وأحزاب، جميعها تدعي رؤيتها بالمساواة بين الكائنات البشرية، بغض الطرف عن الجنس واللون واللون والعرق والدين..الخ، ولكن كانت في حقيقة أمرها، تستخدمها لتحقيق مآربها ومصالحها القومية، حتى ولو كانت على حساب الآخرين، ولو تطلب ذلك إحتلال جغرافياتهم والسيطرة والهيمنة على مواردهم، وهناك أمثلة وشواهد كثيرة يخبرنا بها مجريات التاريخ الديني والسياسي مثال:

* **الأحزاب الأممية الشيوعية:** في هذا المقام لا يمكن إغفال جهود الكثيرين من المخلصين لمبادئهم الأممية، ضمن صفوف الأحزاب الشيوعية، من سعيهم لتطبيق القيم الماركسية على ممارساتهم اليومية، ولكن كان التيار الغالب والمهيمن ضمن هذه الأحزاب، هو التيار الذي تشده النزعة والعصبية القومية، حيث كانت النزعة القومية الروسية، هي المهيمنة على مصادر القرار السياسي في الحزب الشيوعي السوفيتي بجميع أبعاده وخاصة ضمن الإتحاد الروسي الذي يضم الكثير من الشعوب غير الروسية، حتى أن الكثيرين من المستشارين الروس في الدول التي كانت تدور في الفلك السوفيتي كانوا هم أصحاب القرار (مثل المانيا الشرقية – وبولندا – والمجر –وتشيكوسلفاكيا-ورومانيا وبيلوروسيا –وبخاصة جمهوريات آسيا الوسطى، مثل طاجيكستان، وأوزبيكستان، قرغيزستان وكازاخستان،وغيرها وكانت الكثير، بل معظم قراراتها مصادرة من قبل المنتمين الى القومية الروسية.

وفي هذا المقام لا بد من الإشارة، الى الأحزاب الشيوعية في منطقة الشرق الأوسط، بشكل عام، والحزب الشيوعي السوري كمثال يمكن إعتباره تشخيصاً لما كان يجري في الأحزاب الشيوعية الأخرى، وحيث أنَّ السيد خالد بكداش إستمر لمدة طويلة على قيادة هذا الحزب (له ما له، وعليه ما عليه، أي له إنجازاته، وايضاً له كبواته وأخطاؤه) وحيث كان منتسبي وأنصار ومؤيدي الحزب من الأقليات العرقية والدينية، مثل الأكراد والأرمن والشركس والسريان والعلويين والاسماعيليين والدروز إضافة الى العرب السنة. ونظراً لأن الأكراد يعتبرون من الأقليات العرقية الكبيرة، من حيث الحجم السكاني في سوريا، لذلك كانوا يشكلون النسبة الغالبة من منتسبي الحزب، كونهم كانوا معرضين الى مظالم مضاعفة "- قومية كونهم كرد - وطبقية كونهم فقراء ومعوزين بغالبيتهم"، وهذا المعطى وهذا العامل يمنح السيد خالد بكداش شرعية ومشروعية قيادة الحزب، إضافة الى الكاريزما والمؤهلات القيادية، ومع ذلك كان يتعالى على أصوله الكردية، وكان يحاول بأن يكون أممياً أكثر من الكثيرين من قادة الأحزاب الشيوعية، ومع ذلك كان يتهم من قبل رفاقه ضمن الحزب، بأنه "يستكرد الحزب" وذلك بدوافع وخلفية عصبوية وشوفينية، وفي الآونة الأخيرة، إختلقت بعض الجهات من العصبويين القوميين من رفاقه، وفبركت مذكرات نسبت اليه، لتشويه تاريخه السياسي، وخالد بكداش كشخصية سياسية، ليست معصومة من الأخطاء، شأنه شأن الآخرين من السياسيين، ولكن الإفتراء عليه، وإختلاق ما يسئ اليه بغية تشويه تاريخه النضالي "بعجره وبجره" كما يقال أي بحسناته وسيئاته، يدل على أحقاد وعصبوية وشوفينية قومية.

* **أحزاب الإسلام السياسي:** من خلال إستعراض تاريخ الصراع على السلطة، منذ نشأة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة (يثرب)، وبعد وفاة الرسول محمد بتاريخ 08/ 06/ 632م نراه قد برز هذا الصراع على من يخلفه في قيادة الدولة الناشئة، حيث حسم الأمر في سقيفة بني ساعدة، ومن خلفية عصبوية، لصالح قبيلة قريش، إستناداً إلى حديث منسوب الى الرسول محمد بقولهم (وأمرهم في قريش) أو بصيغة أخرى (الأئمة من قريش) هذا الحديث البعيد عن روح وجوهر الإسلام، وبعيداً عن روح الديموقراطية والشورى الإسلامية، وبذلك تم إزاحة سيد الخزرج (سعد بن عباده) والذي تقول الروايات أنه أنتخب من"الملأ" (وهم وجهاء القوم آنذاك) ليتوج ابو بكر الصديق بذلك خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين، وبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ظهر الصراع على السلطة ضمن أفخاذ قريش ذاتها، وهما فخذ بني أمية (ممثلاً بمعاوية بن ابي سفيان) وبين بني هاشم (ممثلاً بعلي بن ابي طالب)، واستمر التمسك بهذا الحديث طيلة العصر الأموي (الخلافة الملكية العضوضة) وكذلك في الفترة الأولى من الخلافة العباسية أيضاً، وحتى بعد الفتوحات الاسلامية، وإتساع رقعة الدولة الإسلامية، وعلى جغرافيات شاسعة من العالم، بقيت زمام السلطة، والقرار السياسي محصوراً بالعرق العربي، (وهناك الكثير من الأحاديث الموضوعة، أو ضعيفة السند، وضعت، ونسبت الى الرسول محمد، لإسناد محصورية السلطة في العرق العربي، وخاصة في عهود الدولة الأموية، ولا يتسع المقام لذكرها، ولا بأس من إيراد بعض الأمثلة على العصبوية العرقية، سواء العربية منها، أو التركية، وكذلك الفارسية في إستغلالهم للدين الاسلامي في سبيل الإستحواذ على السلطة السياسية، والإبقاء عليها بيد عرق وقومية معينة إما عربية، أو تركية، أوفارسية، وإستخدام القوميات الأخرى كحطب في حروبهم وصراعاتهم وتحت شعارات دينية تخدم أهدافهم القومية الشوفينية:

ومن هذه الأمثلة:

- **طارق بن زياد "البربري":** وهو يعود بأصوله إلى البربر (الأمازيغ) وله الفضل الكبير والمميز في نشر الإسلام، في عموم منطقة الأمازيغ في شمال أفريقيا، و يعتبر فاتح الأندلس بجدارة، وخلال رحلة نقله غنائم الحرب من الأندلس (والتي تتألف من الأموال والمجوهرات والمسكوكات الذهبية والسبايا الحسان وغيرها من الأغراض الثمينة) إلى الخليفة الأموي، الوليد بن عبد الملك في دمشق، وكان مريضاً حينذاك، وفي خلسة من أخيه الخليفة!!!، ذهب الأخ الشقيق للخليفة وولي عهده الأمير سليمان بن عبد الملك، إلى طبريا في فلسطين، ليستقبل الغنائم وناقليه، وعلى رأسهم "طارق بن زياد" طالباً منهم البقاء في طبريا فترة من الزمن، والتريث لحين وفاة أخيه الخليفة "الوليد بن عبد الملك"، حيث كان مريضاً كما ذكر آنفاً، بغية الإستئثار بالغنائم المسلوبة من سكان الأندلس، ولكن طارقاً لم يتجاوب مع طلبه هذا حيث كان يعلم، أنّه سيواجه سخط الخليفة (الوليد بن عبد الملك) واستمر في السير بإتجاه دمشق وبوصوله وتسليمه الغنائم للخليفة، وبعد أربعين يوماً من ذلك، توفي الخليفة، وتولى شقيقه وولي عهده، الأمير "سليمان بن عبد الملك" الخلافة الأموية، حيث إستدعى طارقاً، وأذاقه مر الإهانات، وحرمه من جميع مقتنياته وإمتيازاته، وهناك الكثير من الروايات، تؤكد تسوله أمام عتبات مساجد دمشق، يسأل المحسنين "الصدقة"، وعانى الكثير من البؤس وقلة ذات اليد، والّم به المرض نتيجة ذلك، حيث توفي في دمشق عام 720م عن عمر بلغ 45 خمسة وأربعون سنة، وكان يستحق أن يصبح والياً على البلاد التي فتحها !!!!، كما كان حال عمرو بن العاص، العربي القريشي!!!، الذي تولى ولاية مصر بعد فتحها، هكذا كان مصير ونهاية هذا البطل الأمازيغي (البربري) !!!!.

- **ابو مسلم الخراساني "الكردي":** كانت الدولة الأُمَوية تنـزع إلى العصبية العربية في العلاقة بالمسلمين المَوالي (غير العرب)، وقال الخليفة المأمون عنه فيما بعد، وقد ذُكر أبو مسلم في مجلسه: "أجلُّ ملوك الأرض ثلاثةٌ، وهم الذين قاموا بنَقل الدُّوَل: الإسكندرُ، وأرْدَشَيْرُ، وأبو مسلم الخُراساني"، وأبو مُسْلِم الخُراساني هو عبد الرحمن بن مُسْلِم (718–755م)، واسمه الحقيقي "بَهْزاد"، وهو يُعَدّ مؤسس الدولة العبّاسية. وبعد أن إستقر على يديه أمر الدولة، غدر به الخليفة العبّاسي الثاني أبو جعفر المنصور، فاستضافه في قصره ببغداد، ثم أمر بقتله غدراً وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وكما ذكرنا سابقاً، كان يستحق هذا البطل الجسور، على إنجازاته الكبيرة، ومؤهلاته القيادية، أن يصبح والياً على خراسان !!!، كما كان حال عمر بن العاص العربي القريشي في مصر !!!، ولكن هكذا كان مصير هذا البطل الكردي الغدر به وقتله غيلة !!!.

-وقد مارست القوميات الأخرى، السلوك العصبوي القومي ذاته، عندما سنحت لهم الظروف، بالإستيلاء على السلطة في الدولة الإسلامية، أواخر العهود العباسية، حيث مارس البويهيون العصبوية الفارسية، ومارس السلاجقة العصبوية التركية، أما بعد إستيلاء العثمانيين الأتراك على الخلافة الإسلامية، اصبحت العصبوية التركية هي صاحبة القرار على إمتداد جغرافية السلطنة العثمانية المترامية الأطراف.

7 - صلاح الدين الأيوبي - وخالد بكداش الكرديين - ومحمد علي حاكم مصر:

➢ **صلاح الدين الأيوبي:** هذا البطل الإسلامي – الكردي (كمثال من التاريخ الاسلامي)، الذي لاينكر حتى الذين حاربهم من الصليبيين، شهامته، ونبله، ولا ينكر الكثيرين من المسلمين، فضله على إعادته مجد الإسلام الى الواجهة والسلطة، بعد إنتصاره في معركة حطين بتاريخ 04/ 07/ 1187م وقضى حياته بمجملها على صهوات حصانه، طيلة 19 سنة، خاض خلالها ما يقارب 74 معركة، في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، ولا شيئ غير ذلك، ولم تنازعه على ذلك، لا عصبوية قومية كردية، أو رغبة في جمع المال والثراء، وكان مخلصاً لدينه الإسلامي، حتى أكثر من بعض الخلفاء المسلمين في العصرين الأموي والعباسي، والعثماني، الذين كانوا غارقين في حفلات الشراب والمجون ومعاشرة السبايا والجواري، ومع ذلك قيل عنه من قبل قامة ثقافية عربية مرموقة (يوسف زيدان) بأنه أي صلاح الدين "أحقر شخصية في التاريخ" كما شخص ولخص الشاعر والمفكر الفلسطيني معين بسيسو، نظرة الكثيرين من النخبة العربية، الثقافية منها والسياسية "ولانقول جميعهم"، إلى شخصية صلاح الدين بقوله:

"وكم أكره من علمني الدرس الأول في التاريخ/ كوردياً كان صلاح الدين وانتصر فأصبح عربياً/ ماذا لو هزم صلاح الدين لأصبح جاسوساً كوردياً"

وعندما توفي صلاح الدين في 04/ 03/ 1193م إثر المرض الذي ألّم به، وجدوا عنده صندوقاً، وبعد فتحه، كانت محتوياته هي: (47 درهما + دينار واحد) و (كفن ابيض) و (14 طابوقة من طين) و (رسالة على شكل وصية)، كتب فيها:

"هذا كفني الذي عطرته بماء زمزم فكفنوني به.. وهذا ما بقي معي من مال لجنازتي.. وهذه طوابيق جمعتها من طين الجهاد الذي علق على ثيابي، فضعوها تحت رأسي، لألقى بها وجه ربي"

وهذا يدلل على عدم سعي هذا البطل الاسلامي الكردي، على إستغلال الدين لغايات عرقية كردية، أو لغاية جمع المال والثروة، كما فعلها القادة المسلمين من العرقيات الأخرى.

➢ **محمد علي الكردي حاكم مصر:** وممن قالوا بذلك الأمير محمد علي، أحد أحفاد محمد علي باشا وولي عهد الملك فاروق، في لقاء مطول مع الكاتب الراحل عباس محمود العقاد في مجلة "المصور" المصرية بتاريخ 25 فبراير 1949، تحت عنوان "ولي العهد حدثني عن ولي النعم"، بمناسبة مرور مئة عام على وفاة مؤسس مصر الحديثة.

أصل الأسرة من ديار بكر في كردستان تركيا، ومنها انتقل والد محمد علي وأخوه إلى قولة في ألبانيا، ثم انتقل أحد عميه إلى الآستانة، ورحل عمه الثاني في طلب التجارة وبقي أبو محمد علي في قولة، وهذا يدلل أيضاً على سعي محمد علي، على إستغلال موقعه ومركزه، لإقامة مملكة كردية في مصر، كما كان متاحا له ذلك.

➢ **خالد بكداش:** الزعيم الشيوعي الكردي كمثال من تاريخ الأحزاب الشيوعية. كان من قادة الحزب الشيوعي السوري التاريخيين، وبقي لفترة طويلة على قيادة هذا الحزب، وكان يسعى بأن يكون أممياً مخلصاً (مبالغاً ومفرطاً في أمميته وكان البعض يقول عنه أنه أممي أكثر من لينين من باب الدعابة)، فوق الأعراق والقوميات، وكان كثيراً ما يتعالى على أصوله الكردية، حتى أنه رفض إصدار نسخة من جريدة الحزب الشيوعي السوري، باللغة الكردية، في منطقة عفرين ذات الثقل الحزبي، وأيضاً ذات الغالبية الكردية، عندما إقترح ذلك عضو اللجنة المنطقية للحزب في عفرين حينذاك المناضل الراحل رشيد حمو عام 1956م، وهذا يدلل على عدم سعي الكرد على إستغلال الحزب الأممي لغايات عصبوية كردية، كما مارسها الرفاق من القوميات الأخرى، بدوافع عصبوية قومية وشوفينية، كما أفصحت عن نفسها من خلال الإنشقاقات من صفوف الحزب.

➢ وهناك آراء مختلفة ومتباينة حول سلوك هذه الشخصيات الكردية البارزة، وعدم سعيهم لإقامة كيانات كردية، والتساؤل الكبير حول ذلك هو، هل كان ذلك يعود إلى الغفلة والسذاجة، وقصر النظر؟؟؟، أم أنّ ذلك يعود إلى إيمانهم وإخلاصهم لمبادئهم ومعتقداتهم، سواء أكانت، دينية إسلامية كما هو حال صلاح الدين؟؟؟، أو حتى دينية زرادشتية كما هو حال زرداشت الكردي؟؟؟، وكذلك حال محمد علي الكردي حاكم مصر؟؟؟، وأيضاً إخلاص السيد خالد بكداش لمبائه الأممية في العصر الحديث ؟؟؟. وهذه الأجوبة، وهذه الأجوبة، وهذا التقييم، هي برسم القارئ الكريم.

8 - كردوستانيو تركيا والموقف الحاسم:

بعد ظهور السلوك العدائي، لأردوغان وحزبه المسمى "العدالة والتنمية" ذات النزعة الطورانية، القومية المتعصبة، وبغطاء إخواني – إسلامي، والمجافي للعدالة بكليتها، والذي مازال يضم بين صفوفه، ما يقارب ال "73" نائباً في البرلمان التركي، من أصول كردية، يسبحون بحمد أردوغان وسياساته، ويباركون الحشد العسكري على حدود إقليم كردستان العراق، وتهديده بإجتياحه، بعد عملية الإستفتاء على مصير الإقليم، وكذلك بعد إحتلاله لمنطقة الشهباء، ثم، مؤخراً، إجتياح وإحتلال عفرين.

هناك دعوة خالصة، إلى كرد ستانيي تركيا، بيسارهم الأممي، وكذلك بيمينهم الاسلامي – الإخواني – الأردوغاني، دعوة جدية لإعادة قراءة الأحداث، وإستخلاص العبر من مجريات التاريخ، وتقييم سلوك هذه التيارت، اليسارية والإسلامية، وأرى، ومتأملاً، وآملاً، أن يدركوا مكامن هذا الفشل التاريخي، للحركة التحررية الكردية، ويدركوا أيضاً، أنَّ تمسكهم، بمبادئهم وقيمهم الأخلاقية، بشكل مبالغ فيها، وعلى حساب الإبتعاد عن حبكات وخباثة ووصولية وإنتهازية السلوك والمسار السياسي، الذي يمارسه، شركاء الأوطان والأديان، والذين هم بدينهم وديدنهم، أنّ مصالحهم القومية فوق الإعتبارات الأممية والدينية، ويجب تحديد علاقتهم بهؤلاء، وإختيار وحدة الصف الكردي، والخيمة الكردايتية، بعيداً عن التباينات والتمايزات، الطبقية، منها، والدينية، والمذهبية، التي أثبت التاريخ، أنها لم تسمن، ولم تغني عن جوع، ولم تؤسس، ولم تبني دولاً ولا حتى كياناً سياسياً بحدوده الدنيا، ويحب الإستفاقة، بأن الأردوغان الإخواني، سوف لن يسعى، بل لن يسمح بإقامة دولة كردية !!!!.

المصادر والمراجع

- الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط. الدكتور محمد علي الصلابي. دار المعرفة بيروت.
- طارق بن زياد، فاتح الأندلس: حسين شعيب - دار الفكر العربي - بيروت لبنان.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام.
- بهاء الدين بن شداد: النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجى، القاهرة 1994.
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة بن تغري - دار الكتب و الوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة2005.

حقائق تاريخيّة هامّة عن نوروز وكاوا والضّحاك

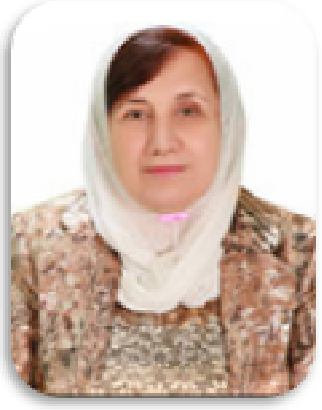

نارين عمر

تحتفل العديد من الشّعوب في منطقة ميزوبوتاميا وغرب آسيا بعيد يسمّى "نوروز: ويعني باللغات الهندو أوربيّة مثل الكرديّة والفارسيّة "اليوم الجديد"، وقد دأبت شعوب المنطقة على الاحتفال بهذا اليوم تزامناً مع نهاية فصل الشّتاء وبداية فصل الرّبيع، ذلك أن الشّتاء يتميّز بقسوته في معظم مناطق ميزوبوتاميا وغرب آسيا.

كان الاحتفال بيوم نوروز ولا يزال عند كلّ الشّعوب فرحاً بقدوم الرّبيع ونهاية الشّتاء، وإن اختلفت تسميته عند بعض الشّعوب التي سمّت بداية الرّبيع باسم أكيتو، ويصادف الأوّل من نيسان، ولكن الهدف من الاحتفال بعيد الأكيتو هو نفس الهدف بالاحتفال بعيد نوروز ألا وهو بداية الرّبيع، لكن هنالك شعب من شعوب ميزوبوتاميا أخذ عنده الاحتفال بيوم نوروز طابعاً قوميّاً بالإضافة إلى بداية الرّبيع، وأصبح العيد قوميّاً مقدّساً عندهم وهو الشّعب الكرديّ، حيث كان الميد أحد أسلاف الكرد خاضعين لحكم الدّولة الآشورية التي تحوّلت إلى أقوى امبراطورية في ذلك الوقت.

وقد حاول أحد زعماء الكرد الميد تحقيق ذلك الهدف بتوحيد صفوف الميديين أوّلاً والبحث عن تحالفات لمواجهة جيش آشور القويّ، وكان هذا الزّعيم يُدعى دياكو، ونجح في توحيد الميديين وعقد تحالفاً مع الأوراتيين، إلا أنّ هذا التّحالف قد هزم على يد الجيش الآشوريّ وأسر دياكو عام 715 ق.م، ولكنّه تمكّن من زرع فكرة التّوحيد والتّحالف في نفوس الميديين.

بعد فترة أطلق الآشوريّون سراحه، واستطاع أحد زعماء الميديين ويدعى كيخسرو من عقد تحالفات مع ملك بابل نابو بولاصر ومع الأرمن والكميريين بهدف القضاء على الدّولة الآشوريّة التي انتابها الضّعف بعد وفاة ملكها القويّ آشور بانيبال، وتنازع أولاده على السّلطة حيث أصبح ابنه سين شاريشكون ملكاً على آشور، وكانت آشور تواجه هجوماً من قبل الميديين، والتّحالف المشار إليه وعلى الرّغم من ذلك لم يستسلم الملك الآشوريّ، بل قاتل حتى قتل في ميدان القتال، واستخدام المهاجمون عدّة وسائل لاختراق مقاومة آشور مثل فتح السّدود لكي تغمر المياه المدينة، فضلاً عن إشعال النّار بالإضافة وكما أسلفنا أنّ آشور كانت تعاني من الضّعف نتيجة عدّة عوامل منها: ضعف خلفاء آشور بانيبال، توسّع الامبراطورية الآشوريّة، سوء معاملة الآشوريّين للشّعوب المغلوبة .

هذه العوامل شكّل جبهة تحالف ضدّهم حتى انضمّ إلى التّحالف أقرباؤهم الكلدانيّون، وكذلك المجاعة التي أصابت آشور نتيجة إجبارهم الفلاحين على العمل كجنود ماترك الأرض مهملة. كلّ هذه العوامل شكّلت نهاية للدّولة الآشوريّة و تقاسم ميديا وبابل أراضيها، ولذلك يعتبر الكرد يوم 21 آذار يوماً قوميّاً لهم.

لعلّ هنالك بعض الأمور التي يجب توضيحها هنا:

أوّلاً: ما نقلته الشّاهنامه عن قصّة الملك الضّحاك وكذلك ما ورد في كتاب الآفستا المقدّس عند الفرس والتي تدعي أنّ ازي هاك كان ملكاً ظالماً، وأنّ ابليس ظهر له وقبّل كتفيه فظهرت على كتفيه حيتين لا تأكلان إلا أدمغة البشر والشّباب تحديداً، وما يليها من قصص الملك مع اليهود، وأنّ أحد أجداد ازي هاك كان عربياً يدعى تاج ليست إلا قصّة اخترعها الأخمينيون بعد سيطرتهم على ميديا، ومحاولة تشويه اسم ملك ميديا المقاوم للغزو الفارسيّ استياك الذي قاتل حتى هزم نتيجة خيانة قائده هارباك، لأنّه لا يوجد ملك في التّاريخ القديم والحديث اسمه ازي هاك إلا الملك الميديّ استياك، فحاولوا شيطنة هذا الملك ولعنه فقط لأنّه قاومهم حتى الرّمق الأخير، وقد أتى هيرودت على ذكر ذلك.

النّقطة الثّانية كيف يكون الضّحاك جدّاً للكرد والعرب بنفس الوقت حسب روايات الشّاهنامه والكلّ يعرف اختلاف الشّعبين من النّاحية الانتروبولوجية والثّقافية؟ والمعلوم كثرة الأساطير الفارسيّة ومنها ما تدعي أنّ جمشيد أحد ملوكهم الأسطوريين عندما جلس على العرش كان يوم نوروز (لا توجد شخصيّة تاريخية بهذا الاسم)، وكلّنا نعلم أنّ الدّيانة الزّرادشتية خرجت من قبل شخص ميدي، ولكنّ أهل الميد رفضوا تقبّل ديانته لأنّه كانت لديهم ديانتهم الخاصة، فأخذها عنهم الفرس وحوّلوا الدّيانة الزّرادشتية إلى ما يناسب معتقداتهم.

للأسف لم نكن نعلم أنّ ازي دهاك والذي صاحب ابليس وكان يأكل أدمغة الشّباب ليس إلا تشويهاً لاسم شخصيّة تاريخيّة كرديّة باختراع مثل هذه الأساطير، وهي إحدى وسائل المحتلين في محاربة الشّعوب الحرّة؟ ولعلّ رمزيّة قصّة كاوى الحدّاد وتخلّصه من الملك الظّالم ليست إلا تجسيداً لسقوط الحكم الآشوريّ الذي كان شديداً على الشّعوب المغلوبة، أما كونه حدّاداً فهذا بالتّأكيد مرتبط بكون الآريين هم مَنْ جلبوا هذا المعدن إلى المشرق، وكان له الدّور الأبرز في الانتصار، إضافةً إلى استخدامهم الحصان قبل الشّعوب الأخرى.

الأمة الكردية بين الوفاء والإضطهاد

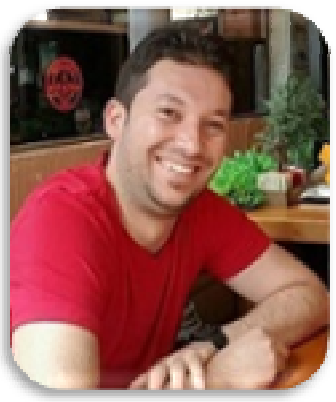

أنس عبدالله

حين يصبح الدواء داءً، والملح مسموماً، والأخ عدواً لدوداً، وقدسية الروح والنفس مهزلة في فتاوى ساقطة تلهث النفاق.. هذا السم الذي يساهم في إنتاج نوع خطير يفسد النظم الأخلاقية والإعتقاد لدى فئات كبيرة من بين الناشئة والمجتمعات في شتى المحاور كلها حتى مِمَن يراقبون عن بُعد أنفسهم، كل هذه التلاطمات ستظهر حين تُبحر السفينة في بحر مِلحه مسموم بين الدماء..

في الحروب تُنصف الضمائر في فضح نفسها دون العودة إلى دور الدعارة السياسية منها ومجالس الفتوى المأجورة، لاسيما أن الإنصاف الإنساني والكثير من المرجعيات الإقليمية السياسية منها والثقافية والدينية عادت إلى حقيقتها وهويتها وإنتماءاتها التعصبية المحدودة، ومن هنا ينطلق جرح كل كردي، بل وتشهد عليها كل بقعة من تراب كردستان الطاهرة في حيرة التاريخ..

حين نكون جسوراً لكثير من الإنتصارات التاريخية بل جسوراً لأصالة رسالة الإسلام و وصوله إلى كثير من الأمكنة والأزمنة عبر التواريخ، والشخصيات والأرض والتاريخ وقبل كل هذا السماء شاهد على ذلك..

لم يخفى على رأس كل قرن تجديد العهد حيث حملت هذه الأمة أحفاد إبراهيم الخليل رايات الوفاء والدفاع بكل شرف وبساله.

القضية المركزية التي تتاجر بها إلى وقتنا قضية بيت المقدس، ستظل شوكة في قلب كل حاقد حيث لم يحررها إلى الآن أحد ولن يستطيع أن يحررها أحد إلا إذا ملك قلباً مثل ذلك الأسد الكردي القائد صلاح الدين خالياً من نداءات العروبة والعنصرية.. وإن هذه الأمة تتحدث عن وجودها إلى الآن لدفاع بيت المقدس في أحياء مدنها في القدس والخليل وعكا ونابلس وغزة وحيفا ويافا وخان يونس..

لكن رغم الوفاء الكردي لنجدة الدفاع ردمت قتيل القومية والتعصب في عقول المتعصبين أسوار الأخوة وأقاموا مذابح عبر العصور والتواريخ والأزمنة في حق الأبرياء، إنها كانت مذابح عظيمة بحق الكرد.. تقودنا تلك المشاهد التاريخية إلى فهم الواقع الحاضر رغم التخبط في ذهول الصمت والموقف بين أدوار الفوضى وأقفاص مذابح سكرات الموت..

ثمة سؤال يراودني ويتساءل به معظم الكرد، بات يحير الجميع : هل كل هذا جزاء الإحسان والوفاء؟!.. لكنه في الحقيقة سر متواضع في كل حقبة تاريخية إلى يومنا الحاضر..

لأجل ثارات فوضوية حزبية إضطهدت أمة عريقة أحفاد إبراهيم الخليل و كيخسرو، إن الكثير من الدول القائمة اليوم بنيت بدماء الكرد دفاعاً عن الأمة لكن رسمت الحدود سراً في دور دعارة لم يكن يرتادها الكرد، وأعلنت فيما بعد عن الخيانة قبل قرن من الزمن في آخر موعد تواطؤ لأجل مصالح مستقبلية يشرحها الحاضر بدقة عالية، كما أهرق دماء الكرد في زراعة بذور الثورة في عام 2004م في قامشلو على أرض تابعة لسوريا، وكسر تمثال الطاغية في ساحة أخبث عصابة أمنية في ظل قمع لا يتصوره خيال أو يستطيع قلم التعبير عن كل خفايا وحشيته و طغيانه..

بيد أن الكثير من أولئك الذين يقتلون أبناءنا اليوم كانوا يقفون مع صوت الطاغية وكانوا يلهثون وراء تمجيد السلطة لأجل زعامات ومناصب خُلبية.. حينها اتهمت إنتفاضة سنابل القمح بالإنفصال والخروج على الدولة، وحين بدأت شرارة الثورة كنا وقودها إلى اليوم، لنكتشف فيما بعد أنها خيانة حرف الثاء بحرف العين ليظهر لنا الثورة بعد سبع سنين على شاكلتها الحقيقية "العورة".. تلك الفتاوى، وقبلها الكثير من الفوضى كانت كافية لإستسلام الحقيقة في قاع الدم.

في كل حلقة من كل زمان كانت هذه الأمة الأصيلة ضحية إتفاقيات عنصرية وسياسية وعبث فتاوى مأجورة، ومن بين هذا الألم والجراح المتراكمة فإن ضروب الإحسان على أرض الواقع والدماء التي تسيل هنا وهناك يخلط التاريخ والحاضر في ساحة دموية واحدة شعارها التعصب والإنتماء القومي الفاضح.. وعليهم أن يدركوا أن هذه الإنتصارات إنتصارات خُلبية على حساب دماء الأبرياء والمظلومين فكل أسوار أوطانهم نحن بنائه.

لدى إسناد ومقارنة الأحداث والوقائع والأعلام التي ترد في الوثائق الضائعة التي تردد فيها كلمة الكرد نجد مواجهة رباعية بين رائحة نفاق تفوح وعواء الكثيرين تطال المظلومين والأبرياء.. وفي هذا السياق نتساءل في الصمت الساقط والإستفزاز السافر تحت غطاء الدين الذي لوثه هؤلاء ممن يتهمون أحفاد إبراهيم الخليل بالكفر على حساب نفاق مؤجر ومستنسخ من النفاق العالمي المتواطئ، يتهمون الكرد بالإلحاد والإرتداد عن الدين و وفق فقههم وفتاويهم أحلوا بل جعلوا قتال الأبرياء وإبادتهم جهاداً وفتحاً..

كل هذه الفتاوى الباطلة التي لا صلة لها بشرع الله ولا بسنة رسوله بأي علاقة وأي شكل من الأشكال، بل إنها دلالة واضحة أنكم إخوة داعش لكن بصورة أكثر قبحاً هذه المرة بين ذهول الشياطين من أفعالكم.. هذا الدين الحنيف وعقيدة الإسلام الشريفة يؤمن به معظم الأمة الكردية، هذا الدين الذي دعى إلى حفظ حقوق الشعوب والأقوام والإنسان بل وحتى الشجر والأرض. وكلنا نعي وندرك أن هذه الفتاوى فتحت أبواب الدماء إلى ما لا نهاية لها في المستقبل مروراً بالحاضر الدموي.

وفي السياق ذاته نسأل هؤلاء ؟.. ألستم بموقفكم هذا أصبحتم تلاميذ أبو جهل وأبو لهب على هوى عقلية الجاهلية.. وأنا أبوح هذا الألم يحترق قلبي أسىً على تشتت أفكار الكثيرين وخروجهم من أبواب الإلحاد، بيد أن أسمائهم أسماء الصحابة بل وهم أصحاب عقيدة تأصلت منذ أيام الفطرة الأولى.. ما قمتم به بفتاويكم توصل الذل والخنوع و العار..

أصحاب تلك الفتاوى.. هل تستطيعون إجابة شاب كردي نهل من مدارسكم لكنه تمرد على فقهكم الضال وعقيدتكم القومية؟.. أيجوز حضور خطبة ينادي منبرها إلى قتل الأبرياء واستباحة دماء أهل الإيمان؟؟؟..

لن أنتظر إجاباتكم!!!، لكني أنتظر القدر، ونحن على يقين أن السماء ستنتصف.. وفي هذا الصدد أناشد العقلاء وأصحاب القلم والفكر والنور بإلتزام الحكمة رغم قسوة الموقف المؤلم الغارق في الحيرة..

أُقبِلُ جباه كل من إستقوت عليه دموعه قهراً و ألماً على رجولته.. أناشد شباب الكرد والأمة الكردية في أحلك التوايخ حيرة.. أنكم أحفاد إبراهيم الخليل أبناء عقيدة التوحيد الطاهرة أصحاب القلوب الرؤوف.. واعلموا يقيناً أن الحياة صراع لن تبقى لأحد، وأن الرسول (صلعم) كان خاتم الرسل و بيب الله لكنه لاقى الويلات من الإضطهاد والظلم، بل خرج قسراً من وطنه و وقف باكياً على وطنه في ساعة خروجه وهجرته..

يجب علينا أن نكون أقوياء في الفكر والقلم، وأن لا نضعف لنتمرد على الله فنحن أصحاب حق.. ولنصلح أحوالنا بالرجوع إلى أسبابها الحقيقية، وليكن جراح الإستفتاء درساً لنا في ألفية الخيانة..

ورغم هذا الألم والحيرة والقيامة التي تقوم بين الدماء نجد أصحاب الكلمة خلف القضبان في سجون أبناء جلدتهم. !!!

لماذا نتهم السماء بالظلم ؟؟؟... بيد أننا لا نرحم أنفسنا ونحن من أوصلنا أنفسنا إلى هذا الطريق المليئ بالأشواك، وهذه الفوضى التي لا يقبلها ضمير حي ولا أي قلب صادق وعقل سليم. وإن آثار دماء الأبرياء ستبقى تحرج التاريخ وكل إنتصار مزيف غارق بدماء الأبرياء نهايته سقوط على أي أرض كانت، وما بكاء ترك الوطن والموطن إلا دموع عودة إذا أصلحنا أنفسنا ولو بعد حين.

تركيـــا إلى أيـــن؟

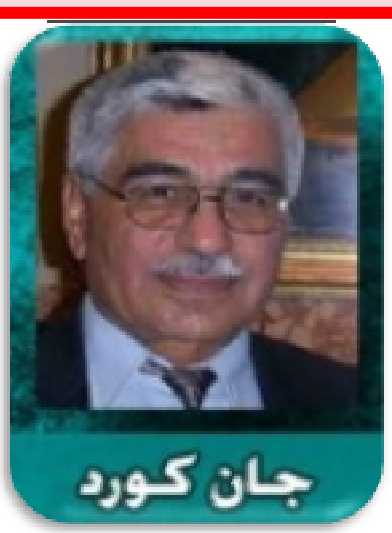

ومن جهةٍ أخرى، فإن السيد أردوغان يعانق ويقبّل السيد روحاني الذي وقف منذ بدء الثورة السورية مع نظام الأسد في تنفيذ مسلسل الإجرام الكبير ضد الشعب السوري، إذ بدون إيران ما كان الأسد ليصمد أسبوعين أمام ضربات الثورة الشعبية، حسب اعتراف القادة الإيرانيين، وها هو السيد أردوغان الذي يعلم جيداً بأن ملالي الشيعة ينتهكون بتصريحاتهم معظم معتقدات المسلمين السنة، ويشتمون نساء الرسول (ص) وصحابته في حسينياتهم وفي إعلامهم، يتحالف مع السيد حسن روحاني الذي تم في ظل عمامته البيضاء إعدام المئات، إن لم نقل الآلاف، من الشباب المسلم السني من البلوج والعرب والكورد، وأي تحالف؟ إنه للوقوف في وجه الدول الغربية العاملة على تغيير نظام الأسد الفاقد شرعيته حسب أقوال السيد أردوغان نفسه.

إضافةً إلى هذا، فإن السيد اردوغان قد اعتقل وسجن أكثر من 100 ألف من مواطني بلاده بتهمة المساهمة في انقلابٍ عسكري، من جنرالات الجيش وقضاة المحاكم ومعلمي المدارس والمحامين والموظفين والنساء والكثير من الصحافيين المرموقين، فأي انقلابٍ في العالم ساهم فيها عشرات الألوف من المواطنين؟

كان من أهم نقاط البرنامج الانتخابي للسيد أردوغان هو "حل القضية الكوردية سلمياً"، فهل تحقق شيءٌ من هذا البرنامج؟ سوى اعتقال نواب حزب الشعوب الديموقراطية وتدمير مدن كوردية مثل نصيبين على رؤوس مواطنيها الكورد؟ وماذا عن عفرين الكوردية؟ فلماذا لم يطلب من الحكومة السورية تطهير المنطقة بنفسها من "إرهاب" الكورد، في حين يطلب ذلك من الحكومة العراقية؟ وهل سيتجرأ جيشه على التدخل في شرق كوردستان (كوردستان إيران) التي فيها تواجد واضح أيضاً لأنصار حزب العمال الكوردستاني؟ ولماذا لم يتدخل الجيش التركي في سوريا رغم مرور سبع سنوات تعرّض فيها الشعب السوري إلى شتى أنواع المآسي والجرائم ضد الانسانية، ولكنه سارع إلى احتلال عفرين بالسرعة القصوى بمجرد سماعه أن الأمريكان يريدون تشكيل قوة "حرس حدود" غالبيتها من الكورد الذين قاتلوا معهم ببسالة ضد تنظيم الدولة وحرروا مدناً وأراضٍ واسعة منها مدينة الرقة عاصمة الخلافة الخيالية؟ ألا يدل هذا على أن الهدف الأكبر لتركيا أردوغان هو القضاء على أي طموح قومي كوردي على أرض آباء الكورد وأجدادهم وليس الدفاع عن الشعب السوري المذبوح؟ رغم أن الأتراك جاؤوا إلى هذه البلاد من صحارى آسيا ليغزوا بلاد الإغريق والأرمن والكورد والعرب والبلغار؟ وليظهروا الكوردي الذي جزّأ المستعمرون وطنه كمعتدٍ وإرهابي؟ فهل يمكن بعد هذا التحدث عن الديموقراطية وحقوق الإنسان في تركيا؟

قد يعتقد السيد أردوغان بأن شعوب بلاده من ترك وكورد وعرب وأقليات جاهلة لا تدري إلى أين يقود سفينتها، ولكن في الحقيقة يعلم المثقفون والإعلاميون والسياسيون أن السيد أردوغان يقود البلاد إلى مستقبلٍ مجهول ومنزلقٍ خطير، فعلاقات تركيا مع الحلفاء القدامى منهارة، ومنهم الولايات المتحدة الأمريكية التي ستلقن الجيش التركي درساً قاسياً فيما إذا حاول الهجوم على وحداتها الصغيرة المنتشرة في مدينة منبج السورية وما حولها، وفرنسا التي أبدى رئيسها ماكرون موقفاً متشدداً من ساسيات وتصرفات السيد أردوغان الذي لن يلقى دولةً أوروبية واحدة ترحّب به بعد استهتاره وتهكمه بالمستشارة الألمانية واتهامه للاتحاد الأوربي بأنه داعم للإرهاب ضد تركيا، واليونان مع قبرص مستعدان لخوض الحرب من أجل حقوقهما في استخراج الغاز من البحر الأبيض المتوسط، وثمة دول عديدة أخرى انهارت علاقاتها مع تركيا السيد أردوغان، منها سوريا ومصر واسرائيل وأرمينيا، أي أن تركيا تقترب من دائرة العزلة التي أدخلها رئيسها بلاده فيها، فهل هذا مفيدٌ لتركيا أم مضرّ بها؟

العملة التركية تفقد من قيمتها يوماً بعد يوم، والاستثمارات التركية في دول الاتحاد الأوروبي في تقلّص شديد، والبنوك العالمية تضيّق الخناق على أنقره، والسياحة في تراجع كبير، والتذمر الشعبي في الداخل يزداد بسبب سياسة التطلّع لاقامة السلطنة من جديد، وبخاصة بين الأقليات الدينية، والقضية الكوردية لم تحلّ، والجارتان سوريا والعراق لاتنفكان تشكوان من التدخل التركي في أراضيهما، وذريعة "إرهاب" الكورد غير مقنعة لأن الكورد هم سن الحربة العالمية ضد الإرهاب التكفيري في المنطقة.

والنقد الإعلامي في العديد من الدول العربية والعالمية لمجمل سياسة السيد أردوغان في صعودٍ وانتشار، وغزو عفرين يلقى من إيران رفضاً لأن إيران تعلم علم اليقين أن تركيا تنوي ضم هذه المنطقة الثرية زراعياً إلى أراضيها مثلما فعلت من قبل بلواء اسكندرون (هاتاي)، وروسيا لن تتخلى عن مصالحها وصداقتها مع اليمين الاسرائيلي من أجل عيون السيد أردوغان، ولن تساعده في الترقي إلى مرتبة السلطان لأن لروسيا تجربة طويلة المدى مع السلطنة العثمانية سابقاً، وسوريا ستطالب ببقاء "ولاية عفرين" تابعة لسوريا، في حال وصول المعارضة إلى الحكم، بل إن نظام الأسد لن يسكت عن اقتطاع "جزء من الأرض السورية" في الوقت الذي يزعم السيد أردوغان أن غزوه لعفرين كان لمنع تقسيم سوريا، وسيدعم النظام رغم ضعفه الكورد الموالين له للقيام بعمليات قتالية ضد الوجود التركي...

ثمة من يقول بأن أمريكا أوقعت السيد أردوغان في فخ منصوب بذكاء، فها هو يحسب ألف حساب قبل الإقدام على إرسال قواته صوب منبج، إذ هناك الآن قوات فرنسية أيضاً والبريطانيون متواجدون ضمن قوات التحالف الدولي، والعراق يشدد على ترك منطقة شنكال (سنجار) لأهلها الكورد اليزيديين، وكل المساحات التي أمام أنقره أصبحت حقول ألغام... فما العمل؟

أعتقد أن الحكومة التركية ستقوم بإرسال وفود عديدة لإرضاء الاتحاد الأوروبي، إذ أن كل الدروب تؤدي إلى باب هذا الاتحاد الذي بات طرقه من قبل الأتراك شبه مستحيل، بل إن غاية كل سياسات السيد أردوغان هي الضغط من أجل أن يُفتَح له باب الانضمام إلى "النادي الصليبي- حسب تعبير الزعيم الراحل نجم الدين أربكان"، وستبتاع أنقره من الولايات المتحدة صواريخاً أعظم وأغلى وأقوى من الصواريخ الروسية المعروضة من قبل روسيا عليها، وستطالب بإدارة مشتركة بينها وبين فرنسا والولايات المتحدة في غرب الفرات، وستسعى لإقامة علاقاتٍ بوساطة إيرانية - روسية مع نظام الأسد، فالتقلبات السريعة من سمات العهد الأردوغاني، ولن ينفع أنقره قرع رئيسها المستمر على طبول الحرب واستخدام لغة التهديد والوعيد واللجوء إلى سلاح الاهانات والاستخفاف بالدول وقادتها، وبخاصة تلك القوية منها.

أما كوردياً، فلا بد أن يخطو السيد أردوغان خطوةً إلى الوراء ولو مؤقتاً، خوفاً على الأصوات الانتخابية الكوردية الكثيرة لحزبه، حزب العدالة والتنمية، في الانتخابات القادمة، بدءاً بالتواصل مع قيادة اقليم جنوب كوردستان المضطرّة اقتصادياً واستراتيجياً لخفض جناحيها، لكل من تركيا وايران، في هذه المرحلة على الأقل، إلاّ أن الكورد لن يلدغوا من جحرٍ مرتين، بعد أن صدمهم السيد أردوغان والسيد روحاني في موضوع الاستفتاء الديموقراطي على الاستقلال أو عدمه.

أي يمكن القول بأن مسيرة السيد أردوغان ستنتهي كمسيرة أي زعيم تركي آخر، نجاحات سياسية أو اقتصادية مثل الزعيم الراحل تورغوت أوزال، ثم التحدث عن أحلام الدولة الكبيرة، ثم الانزلاق والسقوط في نهاية الأمر...

إن تركيا التي تنمو اقتصادياً بحكم حيوية أسواقها وانتاجها لن تقبل بأن يفرض عليها زعيم حزبٍ أو رئيس دولة مهما كان قوياً أحلامه اللذيذة كأهداف قابلة التحقيق، كما يحلم السيد أردوغان بمد دولة الإخوان المسلمين على سائر العالم الإسلامي وفي طليعتها العصبة الطورانية التي تؤمن بأنها من نسل "النثبة الرمادية"، وحقيقةً فإن الإخوان المسلمين يعتقدون بأن هذا السيد ليس إلاّ غلاماً لهم يسخرونه لهذه المرحلة ثم يتجاوزونه، ويبدو أن الطرفين "طلاب السلطنة العثمانية" و "الإخوان المسلمون" يجيدون الضحك على ذقون بعضهما كما تقول العرب.

مهام ما بعد الاحتلال في عفرين

السياسيون الكورد يزعمون أنهم يناضلون "ضمن حدود الامكانات الواقعية"، ولكن في الواقع فإن لمعظمهم شطحات "صوفية" صارخة في عالم السياسة، ومن أخطرها تلك التي تجلب الهزائم أو الانتكاسات للشعب الذي يمارس هؤلاء السياسة باسمه أو بالنيابة عنه، فالنتائج التي كنا نتوقّع حدوثها منذ زمنٍ بعيد لما سيحدث في منطقة جبل الكرد (مركزها عفرين) في حال غزوها من قبل الجيش التركي، مستفيداً من الأجواء العامة للمأساة السورية ومن التحالفات الاقليمية والدولية المتلاحقة المتناقضة، كانت كارثية بالنسبة لشعبنا بالتأكيد، إنسانياً واقتصادياً واجتماعياً ووجودياً. وعلى الرغم من ذلك يدعو البعض من سكارى القوم إلى "لململة القوى الطليعية!" من جديد لتحطيم وتدمير ما تبقى من قدرات وطاقات هذه المنطقة التي نأت بنفسها سبع سنواتٍ طويلة عن شرور الحرب السورية وظلّت مأوىً ومسكناً لكل الوافدين من شتى أنحاء البلاد السورية، الذين كانوا يبحثون عن الأمن والاستقرار لعوائلهم.

والآن، ماذا على الكورد الواعين المتألمين حقاً القيام به في ظل الاحتلال التركي الذي لا يبدو مثار اهتمامٍ لكثير من قوى الشعب السوري وحراكه السياسي – الثقافي، بل يبدو وكأن "عفرين" واقعةٌ في دولةٍ أخرى، لم ولا ولن يدافع عن شعبها أحد، فاختفت بسرعة البرق تهديدات النظام بإسقاط الطائرات التركية، كما زال كل الحديث الممل عن "وحدة التراب الوطني" و"رفض الانفصال" و "الأكراد مكّون سوري أصيل!"، بل تم وضع سيطرات مسلحة على ممرات المنطقة صوب المدن السورية تأخذ من المواطنين الكورد ضريبة"دخول وخروج من وإلى كوردستان" بمبالغ طائلة لا يستطيع دفعها إلاّ الأثرياء.

بل على العكس من دفاع النظام أو المعارضة عن هذا "الجزء الأصيل!" من الكيان السوري المنتهك المنهوب في وضح النهار، فإن الجيش السوري الحر ومعظم فصائل "الإسلام" قد لعبت في هذه الحرب على المنطقة الكوردية في شمال البلاد دور العساكر المشاة في الغزو التركية العنصرية كما في حرب "سفر برلك"، فتعرّض سكانها بالجملة إلى السلب والنهب والإذلال والمهانة، وكأن كل مواطني عفرين من القومية الكوردية "إرهابيون"، ليس في نظر "الإرهابيين" فحسب بل في نظر "الأحرار المعتدلين!" أيضاً.

هناك العديد من الشعوب والأمم في التاريخ البعيد والجديد تعرّضت إلى ما تعرّض إليه شعبنا الكوردي، سواءً في العراق حيث قضت "حرب الأنفال" في عهد صدام والبعث على معالم الحياة الإنسانية، أو في سوريا حيث الغزوة "العثمانية الجديدة" وما تبعها من تدمير وانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان، ومن تلك الشعوب: الشعب الصيني على أيدي اليابانيين الذين أبدوا وحشيةً تقشعر لها الأبدان لا مثيل لها في حربهم الاستعمارية، وعلى أيدي البريطانيين أيضاً، كما تم تدمير البنية التحتية فيما بعد لليابان ذاتها أثناء الحرب العالمية الثانية وحلّت بها كارثة القصف النووي لمدينتي هيروشيما وناغازاكي.

كما تعرّضت المدن الألمانية للدمار والنهب والسلب على أثر اقتحام الجيش السوفييتي لها في نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد تعرّض مدينة ستالينغراد الروسية للحرب العدوانية النازية عليها، ناهيك عن الحديث عما أصاب شعوباً عديدة في آسيا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا عبر التاريخ من ويلاتٍ سيطول الحديث إن تطرّقنا إليها الآن...

لقد استلم الهونغ كونغيون والسنغافوريون بلادهم قاعاً صفصفاً من أيدي الغزاة والمحتلين، فماذا فعلت هذه الشعوب حتى نهضت من تحت الركام ووقفت على الأقدام وأصبحت مع الأيام من أشد دول العالم تحضّراً وقوةً مالية واقتصادية ينحني لها الغزاة السابقون بالإجلال والاحترام؟

قبل كل شيء، اعترف قادة هذه البلدان والمدن والكانتونات المدمرة المنهوبة بهزيمة شعوبهم وسياسات زعاماتهم، قمة من انتحر شامخاً أبياً أو وقف أمام القضاء ليعترف بذنبه وجريمته كالأبطال، ومنهم من نالته أيدي العقاب والجزاء على ما ارتكبه من أخطاء جسيمة وجرائم كبيرة وتعاملٍ سيءٍ مع شعوبهم أو لارتباطاته الخيانية بالأعداء. وعملت القيادات الجديدة على فهم ما جرى لشعوبهم من خلال إدراكٍ صحيح للواقع الجديد، فمن أهم الأمور هو التحرّك الواقعي ضمن شروط وظروف "الاحتلال" لا الركض وراء أوهام أو طموحاتٍ سياسيةٍ جديدة أو القبول بالتبعية لأطراف تملي على الزعامات ما لا خير فيه للشعب المنكوب المنهوب.

والتحرّك حسب إحداثيات الواقع الذي أفرزه الاحتلال هو الطريق الأمثل لمن فقد معظم قواه السياسية والقتالية والاقتصادية مثل شعبنا في عفرين ثم يأتي العمل المشترك لإعادة البناء والتعمير كشعبٍ واحد، محافظٍ على وجوده القومي و (لغته) التي بدونها نفقد صلاتنا القومية وعاداتنا وتقاليدنا، بل التحرّك والعمل كعائلةٍ واحدة، فلقد بنت نساء الألمان مدناً وقرى وجسوراً وسككاً حديدية دون مقابل وكأن الذي تهدّم ممتلكات العائلة، وهذا الشعور بوحدة المصير والترابط الاجتماعي والايمان بضرورة العمل معاً يجب أن يشمل الجميع، وهذا يتحقق من خلال التغيير الجذري في التربية الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية برمتها، فلا نجاح في شؤون الحياة العامة دون تربية صحيحة تضع نصب أعينها إنقاذ الشعب والوطن.

الشعارات والبرامج السياسية للأحزاب لا تفي بالغرض، وإنما البدء بتربية عصرية بناءة وجادة للخروج من الأزمة العامة. وهذا يجب أن يترافق مع حث المواطنين على إيلاء أشد الاهتمام بتطوير القدرات الاقتصادية والمالية لكل مواطن عن طريق المساعدة الذاتية ضمن العوائل، في كل مكان بشكلٍ تعاوني شامل، فإن شعب عفرين عائلة واحدة، والذين يتصرفون على العكس من ذلك يجب محاصرتهم والتضييق عليهم اقتصادياً لأنهم يتصرفون بشكل خاطىء ضمن العائلة الكوردية. على الواعين من شعبنا مساعدة المواطنين على فهم واقعهم الجديد وتعليمهم كيف يبنون عشهم الاقتصادي بأنفسهم والتصرّف كمتحدٍ اجتماعي متماسك ونشر الوعي الاقتصادي بينهم..

على الكوردي الذي يملك اليوم 100 ليرة سورية أو تركية فقط أن يثبت لمجتمعه بتحقيقه في وقتٍ قصير وبالطرق المشروعة قانونياً وعقيدياً واجتماعياً، لا عن طريق الإجرام والاختلاس والفساد، أضعاف ما كان يملك، وهذا يتطلب الكف عن المهاترات السياسية والتسكّع بذريعة أن لا خروج من المأزق أو "ليس بالإمكان أحسن مما كان" والنزول من الأبراج الحزبية لتعليم المواطنين كيف يبنون ذاتهم الاقتصادية رغم كل الظروف والتحديات.

لن تصعد عفرين من بين الركام دون تفكيرٍ اقتصادي تعاوني واجتماعي حديث ودون تربيةٍ جديدة، في الأسرة والمدرسة ودور العبادة وصالات الرياضة، أي تربية بناء الوطن وتحويله إلى هونغ كونغ أو ماليزيا أو سنغابور في شمال سوريا / جنوب تركيا، إذ لايهمنا أن ترفرف أعلام اليابان أو بريطانيا أو الصين أو أمريكا أو تركيا أو دمشق الجريحة على سراي عفرين ومدارسها، أو عودة فرنسا للحكم في سوريا، وإنما يهمنا أن نبني أنفسنا كشعب كوردي، حيث لا يعترف أحدٌ بحقنا في الحرية والحياة، ومن يساعدنا فإنما يضع أولاً مصالحه القومية أو الوطنية نصب عينيه، فهكذا كانت الحياة الانسانية وستبقى هكذا عبر العصور. ...ص 7

لقد حان الوقت لرفع اليد عن غربي كردستان

بيار روباري

عندما نقول حان الوقت لرفع اليد عن غرب كردستان، مَن نقصد بذلك؟ نقصد بذلك في المقام الأول حزب العمال الكردستاني، الذي لم يبق من كردستانيته سوى الإسم، بعدما تخلى كلياً عن فكرة إنشاء دولة كردية في شمالي كردستان وغربيها للشعب الكردي، فما بالكم بكردستان الكبرى. وجريه خلف "نظريات" لا وجود لها في العالم الفكري، ولا في الواقع العملي على الإطلاق، كنظرية "الأمة الديمقراطية"، وهي بنظري ليس سوى كلام سخيف ومجرد هلوسات لا أكثر.

وثانياً، الأحزاب الكردستانية في الإقليم. عليهم أن يرفعوا اليد عن الأحزاب الكردية في غربي كوردستان، فالوضع يختلف في الجزأين من كوردستان، ولكن لابأس من التنسيق والتشاور بين جميع الأحزاب الكوردستانية بدون مصادرة أحد لإرادة الآخر.

لنبدأ أولاً بحزب العمال "الكردستاني"، كونه الأكثر تأثيراً على الكرد السوريين بغرب كردستان، ويمسك بقرارهم السياسي، بحكم عمله لفترة طويلة هناك بين الكرد أثناء فترة حكم حافظ الأسد. ولا يحتاج الأمر للإثبات بأن تنظيم (ب ي د)، هو مجرد فرع لحزب العمال الكردستاني، وعلى كل حال هم لا ينكرون ذلك.

برأيي حان الوقت من زمن بعيد لأن ترفع قنديل أياديها الثقيلة عن غربي كردستان، لكي يقرر الكرد في هذا الجزء من كردستان، بأنفسهم ماذا يريدون، وماهي مطالبهم من الحكم والمعارضة. ولا أظنهم بقاصرين كي يقرر عنهم قنديل أو هولير أو السليمانية. وكان من المفروض على حزب العمال أن يكف عن التدخل في غربي كردستان، بعد مغادرة اوجلان سوريا وإنتقال الكوادر القيادية من البقاع إلى جبال قنديل. ولكنه للأسف لم يفعل ولن يفعل ذلك في المستقبل المنظور، والكرد السوريين الموالين له، لم يملكوا الجرأة الكافية ليقولوا له كفى، ويقرروا أن يستقلوا بقرارهم السياسي عن هذا الحزب الشمولي، البعيد عن الواقع الذي تعيشه منطقتنا هذه الأيام.

ونتيجة لإنسداد الأفق أمام حزب العمال في شمالي كردستان، بسبب جنوح حزب العدالة والتنمية بقيادة أردوغان إلى التطرف في معادة كل ما هو كردي، وثانياً، النهج الخاطئ لحزب العمال في التعامل مع الداخل التركي، وسعيه لفرض رؤيته الخاصة على حزب (ه د ب)، المعتدل، ومنعه من الدخول في حكومة إئتلافية، تضم الكرد في حزب أردوغان، بعدما حصد حزب (ه د ب) على أكثر من 88 مقعداً من مقاعد البرلمان التركي الحالي. ونتيجة لهذا الرفض، وعدم اتخاذ مسافة من (ب ك ك)، أدى بالوضع إلى الإنفجار من جديد، وتوقف المسار السلمي، الذي بدأ بين الطرفين واستمرت لفترة طويلة، والتي على ضوئها، هدأت الأوضاع في جبهات القتال.

كان على (ه د ب)، الذي أخذ ووافق على أن يمارس العمل السياسي ضمن أطر القوانين التركية المعمول بها، والتي على أساسها شارك في العملية السياسية أن لا يتبنى مواقف قنديل، ويشق سياسة براغماتية خاصة به، وكان بإمكانه أن يخطو للأمام، ويحقق الكثير من الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي، عبر النضال السياسي السلمي الدؤوب. ولا يمكن لحزب العمال أن يحقق أي إنجاز حقيقي في شمالي كردستان وغربيها، من دون التحالف مع المعارضة المعتدلة السورية والتركية لأسباب كثيرة، لا يسمح المجال سردها الآن.

لقد ارتكب حزب العمال الكردستاني خطأً فادحاً، عندما رفض الإنضمام للثورة السورية السلمية بكل طاقته وإمكانياته، وإختبائه خلف نظرية "الخيار الثالث" وهو مجرد كلام في الهواء لا معنى له، وذكرني ذلك بهلوسات العقيد معمر القذافي وبدعته التي سماها (الكتاب الأخضر)، وحكم الجماهير. ولم يكتف حزب العمال بذلك بل ابتدع لنا بدعة إسمها "ثورة روزآفا" ونسي أن يقول ثورة على مَن؟ إضافة لذلك قام بمنع الشباب الكردي من المشاركة بالمظاهرات والمسيرات المناهضة للنظام في المناطق الكردية بالقوة. والهدف كان تحييد الكرد بطلب من النظام السوري، الذي إحتضن الحزب لسنوات طويلة وخاصة في مراحله الأولى. وبذلك خسروا المعارضة والحكومة معاً. وتمكن من حكم المناطق الكردية، بدعم مباشر وصريح من النظام، بهدف إقلاق تركيا وإقصاء الأطراف الكردية المتحالفة مع أحزاب إقليم كوردستان، المتواجدة على الساحة الكردية لعقود طويلة، وبذلك أحدث النظام شرخاً عميقاً بين الكرد، يتحمل مسؤوليته (ب ك ك) و (ب د ك) معاً.

ورمى حزب العمال حاله مؤخراً في أحضان الأمريكان، الذين كانوا يرفضون اللقاء بهم ويعتبرونهم مجموعة إرهابيين، وحضوا جماعة الأنكسة على عدم الإنضمام للإدارة الذاتية، وأفشلوا مع الأتراك، كل المفاوضات التي جرت في كل من دهوك وهولير وقامشلو بين الطرفين. ولهذا رفض الأمريكان التعامل السياسي مع (ب ي د)، هم فقط كانوا بحاجة لزنود وسواعد المقاتلين الكرد لمحاربة تنظيم داعش الإرهابي على الأرض، ليحافظوا هم على حياة جنودهم لا أكثر.

وهذا ما فعلوه مع الكرد في جنوبي كردستان، وفي النهاية تخلوا عن الكرد في عفرين وكركوك معاً كما شاهدنا، وسوف يتخلون عنهم في شرق الفرات أيضاً. عدة مرات كتبت مطالباً قيادة (ب ي د) من خلال مقالاتي، بأن ينضموا للثورة السورية، لأن بقاء النظام السوري في الحكم، أخطر من داعش على الكرد، ولكن لم يستمعوا !!!

وبعد كل ما حدث في غربي كردستان وسقوط عفرين، وفشل سياسة حزب العمال في إحداث تغيير في مواقف المعارضة والنظام، عليه أن يتحلى بالشجاعة ويعترف بفشله، ويقدم إعتذاره للشعب الكردي، ويرفع يده نهائياً عن غربي كردستان، هو وأحزاب الإقليم معاً، كي يقرر الكرد السوريين بأنفسهم مصيرهم، لأن لكل جزء من كردستان خصوصيته بحكم التي نعيشها. وهذا لا يعني عدم التواصل والتشاور بين الكرد في الأجزاء الأربعة من كردستان.

وفي المقابل، أيضاً على الإقليم وأحزابه رفع يدهم عن غربي كردستان، وأن لا يحرضوا جماعة ضد الأطراف الكردية الأخرى، وإغلاق القواعد العسكرية التركية الكثيرة في جنوب كردستان، والتي تحيط بهولير.

لا يمكن للكرد السوريين أي يحققوا شيئاً، إن لم يتحرروا من التدخلات في شؤونهم، وعليهم وضع استراتيجية موحدة، تخرجهم من هذا المأزق الحالي، الذي وضعوا أنفسهم به، ويعملوا كصف واحد من أجل ايجاد حل سياسي عادل للقضية الكردية في سوريا، وهذا لا يمكن أن يتحقق في ظل نظام البطش والقتل القابع في دمشق.

خلاصة القول، القيادات الكردية السورية تتحمل الجزء الأكبر، كونهم قبلوا التبعية لهذا الطرف أو ذاك، وثانياً، الطرفين الكرديين (ب ك ك) و(ب د ك) اللذان يسعيان لتوسيع نفوذهم على حساب بقية الكرد. ورأينا كيف أن الطرفان، إلتزموا الصمت تجاه ما تعرضت له منطقة عفرين، من عدوان وإحتلال تركي بغيض، ولم يحرك الحزبان ساكناً.!!!!!

أيها الكرد السوريين، آن لكم أن تستفيقوا من غفلتكم الطويلة، لقد باعوكم بنوا جلدتكم قبل الآخرين، هذه للأسف حقيقة وليس فيه أي تجني على أحد. فهل من متعظ؟ الجواب لا.

الكرد ولعبة الدول الكبرى

الكرد "العراقيين" كانوا يتمتعون بإقليم فدرالي خاص به، ومعترف به من قبل الأمم المتحدة، وأكثرية دول العالم. وهولير كانت تضم العديد من البعثات الدبلوماسية على مستوى القنصليات. وكان يعمل المئات من الشركات الغربية والتركية في الإقليم، لهذا هبت الدول الغربية للدفاع عن مصالحهم ومواطنيهم، عندما هدد تنظيم مدينة هولير عاصمة الإقليم، بعد وصوله إلى أطرافها الجنوبية، بعد سيطرته على مدينة الموصل العراقية.

وفي هذا الأثناء توافد العديد من الزعماء الغربيين إلى هولير، وأعربوا عن دعمهم للكرد وقدموا بعض أنواع الأسلحة، تمكنهم في الدفاع عن أنفسهم مقابل تنظيم داعش المتوحش. ولكنهم لم يقدموا للكرد أي قطعة سلاح ثقيل أو طيران أو صواريخ، وكل ما تم تقديمهم بعض الصواريخ ضد المدرعات، ولم يعطى ذلك للإقليم إلا بعد موافقة بغداد أي الحكومة المركزية، والتشاور معها سلفاً!!! ماذا يعني ذلك؟ يعني أن الغرب لم يغير موقفه من الكرد، وكان ينظر إليهم على أنهم جزء من العراق، وكانوا يغلبون الدولة العراقية على الكرد.

هنا وقعت القيادة الكردية في الخطأ، واعتبروا ذلك دعم لهم وللكرد في وجه الحكومة العراقية، وهذا الفخ الذي وقعوا فيه بسبب عدم قدرتهم على قراءة مواقف الدول الغربية بشكل صحيح، وبسبب هذا "الدعم" الموهوم، أطلق البرزاني عدة تصريحات نارية فاجأت كافة الجهات المحلية والدولية، كتصريح: "الحدود ترسم بالدم"، وأصر على ضوء ذلك البقاء في منصبه كرئيس للإقليم رغم إنتهاء مهلة رئاسته القانونية. وباصراره هذا تسبب في أزمة سياسية خطيرة للغاية، مما أدى إلى تفجر الخلافات بينه وبين بعض القوى السياسية الكردية.

وبإجراء الاستفتاء حول مستقبل الإقليم، رغم كل التحذيرات الغربية والإقليمية والعراقية، ورغم أن الأغلبية المطلقة من الكرد كانت مع الاستقلال، فإن ذلك لم يكن كافياً للدول الكبرى، وكانت النتيجة خسارة غالبية المناطق الكردية المتنازع عليها وضياع مدينة كركوك الكردية مرة أخرى.

ماذا فعلت الدول الكبرى التي بيدها الأمر وخاصة الولايات المتحدة عندما غزت جحافل الحشد الشيعي الطائفي البغيض الأراضي والمدن الكردية، لقد أدارت ظهرها للكرد وقالت: "هذا شأن عراقي داخلي وليس لنا أي علاقة بذلك، ونحن مع وحدة العراق وضد أي تقسم لأراضيه".

لقد أدارت ظهرها للكرد وقالت: "هذا شأن عراقي داخلي وليس لنا أي علاقة بذلك، ونحن مع وحدة العراق وضد أي تقسم لأراضيه". ماذا نستخلص مما سبق؟...:

إن القضية الكردية مازالت في أعين الدول الكبرى، قضية داخلية لكل دولة، من الدول التي يعيش فيها الكرد. رغم كل التغيرات التي شهدتها المنطقة خلال العشرين سنة الأخيرة. حيث ما زالت القضية الكردية من المحرمات الدولية، ولم يحن الوقت لفتحها ووضعها على جدولها.

إن اقتراب الدول العظمى من هذه القضية السياسية العادلة، مازال محصوراً في الجانب الإنساني فقط. وفي العراق ولأسباب وظروف معينة، تمكن الكرد من فرض قضيتهم على المعارضة والأمريكان، ونيل بعض الحقوق المهمة ولكنهم خسروها لاحقاً بسبب عدم استيعاب الكرد للسياسات الدولية، وقراءة خارطة الأحداث السياسية، وأخذ المبادرة والقيام بجمع الكرد على طاولة واحدة، للبحث بشكل جماعي، مستقبل هذه الأمة بشكل عام، ومناقشة وضع كل جزء من كردستان، والبحث سوياً لإيجاد الحلول المناسبة لكل جزء.

أما في حالة "الكرد السوريين"، فالوضع مختلف بشكل كلي عما هو في العراق، فقضية الكرد السوريين، لم تظهر على رادرات الدول الكبرى وسياساتها الخارجية، قبل إندلاع الثورة السورية ولا مرة. وحتى بعد اندلاع الثورة بفترة طويلة، ظلت القضية الكردية قضية ثانوية بالنسبة للغربيين والمعارضة السورية على حدٍ سواء.

بدأ الإهتمام الأمريكي والروسي والتركي بالشأن الكردي، بعد سحب النظام موظفيه وجميع أجهزته من المناطق الكردية وتسليمها لحزب الإتحاد "الديمقراطي" الموالي لـ (ب ك ك)، وظهور تنظيم داعش الإرهابي على الساحة السورية، وتمدده إلى العراق، وسيطرته على مدن رئيسية ومهمة، وتمدده على مساحات كبرى من أراضي البلدين. وكذلك إمتناع جميع فصائل العارضة المسلحة العربية، الإسلامية منها والقومية في محاربة تنظيم داعش الدموي.

هذا الوضع دفع بالولايات المتحدة الأمريكية، في البحث عن جهة تستعين بها، لتقاتل تنظيم داعش على الأرض في سوريا، بدلاً من جنودها. ووجدت ضالتها أخيراً، في وحدات حماية الشعب الكردية، المنظمة بشكل جيد وتخضع لقيادة مركزية، وتلتزم بأوامرها بشكل كامل. وقامت باجراء الإتصالات بشكل مباشر وغير مباشر بها، بهدف العمل سوياً. وهذه الوحدات رأت في العرض الأمريكي فرصة لا تعوض، وخاصة أن أمريكا ولفترة تعتبر حزب (ب ي د) تنظيماً إرهابياً وتطالب القوى الكردية الأخرى الإبتعاد عنه، وعدم مشاركته في أي هيئة كانت.

بدأ التعاون بين الطرفين، ومع مرور الأيام أثمر هذا التعاون عن تحقيق إنجازات مهمة على الأرض، وظن قادة (ب ي د)، بأن هذا التعاون الأمريكي معهم إعتراف سياسي وإن كان غير رسمي، ومع الوقت أمريكا ستتعامل معهم سياسياً وتعترف بإدارتهم التي شكلوها في غرب كردستان بمفردهم.

لكن القيادات الكردية الهاوية، لم تكن تعلم بأن الأمريكان إتفقوا سراً مع الروس على تقاسم مناطق النفوذ في سوريا، وأن المناطق الكردية قسمت إلى قسمين: القسم الأول، شرق الفرات وهي من حصة الأمريكان. والقسم الثاني، غرب الفرات وهي من حصة الروس. لذا عندما طالبت القيادة الكردية بالحماية الأمريكية لعفرين، قال الأمريكان صراحة: "عفرين لا تقع ضمن مناطق نفوذنا". والروس كما هو معروف قاموا ببيع الكرد بشكل رخيص لعدوهم التاريخي التركي، وسمحوا له بإحتلال منطقة عفرين، مثلما سمحوا له من قبل بإحتلال مدينة جرابلس والباب وإعزاز. والآن أعلن الرئيس الأمريكي عن نيته سحب قواته من سوريا قريباً، وهذا سيكون مبحث مقالتي القادمة.

رغم هذا المشهد السوداوي الذي يسود القضية الكردية هذه الأيام، بعد الخسائر التي منيوا بها في كل من جنوبي وغربي كردستان، يجب أن لا تحجب عن أعيننا وقائع مهمة للغاية موجودة على الأرض، ألا وهي:

إقليم جنوب كردستان، منطقة فدرالية وفق الدستور العراقي، ومعترف بها من قبل الإمم المتحدة،..... التتمة ص 10

الخروف المدرَّع

د.آلان كيكاني

يا للوحش!

حين بانت قرونه من بين ركام الأطلال، وانتشرت رائحته، رائحة التيس في موسم السفاد، وماج شعره الأسود الكثيف الملبد مع هبوب الرياح، وملأت دمدمةُ حوافره وهدير حنجرته وفحيح أنفاسه الآفاقَ، بثَّ الرعب في قلوب أعتى الجبابرة، وارتعدت فرائصهم، وراح أهل الغابة يبحثون عن وسيلة للتخلص منه قبل أن يتمكن منهم، ويقضي عليهم.

"مَن للوحش أيها الأبطال؟

من للوحش أيها الصناديد؟

من للوحش أيها البواسل؟

ووعداً منا، من دحره كان له ما يشتهي ويتمنى".

بهذه العبارات خاطب أعيان الغابة ووجهاؤهم الجمهور على خشبة مسرح روماني، يشحذون همم شعوب الغابة، ويحثونهم على الدفاع عن وجودهم ضد الخطر المحيق بهم. وكرروا نداءهم مرتين، وثلاثاً، وأربعاً، ينتظرون من يرفع يده ويأخذ على عاتقه مهمة تخليص أهل الغابة من الكارثة الوشيكة.

غير أن آمالهم خابت حين شاهدوا الأسد، أعتى العتاة وأقوى الأقوياء، قد دس ذيله بين فخذيه، وأطرق رأسه حتى لامس خشمه الأرض، ثم استدار وانصرف إلى عرينه في ذل واضح وهو يترنح في مشيته.

وما لبث أن اقتدى به النمر، ثم الفهد، ثم الذئب، ثم الضبع، ثم الكلب. أما الثعلب والأرنب فلم يُعرف لهما، أصلاً، أثرٌ منذ الساعة التي بات يجري الحديث فيها عن الوحش المدمر، قاهر الهامات، ومحطم الرؤوس.

وتسللت الأفاعي والعقارب والعناكب إلى جحورها.

وطارت النسور والصقور والعقبان إلى أوكارها على قنن الجبال، ترصد منها ما يجري على الأرض.

وحتى الحيتان وأسماك القرش ارتدت من أطراف البحر إلى أعماقه، حينما تناهت إلى أسماعها أحاديث تتناول الوحش، وهمجيته، وقسوته، وقوته، وجبروته، وقدرته الهائلة على القتل والتدمير، وتشبهه بالمارد الذي يخرج من القمقم ولا يستطيع أحد السيطرة عليه، ثم لا يعود إليه إلا وقد عاث في الأرض فساداً ودماراً.

وفي الساعة التي أدرك فيها السادة والأعوان أن الساحة قد خليت إلا منهم، وأن الوحش قادم لا محالة، دبّ الرعب في نفوسهم وقرروا أن يتركوا الغابة ويولوا الأدبار.

وقبل أن يهبطوا أدراج المسرح سمعوا مأمأة. التفتوا إلى جهة الصوت، فوجدوا خروفاً صغيراً، منفوش الصوف، ضامر البطن، انسل من بين مقاعد المسرح واتجه نحوهم. فتوقفوا له حتى أدركهم.

ويا لدهشتهم حين سمعوه يقول لهم وبكل ثقة:

- أنا له يا سادة.

ضحكوا منه وقالوا له:

- لكن صوفك ناعم، وجلدك طري، وأظلافك كليلة، وأسنانك ضعيفة، أيها الخروف الوسيم، وعضة واحدة من أسنان الوحش الكبيرة، أو ضربة من قرونه الحادة، أو ركلة من حوافره الضخمة، كافية للقضاء عليك أيها الصغير. فكيف ستواجه هذا العملاق الذي ترتعش على ذكره قلوبنا رغم جبروتنا وحيلتنا؟

- وبمزيد من الشجاعة والثقة بالنفس، رد عليهم الخروف وقال:

- درّعوني، وستروني.

- لا عليك، سندرعك، وسنراك.

- لكن قبل أن نبدأ، بمَ ستكافئونني إن أنا هزمت الوحش، ورددته على أعقابه؟

- انظر إلى هذه الجهة أيها الوسيم، سيكون لك هذا المرج كله، ترعى فيه بسلام حتى تشبع، وتلعب فيه بحرية حتى تتعب. وفي وسطه جداول وغدران تشرب منها حتى ترتوي.

- اتفقنا.

وصنعوا للخروف رداءً من جلد القنفذ، وجعلوا له أنياباً حادة ليعض بها، بدلاً من أسنانه التي لا تهرس غير الكلأ، وألبسوا أظلافه بمخالب نافذة ذوات رؤوس مدببة، وركّبوا له حنجرة تصدر صوتاً هو مزيج من زئير الأسد ونحيم الفيل وزمخرة النسر ليرهب به عدوه، ثم أطلقوه على الوحش.

حين رآه الوحش، وسمع صوته الغريب يستدرجه به إلى ساحة القتال قال له:- كفّ بلاك عني أيها الحمل الوديع ولك مني الأمان، فإني في النهاية لا أقصدك، وإنما أقصد من درّعوك.

لكن الخروف المتحمس لم يأبه بتحذيراته، وتقدم نحوه بشجاعة ورباطة جأش. وحين كان على بعد خطوة واحدة منه نطّ فجأة وغرز نواجذه الحادة في عنق الوحش. فصرخ الوحش وجرى بسرعة والخروف يتدلى من عنقه مثل جرس ينوس في جيد كبش، ويحاول خنقه كما تفعل الضواري حيت تصطاد فريستها. لكن الخروف سرعان ما تعب وسقط أرضاً، فارتد عليه الوحش وركله ركلة قوية، فغرزت أشواكه الحادة في ساق الوحش وراح الأخير يصرخ ويولول من شدة الألم، وينزف من ساقه. وبعد ساعة من الكر والفر ركن الوحش في واد من شدة التعب والإرهاق وربض هناك يلهث، فارتقى الخروف سفح الجبل وكوّر نفسه حتى صار كرة من الأشواك وتدحرج سريعاً نحو الوحش حتى ارتطم به فزعق الأخير من الرعب، وقفز في الهواء، وأطلق العنان لقوائمه، وجرى بأقصى سرعة، دون أن يلتفت إلى الوراء حتى غاب خلف الأفق.

إلى الوراء حتى غاب خلف الأفق.

وحين تيقن الخروف ان الوحش ولى من غير رجعة أخذ يلعب ويقفز في الهواء فرحاً بالإنجاز الذي حققه. ثم عاد إلى المسرح، حيث كان الأعيان يراقبون صولاته وجولاته مع الوحش مصفقين له وهو يذيقه شر الهزائم، وطالب بمكافأته.

وبينما كان ينادي مناد شعوب الغابة قاطبة ويدعوهم إلى الاحتفال بالنصر الكبير الذي حققه الأعيان على الوحش ويطالبهم بالحضور لتناول وليمة الغداء على أرض المسرح، نزع الأعيان سترة الخروف من جلد القنفذ عنه، وأزالوا نواجذه الحادة وبراثنه الصلبة. ثم أبطحوه أرضاً، وتحكم أحدهم بقوائمه الأربعة وجاء آخر وفي يده سكين يلمع نصله مع سقوط أشعة الشمس الحادة عليه، ثم تناول رأسه ووجه السكين إلى عنقه، فقال له الخروف:

- لكن أين المرج؟ إني جائع بالفعل، عدا عن كوني أشعر بعطش شديد من جراء مطاردتي للوحش، وأريد شرب الماء من أحد الغدران في المرج.

فقال القابض على السكين:

- ستأكل وتشرب منه. فقط أرخ نفسك ولا تتوتر.

وحين اقترب السكين من عين الخروف نظر إليه وسأل:

- من أين أتيت بهذا السكين؟

- هذا هو السكين الذي ذبح به جدي جدك، بعدما قضى جدك على وحش ظهر عليهم في ذاك الزمان. أراك تثرثر كثيراً، هل لك كلمة أخيرة أو وصية تريد ان تقولها؟ وهل لك طلب نلبيه لك؟

- نعم. بالله عليك، سنّ السكين جيداً حتى لا يؤلمني وهو يحز رقبتي.

- يا للترف الذي تحلم به! في الحق إن قيمنا تفرض علينا شحذ السكين جيداً قبل الذبح. لكن من أين سآتي بمبرد؟

- ها هنا، اشحذه على أسناني. (يطرق أسنانه بظلفه بعد أن أفلت

قائمته الأمامية قليلاً وأبقى فمه مفتوحاً).

- على السمع والطاعة، أيها الحمل الوسيم.

- لكن أين المرج...

- في مكانه..

- لقد وعدتموني به!

- كان هذا حين كان خطر الوحش قائما.

- قل لي، ماذا ستفعل بهذا السكين فيما بعد؟

- سأحتفظ به لأحفادي. ربما سيحتاجون إليه.

- وما شأنهم به، إذا جاز لي السؤال؟

- سؤال جيد، إذا عاد إليهم الوحش، ودحره حفيدك، كافأوه به.

لكن الخروف لم يسمع الجواب على سؤاله الأخير، لأن رأسه كان مفصولاً عن جسمه، بينما كانت سفود الشواء تنتظر لحمه.

تتمـــة:
الكرد ولعبةَ الدول الكبرى

والإشكالية هو كيف تتوحد إدارة الإقليم، كي يستطيع الكرد إستعادة أراضيهم التي سلبت منهم كـ طوزخورماتو وقضاء مخمور ومدينة كركوك وريفها.

السياسة الدولية لن تبقى على حالها، ولا بد للظروف أن تتغير، والكرد حتى يصلوا إلى كامل حقوقهم في هذا الجزء العزيز من كردستان، بما فيه الإستقلال، يحتاج إلى وقت وجهد وسياسة غير الحالية، وعليهم الاستفادة من تجاربهم.

وفي سورية، بات من الصعب للغاية إن لم يكن مستحيلاً، تجاوز القضية الكردية على النحو الذي كان يحدث منذ تأسيس هذه الدولة المصطنعة. فالقضية الكردية باتت جزءً أساسياً من القضايا التي فرضت نفسها، وعلى السوريين عموماً، وهي تنتظر حلاً سياسياً عادلاً لها. بغض النظر عما يقوله بعض الشوفينيين والعنصريين من قادة المعارضة السورية، وإتهاماتهم الباطلة لقوات الحماية الشعبية الكردية.

وفي تركيا رغم الحملة العسكرية والأمنية القذرة، التي يشنها المجرم أردوغان من أكثر من عام ونصف العام، ضد الشعب الكردي، وتراجع وضع الحريات العامة، وسجن معظم قادة حزب (ه د ب). مع كل ذلك، لا يمكن لتركيا أن تتطور، ويعيش أبنائها في سلام وهدوء، وتصبح دولة محورية في المنطقة، من دون الإعتراف الدستوري بالشعب الكردي، وإحقاق حقوقه القومية العادلة والمشروعة، وإطلاق سراح السيد عبدالله اوجلان والتفاوض معه. ولا يمكن لأردوغان الطامح للسلطة المطلقة من القضاء على الشعب الكردي وإفنائه، ومحكوم عليه وعلى دولته الطورانية بالفشل، ولذا عليهم الجلوس مع القادة الكرد وإيجاد حل سلمي لهذه القضية الملتهبة منذ سنين طويلة مضت. وما ينطبق على تركيا ينطبق على إيران هي الإخرى.

تتمـــة:
مهام ما بعد الاحتلال في عفرين

إن الانجازات العمرانية التي حققها إقليم جنوب كوردستان منذ سقوط "الصنم" في بغداد وحتى قبل سنواتٍ قلائل شاهدة على أن الشعوب تنهض بسرعة من تحت الأنقاض إن توفرت لها القيادة الناجحة، فالسياسة ليست كل شيء، بل هي لا شيء من دون الاقتصاد، فلنبني (عفرين) اقتصادياً، كما بنى السنغابوريون سنغابور والهونغ كونغيون والمالايزيون والإماراتيون العرب بلادهم، فصارت تغري البلدان والشعوب الأخرى بالتعاون والتواصل والصداقة معها والاعتراف بها. وليكن شعارنا بعد الآن:

"قليلاً من الكلام السياسي، وكثيراً من النشاط الاقتصادي"

زوشينكو .. الساخر الحزين

- الجزء الأول -

جودت هوشيار

في ديسمبر عام 1921، ضجّ المنضّدون بالضحك، عندما كانوا منهمكين في طباعة أول مجموعة قصصية ساخرة، لكاتب ناشيء اسمه ميخائيل زوشينكو، تحت عنون:"حكايات نزار ايليتش - السيد سليبريوخوف". وقال مسؤول المطبعة: "لم أسمع طيلة عملي في هذه المطبعة عمالنا يغرقون في الضحك هكذا، هذا الكتاب سيلقى نجاحاً".

صدر الكتاب في أوائل عام 1922 وتحققت نبؤءة مسؤول المطبعة، ونفد الكتاب من السوق خلال عدة أيام، وأخذت دور النشر والمجلات تتسابق في نشر نتاجاته الجديدة. ولكنها عجزت عن ملاحقة الطلب المتعاظم عليها، فقد كان الناس يتلقفون كتاباته ويشغفون بقراءتها، ويجدون فيها لذة ذهنية لا تعدلها لذة، وترى كتبه في أيدي القراء في كل مكان: في المقاهي، وعربات القطا، وحافلات الترام. ويتحدث الناس عن قصصه التهكمية الساخرة، و يَرْوُونَها لبعضهم البعض، وكأنها قصص حقيقية حدثت فعلاً. ذاع صيت زوشينكو في انحاء البلاد، وبحلول منتصف العشرينات اصبح من أحب الأدباء الى الجمهور القاريء، وأكثرهم شهرةً وشعبية في روسيا.

ولم تقتصر شهرة زوشينكو على روسيا، فقد أصبح معروفاً في الدول الغربية أيضاً منذ أن نشرت مجلة "القرص الأحمر" البلجيكية قصته المعنونة "فكتوريا كازيميروفنا" مترجمة الى اللغة الفرنسية في عام 1923. وكان ذلك أول عمل أدبي (سوفيتي) ينشر في الغرب بعد ثورة اكتوبر 1917. ثم تتابعت ترجمة أعماله إلى أهم اللغات الحية في العالم.

إستطاع هذا الكاتب أن يبدع لنفسه أسلوباً خاصاً يميزه عن غيره من الأدباء، وانفرد بينهم بروح الفكاهة الساخرة وبالتهكم الشديد اللاذع الذي لا يضارعه أحد في هذا الفن في الأدب الروسي حتى يومنا هذا ..

وخلال خمسة أعوام (1922-1926) صدر لزوشبنكو 25 مجموعة قصصية، بمعدل خمس مجموعات سنوياً، وصدرت من كل مجموعة خمس أو ست طبعات متلاحقة. وبلغ إجمالي عدد طبعات كتبه 130 طبعة خلال تلك الفترة.

أثارت أعمال زوشينكو إهتمام الأوساط الأكاديمية. وصدر أول كتاب نقدي عن إبداعه في عام 1928. ضمن سلسلة (أساتذة النثرالمعاصر). وفي الفترة من 1929 إلى 1932 صدرت أعماله الكاملة في ستة أجزاء.

أسلوب زوشينكو

وصف زوشينكو في أعماله الحياة اليومية، بمفارقاتها المضحكة، ولا معقوليتها، وظلمها، بلغة ووجهة نظر إنسان شبه مثقف، طحنته سنوات الثورة والحرب الأهلية الروسية. بطل جديد، لم يقرأ نيتشة أو يسينين، وتحدث بلغة هجينة هي خليط من اللغة العامية والكليشيهات البيروقراطية للنظام القائم، والتي تترك أثراً سخرياً مضحكاً بسبب التنافر الصارخ بين الحقيقة والخطاب الحماسي المستخدم في نقلها.

تقع بعض أحداث قصص زوشينكو في الشقق المشتركة بين عدة عوائل، حيث تسكن كل عائلة في إحدى غرف الشقة. وثمة حمام واحد ومطبخ مشترك بين تلك العوائل، مما يؤدي الى مشاجرات كثيرة بينها لأتفه الأسباب، وتقع قصص أخرى في أماكن عامة مثل عربات القطار أو الترام أو المسرح أو المستشفى. وهذه القصص تشكل بمجموعها بانوراما واسعة وشاملة لكل جوانب الحياة اليومية في روسيا خلال العشرينات من القرن الماضي.

لا نجد بين أبطال وشخصيات قصص الكاتب، قادة الحزب و بناة (الجنة) الإشتراكية المزعومة، وغيرها من الموضوعات الرائجة في تلك السنوات، وهي الموضوعات التي كتب عنها زملاؤه في جمعية "اخوان سرابيون" فسيفولد ايفانوف، فيدين، تيخونوف. في حين إن شخصيات قصص زوشينكو بعيدة عن ايديولوجيا الثورة.

في مقاله "عن الكوميديا في أعمال تشيخوف"، صاغ زوشينكو مفهومه عن السخرية: السخرية من الأكاذيب والغباء والنفاق والخنوع والغطرسة. سخّر زوشينكو في أعماله من البيروقراطية والفساد والنفاق. وقد قدّر القاريء العادي أسلوب زوشينكو التهكمي هذا، وأبدت النخب الفكرية القديمة والجديدة إعجابها بدقة تصوير الكاتب للواقع الجديد، الذي تراجعت فيه مفاهيم الانسانية والرحمة لآماد طويلة قادمة، في حين رأى فيه البلاشفة خطراً على نظامهم الإستبدادي..

لغة جديدة وبطل جديد

جرى خلال سنوات الحرب الأهلية تغيير ديموغرافي لم يسبق له مثيل نتيجة لنزوح السكان بأعداد غفيرة من منطقة الى أخرى بحثاً عن الأمان ولقمة العيش، وأدى ذلك إلى اختلاط اللهجات وظهور لغة هجينة. وكان زوشينكو أول من لاحظ ذلك بنظرته الثاقبة.

أبطال قصص زوشينكو هم أصدق ممثلي الأمة الروسية الجديدة، التي أخذت تتشكل بعد ثورة اكتوبر1917، وتتكلم بلغة تختلف كثيراً عن اللغة التي كانت سائدة في العهد القيصري.

في روسيا القيصرية كان لكل شريحة اجتماعية خصائصها ومعاييرها الثقافية والإجتماعية المميزة – النبلاء، العمال، الفلاحون، العسكريون، رجال الدين – وكان المنتمون الى كل شريحة من هذه الشرائح، يتحدثون بلغتهم أوالفاظهم الخاصة، التي تميزهم عن غيرها، كما نلاحظ ذلك في الأدب الروسي الكلاسيكي، الذي سجل هذا التمايز بدقة مذهلة.

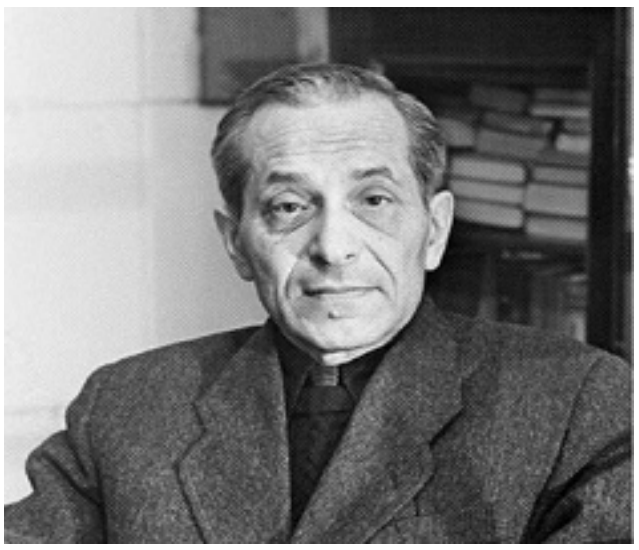

كانت هذه الشرائح تتعايش قبل الثورة، ولكنها تحافظ على أعرافها وأساليب حياتها، ولا تندمج بغيرها. وما أن تسمع الواحد منهم يقول بضع عبارات حتى تعرف الشريحة التي ينتمي إليها: هل هو فلاح أم اقطاعي، عامل أم رجل دين؟. ولكن هذه الشرائح المغلقة على نفسها، والمعزولة عن بعضها البعض اختفت سريعاً بعد انتصار الثورة البلشفية وتشكل - في الظروف الجديدة - مجتمع شبه متجانس اجتماعياً وثقافياً ولغوياً..

ابطال زوشينكو - مهما تباينت انتماءاتهم الاجتماعية والمهنية - يتحدثون جميعا بلغة واحدة جديدة في تكوينها المعجمي، وهي تختلف عن لغات الشرائح القديمة، فهم يتحدثون بلغة مشتركة زاخرة بالألفاظ العامية الشائعة والعبارات الجاهزة الدخيلة عليها من القاموس الحماسي الدعائي للبلاشفة، وهذه اللغة هي لغة الراوي الذي هو البطل الرئيسي في أغلب أعمال زوشينكو.

مشاركة الكاتب في الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية، والمهن العديدة التي مارسها قبل تفرغه للأدب، ساعدته على معرفة الأوساط الأجتماعية المختلفة وخصائصها اللغوية والثقافية وعاداتها وأعرافها وقيمها الأخلاقية والروحية، الكل لاحظ لغته غير العادية والغريبة.

وقال الكاتب زمياتين: "أن زوشينكو يستخدم اللغة المحكية بمهارة في بناء الجمل: ترتيب الكلمات، وصيغ الأفعال، واختيار المترادفات –كل هذا من دون أي خطأ". وقد شبه مكسيم غوركي لغة زوشينكو ب"خرز معجمية متنوعة".

أدب الفقراء

في عام 1927 وبناء على طلب إدارة مجلة "بيغيموت" الفكاهية الساخرة كتب زوشينكو سيرته الحياتية الحافلة بالتهكم ويقول فيها: "هناك وثيقتان مختلفتان عن مكان وتأريخ ولادتي، ويبدو أن إحداهما مزيفة، ولكن يصعب معرفة أيهما حقيقية، لأن الوثيقتين كلتاهما رديئتان. وجواباً عن سؤال حول أكثر المهن المثيرة للاهتمام، التي مارسها في حياته يقول: "مدير البريد والتلغراف، مربي الأرانب والدجاج، شرطي الحراسة، والآن أمارس مهنة متواضعة وهي الكتابة، ويبدو أنها المهنة الأخيرة في حياتي. وأشعر بالأسى لأنني توقفت عندها، فهي مهنة سيئة جداً.. اللعنة.. إنها المهنة الأسوأ من بين اثنتي عشر مهنة مارستها لحد الآن".

ينحدر زوشينكو من عائلة نبيلة، إيطالية الجذور، وإن كانت غير ميسورة. وسعى إلى الإنسلاخ عن طبقته، وكان يشعر – على نحو حاد - بذنب لم يرتكبه. وجاء في رسالة له إلى مكسيم غوركي: "عندما أجلس إلى طاولة الكتابة إحس بذنب ما أو ذنب أدبي –إن صح التعبير- إنني أتذكر الأدب القديم أدب ما قبل الثورة. شعراؤنا كتبوا عن الزهور والعصافير، في وقت كان ثمة ملايين الناس الأميين البؤساء.. كل هذا يرغمني على إعادة النظر في عملي من جديد، وأتجاهل وضعي المريح والمحترم".

هكذا ولد نثر زوشينكو، الذي أطلق عليه خصومه اسم أدب الفقراء. وجاء في مقال له بعنوان "عن نفسي، وعن النقد، وعن عملي": "ثمة رأي يقول إن المطلوب اليوم هو تولستوي الأحمر، الذي يروج له بعض دور النشر غير الحذرة، ولكن الوسط الذي يعيش فيه الكاتب الآن –يتطلب بالطبع ليس تولستوي الأحمر.

المطلوب اليوم شكل أدبي جديد صغير، ارتبط في السابق بتقاليد أدبية سيئة". أي أن زوشينكو يطالب ليس بكتابة روايات حماسية طويلة لتجميل الواقع البائس، على النحو الذي يريده البلاشفة، بل نصوصاً قصيرة مكتوبة بأسلوب سهل يفهمه القارىء العادي، ولكن القصص القصيرة التي كانت تنشرها الصحف الروسية في العهد القيصري لم تكن تحظى بإحترام النقاد والنخب الثقافية إلى أن جاء تشيخوف ورفع القصة القصيرة إلى مصاف الفن الرفيع. الأسلوب الجديد فرض على زوشينكو متطلبات لغوية مبتكرة. كتب زوشينكو ذات مرة يقول: "أنا أكتب بإيجاز جداً" وبعبارات قصيرة، مفهومة من قبل الفقراء. ربما هذا هو السبب أن لدي الكثير من القراء.

زوشينكو والنقد الأيديولوجي

على الرغم من الشعبية الواسعة لزوشينكو، التي لم يكن يحظى بها أي كاتب روسي آخر والتقييم الإيجابي لأعماله، والاعتراف بموهبته الكبيرة من قبل كبار الأدباء، إلا أنه أصبح منذ منتصف العشرينات هدفاً للهجوم والأساءة والتجريح، حين شرع ستالين بتشديد قبضته على السلطة وتضييق الخناق على حرية التعبير وفرض الرقابة على المطبوعات.

كان الرقباء والنقاد البلاشفة، يقيّمون النص الأدبي من حيث الأهمية الاجتماعية – السياسية، حسب المنظور البلشفي، وليس حسب قيمته الفنية والجمالية. وكان غياب ايديولوجية واضحة لدى زوشينكو قد أتاح لهؤلاء مبرراً لتخوينه ووضعه في خانة أعداء الثورة والبناء الإشتراكي. وربما كان أقوال زوشينكو نفسه، هو الذي شجع النقاد الماركسيين على التمادي في الاستخفاف بنتاجاته والصاق التهم به. فقد كتب زوشينكو في سيرته الذاتية المنشورة في عام 1922 تحت عنوان "عن نفسي، وعن الأيديولوجيا وعن بعض الأشياء الأخرى" يقول: "لست شيوعياً، ولا أنتمي الى أي حزب، وليست لدي أية أيديولوجيا".

الموضوعات الصغيرة عن الحياة اليومية، وتصوير الانسان الغارق في مستنقع الحياة البائسة ومشكلاتها، مع التركيز على جوانب الحياة القبيحة والسلوك الإنساني المتخلف أدى أن يرى النقد الرسمي في أعماله ارتباطاً بأعداء الثورة. ومقارنة الراوي في قصصه بالإنسان الصغير بمعناه السلبي. كتب زوشينكو معظم قصصه بضمير المتكلم (أنا)، وكان ضيق أفق الراوي يفسر كتطبيق فني لمزاج المؤلف المعادي للثورة وتتناقض مع الشعارات الثورية عن إعادة بناء العالم وصوغ إنسان جديد. واتهمه النقد الرسمي بتشويه الواقع واصطناع لغة لا يتكلم بها أحد في المجتمع السوفيتي.

رسائل الى الكاتب

ورداً على هذه المزاعم نشر زوشينكو في عام 1929 كتاباً فريداً في بابه أطلق عليه اسم "رسائل إلى الكاتب". كان الكاتب يتلقى يومياً عشرات الرسائل من القراء. وقد اختار من بينها حوالي خمسين رسالة لنشرها في هذا الكتاب مع تعليقاته عليها. وكانت هذه الرسائل - بصرف النظر عن تباين أصحابها من حيث الموقع الأجتماعي والمهنة، مكتوبة باللغة التي يكتب بها زوشينكو، والتي اعتبرها النقاد البلاشفة لغة غريبة عن الانسان السوفيتي الجديد.

..... يتبـــع .....

زيارة لتل قالينج آغا الأثري في أربيل

- الجزء الثاني -

جيهان شيركو

ماذا كان يعبد أهالي قالينج آغا في زمن عصر الوركاء؟

ان العثور على رؤوس من الطين لعجول أو ثيران وجد بعضها مثبتاً في أرضيات غرف بعض الأبنية الدينية يدل على تقديسها، والعثور على آلهة العيون الكبيرة Eye-IDOL في أحد المعابد وهي ذات عينين كبيرتين وذلك لحراسة الانسان حسب معتقدات سكان قالينج آغا.

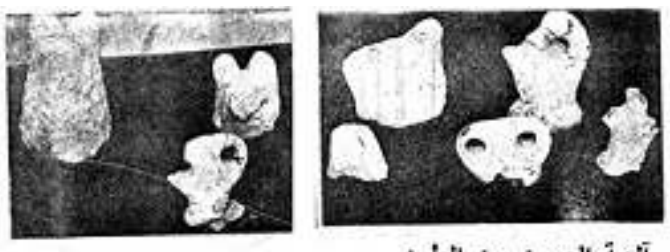

آلهة العيون من الطين
الطبقة الثالثة

رأسا عجلين من الطين وشكل من الطين لاله العيون من الطبقة الاولى

قبـــور قالـــينج آغا

اكتسب تل قالينج آغا شهرة واسعة بفضل ما وجد فيها في تنقيات من قبور أثارت الدهشة من حيث نوعيتها. وتشير تقارير التنقيب إن خير ما يمثل مدافن عصر الوركاء يتمثل في موقع قالينج آغا.

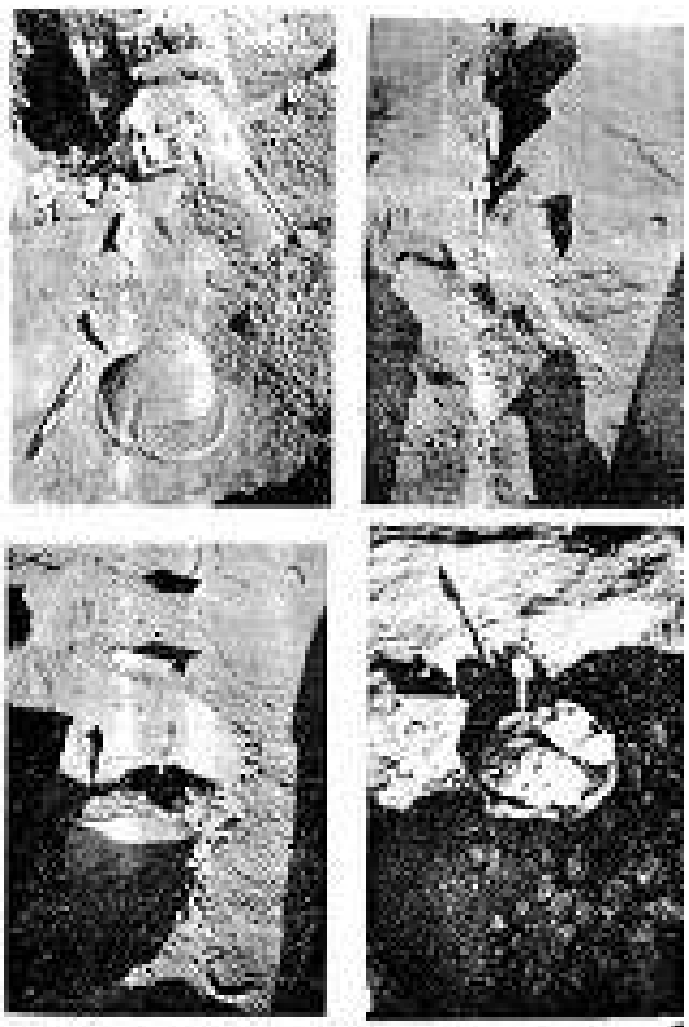

نماذج قبور تل قالينج آغا

عثر على 49 قبراً موزعة على الطبقات الثلاث، في الطبقة الأولى 13 قبراً، والطبقة الثانية 32 قبراً، والطبقة الثالثة 4 قبور، دفنهم كان في جرار متوسط الحجم، أما الأطفال (2-5) سنوات ففي جرار كبيرة ذات غطاء كبير أو في جرتين كبيرتين أحدهما فوق الأخرى، أما إذا كان عمر الميت أكثر من 5 سنوات فيدفن في لحد مبني بمادة اللبن أو كسرها.

10 قبور من الجرار الفخارية عثر عليها في تل هيلوا قرب أربيل

وعثر عام 2004 - 2005 على مثل هذه القبور في (تل قصرا) في عينكاوا وفي تل هيلوا قرب أربيل.

دمـــى قالـــينج آغا

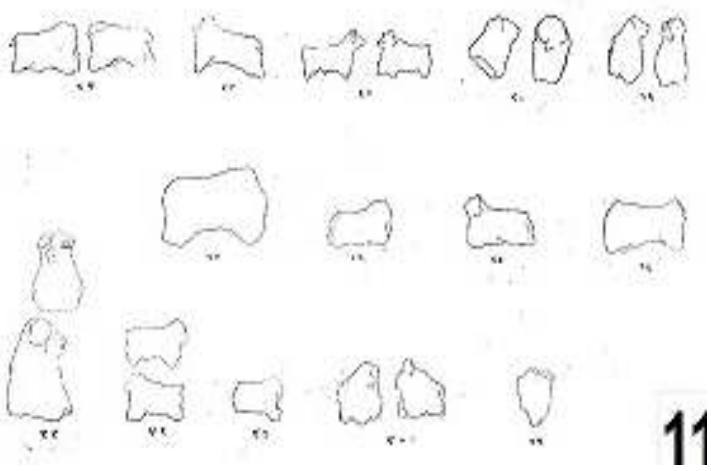

دمى قالينج آغا

11

في قالينج آغا عثر على 47 دمية طينية لهذا الموسم، الدمى لم تكن داخل القبور بل وجدت في دفن الطبقات وهذا ماكان سائدا في دمى العبيد الشمالي منها جرمو، يارم تبه، تبه كوره، قالينج آغا عكس دمى العبيد الجنوبي التي وجدت داخل القبور.

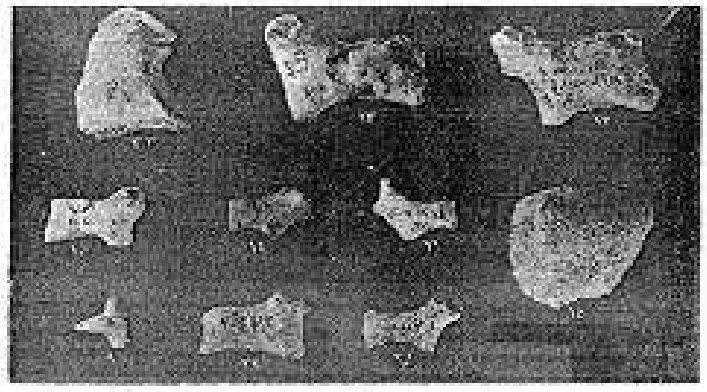

دمى قالينج اغا

من الدمى البشرية: دمية من طين مفخورة جيدا تمثل الآلهة الام Mother Goddess، تأريخ الدمية يحصر في الفترة ما بين نهاية عصر العبيد وبداية عصر الوركاء. وعثر على تماثيل تمثل الآلهة الأم في مواقع عديدة منها 5000 نموذج من موقع جرمو.

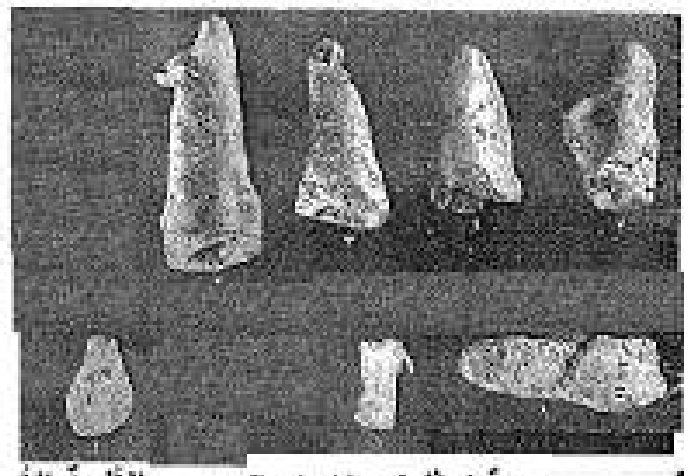

دمية تمثل(رجلاعاريا) الآلهة الأم

والعثور على دمية تمثل (رجلاً عارياً) وهي الوحيدة من نوعها التي تم اكتشافها في قالينج آغا، لأن دمى الذكور قليلة في بلاد ما بين النهرين، تعود الى بداية عصر الوركاء الشمالي.

ومن بين الدمى الحيوانية: دمية طينية تمثل طيراً (حمامة) تعود إلى عصر حلف، ملونة في قمة رأسها ويوجد حز يحيط بطرفي الجناحين والصدر. وبما ان دمى الطيور قليلة في عصر ما قبل التاريخ فإن دمية الحمامة هذه تعتبر الأولى من نوعها، تعود إلى عصر حلف.

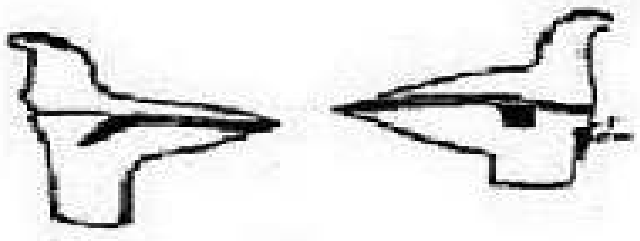

حمامة قالينج أغا

الكتابة الصورية

كان الأهم في هذه التنقيبات العثور على أي دليل يثبت وجود الكتابة الصورية، ولكن مع الاسف بعد إكمال المواسم الثلاث لم يتم العثور على أي دليل، لأن د.بهنام حاول أن يتحقق من احتمال الكشف على نماذج من الكتابة الصورية الأولى بسبب اكتشاف فخاريات ولقى أثرية في الطبقات العليا لتل قالينج آغا تعود للفترة الزمنية المعروفة بعصر نينوى، وقد فكر بإمكانية العثور على ألواح من الكتابات الأولى ولكنه لم يعثر على أي دليل، وقد ترك إمكانية ذلك للمواسم القادمة.

تنقيبات الموسم الرابع عام 1970

برئاسة الاستاذ اسماعيل حجارة:

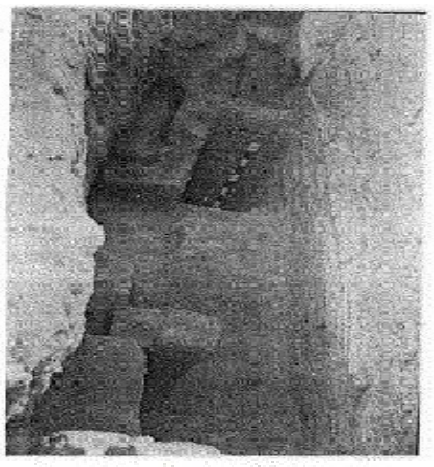

جدران الطبقة الرابعة والخامسة

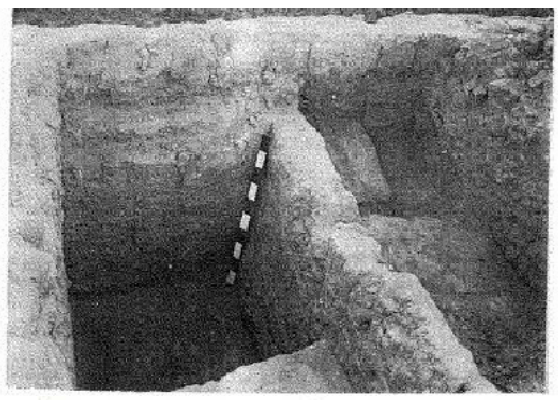

الجدران المتقاطعة الموجودة داخل المسطبة

في هذا الموسم تم العثور على أول مسطبة في موقع قالينج آغا تعود إلى عصر الوركاء في شمال العراق، والعثور على دارين للسكنى،

الدار الاولى

الدار الثانية

وعثر على ثلاث انواع من القبور الخالية من المواد، و القبورالتي تحتوي على عدد قليل من الخرزو الاصداف، والتي تحتوي على مجموعة كبيرة من الخرز.

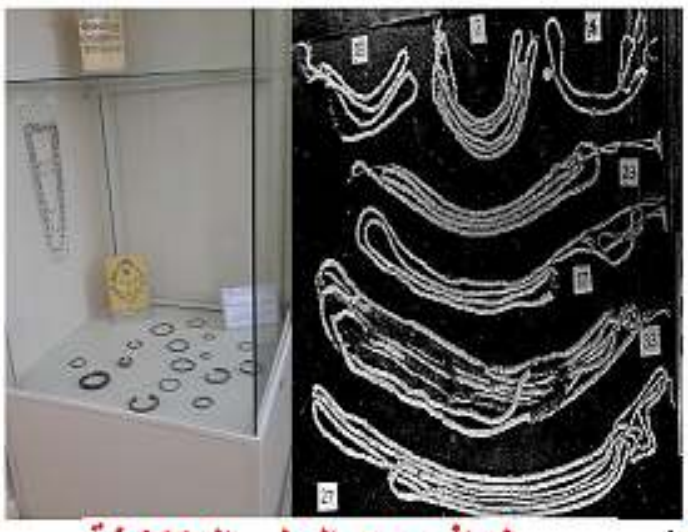

نماذج من الحلى المكتشفة

وفي الطبقة الرابعة تم العثور أيضاً على الكثير من الأدوات الحجرية، مجموعة من الآلات الصوانية، المواد الطينية، مواد العظام ومسامير منثنية من الطين يرجح ان الغرض منها هو ان يعلق عليها الصياد صيدة من السمك.

وعثر أيضاً على نماذج من فخاريات حلف والعبيد، وبعد دراسة هذة المواد الاثرية تبين ان الاستيطان في قالينج آغا قد ابتدأ منذ الفترة الأخيرة من عصرالحلف في القسم الشمالي منه.

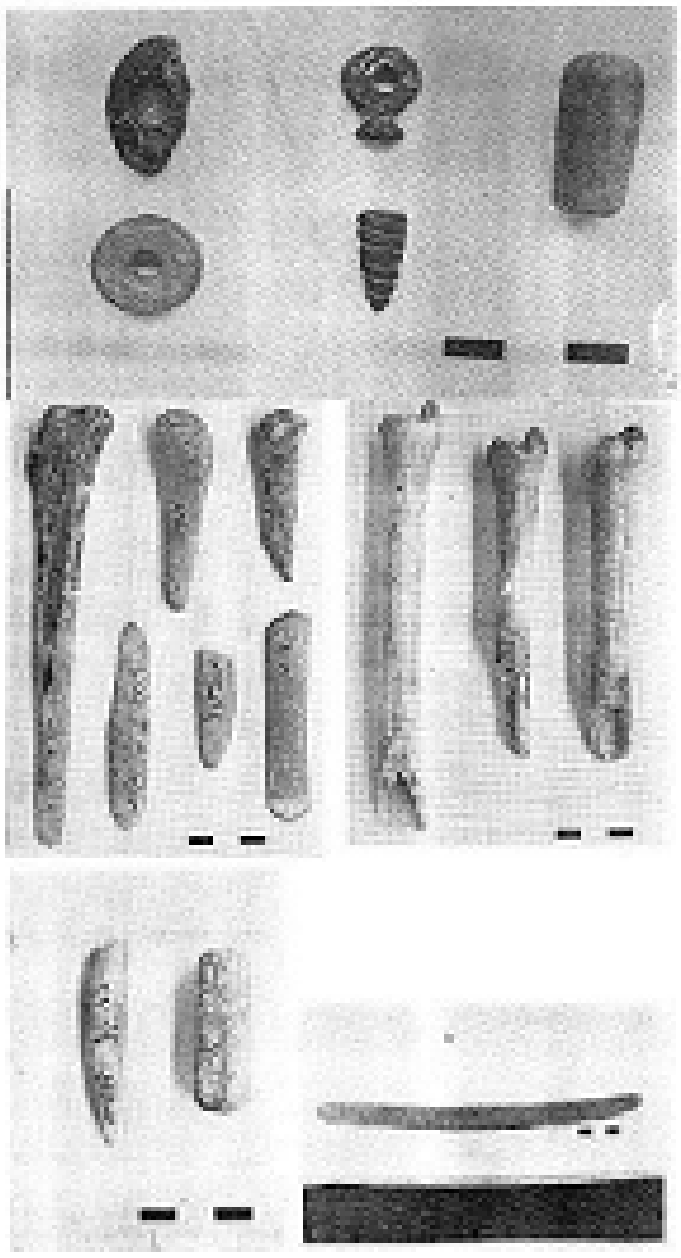

ان استيطان فترة العبيد في قالينج آغا كان أطول الفترات عمراً، إذ بلغ ارتفاع هذا المستوطن حوالي 4,5م وضم حوالي عشرة طبقات سكنية من بداية عصرالعبيد والى نهايته، ومعظم السكن كان في وسط وشمال وغرب قالينج آغا.

..... يتبـــع .....

الخوف في منتصف حقلٍ واسع

ـ قصص قصيرة ـ

مصطفى تاج الدين الموسى

ديناصور في طفولة أحدهم

تأملتْ المعلمة بذهول ساعده وقد انحنتْ إليه:

ـ ما هذه ؟..

سألته بتعجب لكنه ظلّ صامتاً من بين دموعه, ثم لمستْ بسبابتها تلك البقعة الداكنة والواسعة فوق ساعده، فندتْ عن شفتيه آهة ألم.

سألته بارتياب ثانيةً:

ـ من فعل بك هذا ؟..

بتلعثم أجابها مازن الطالب في الصف الثالث وهو ينشج باكياً بهدوءٍ أخرس:

ـ إنها عضة كلب الجيران..

شهقتْ وهي تمعن النظر أكثر في ساعده, ثم تمتمتْ:

ـ هل هذه عضة كلب أم عضة ديناصور؟..

عندئذٍ أرسلته إلى غرفة المستوصف في المدرسة وهناك راحتْ الممرضة تضمد ساعده الصغير وهي تغني له.

لم يكترث لغنائها ولا لبسكويتها ولا حتى لآلام ساعده، فمن خلف دموعه كان يتخيل خائفاً بسذاجة الأطفال، أن المعلمات سيتصلن بالشرطة التي سترفع بصمات العضة عن ساعده كما في مسلسل السهرة.

وبعد تحليلها ستحاصر سيارات الشرطة بيته, لتلقي القبض على والده لأنه قد عضه ببشاعة مساء البارحة, وهو يحفظه جدول الضرب.

هجرة

انتظرته أعواماً طويلة لكنه لم يرجع كما وعدها بين آخر قبلتين من شفتيه لشفتيها أثناء الوداع في المطار، سافر ولم يتصل بها أبداً أو يرسل رسالة.

سنوات تمر وهي جالسة بصمت جوار شباك غرفتها تراقب الشارع ليلاً ونهاراً حتى في نومها، علّه يظهر فجأةً مع حقائبه.

ثمّ كان أن يئستْ، عندئذٍ صعدتْ حافة شباكها في الطابق الثالث, ودّعتْ حياتها بدمعةٍ صامتة ورمت نفسها.

بعد ثوانٍ وبهدوء طارتْ لتحلق عالياً في السماء, وانضمتْ إلى سربٍ صغيرٍ لطيورٍ مهاجرة، طيور اعتادتْ في كل موتٍ لها أن تهاجر حيث تحب.

خلود

في سره ابتسم هازئاً بهم، وهمس أبو الهول متهكماًعليهم، وهو يراقب أولئك البشر ذوي الحياة المؤقتة، وهم يلتقطون الصور لبعضهم جانب أصابع رجليه:

ـ كم أنتم أغبياء يا أصحاب الحياة القصيرة..

رغم كل تلك العصور لكن أبو الهول لم يمل بعد من أبديته, وسخرياته من البشر. شعر بفخرٍ عظيم لكنه سرعان ما تنهد, ثمّ شرد بذهنه بعيداًوحزنٌ عميق يلف ملامحه. كالعادة، لا شيء يؤرق عليه أبديته سوى أن القدر لم يشفق على قلبه حتى الآن بأن يبعث له بأي أم هول.

عندئذٍ ثمّة دمعةٌ حجرية سالتْ على ملامح وجهه المتجمدة، بينما البشر جانب أصابع رجليه يلهون بسعادة ويلتقطون الصور مع حبيباتهم كذكرى لهم في حياتهم القصيرة.

سلسلة "النمسا بعيون كوردية"

(زيل ام سي) جنة إقليم سالزبورغ في النمسا

جبال وتزحلق على الثلج ومتاحف وبحيرات وكهوف هوية الاقليم

بدل رفو

(زيل ام سى) مدينة صغيرة تقع في اقليم سالبورغ النمساوي والذي عاصمته مدينة (سازبورغ) وهي من المدن الساحرة التي تدهش زوارها وخاصة بحيرتها التي تحرسها جبال الألب لتزيد من جمالها وخاصة وقت المغيب وفي كل الاوقات ومواسم السنة. يبلغ عدد ساكنة المدينة ب 10 آلاف نسمة حسب آخر احصائية اجريت لها.

صيف المدينة والبحيرة

تقع المدينة بين أحضان جبال الألب وتبعد عن مدينة سالزبورغ 60 كيلومترا مسافة ساعة سفر بالقطار أو السيارة وهي في جنوب غرب سالزبورغ. بعيداً عن السياحة والجبال والبحيرات فلقد استوطنت المدينة والمنطقة قبل المبلاد ب 3 آلاف عام وفي زمن الرومان كانت المنطقة من المناطق المحببة لديهم بحيث كانت هناك هجرة للمنطقة في زمن الرومان.

المدينة القديمة

وأما من الجانب السياحي فتعد المدينة والمنطقة قبلة السياحة صيفاء وشتاء، حيث الجبل والماء والرياضة والتزحلق على الثلج ودروب المشي الساحرة والاحتفالات الشعبية والفنية، ولذلك تعد المنطقة منطقة السياحة لكل المواسم وتزداد جمالية المنطقة أيام أعياد الفصح والميلاد والحوانيت الجميلة وبضاعتها المميزة وطريقة عرضها، ولذلك يسمونها بمدينة كل المواسم والعطلات والاجازات والرحلات

الاحتفالية في البحيرة

والسفر من كل انحاء العالم لها ،حيث الاسترخاء والاستجمام والجبال الشاهقة والانهار الجليدية والبحيرة التي هي محل اعجاب وانبهار الزوار.

للمدينة احتفالية سنوية ترجع حكايتها الى ما قبل 140 عاما، حيث اجتمعت بلدية المدينة على اقامة الاحتفال في بحيرتها والتي تعد بدورها سحر بحيرات النمسا وكانت فكرة لاقامة احتفالية في البحيرة وضمت اطلاقات للالعاب النارية الملونة والاعيرة النارية في السماء وتشكيلة رائعة من الالوان والمناظر المدهشة.

احتفالية الزي الشعبي..

احتفالية البحيرة في المدينة

ومن الاحتفالات التاريخية ايضا تقام سنوياً احتفالية الزي الشعبي التراثي في المدينة لعرض الازياء التراثية والتي بدورها تختلف عن ازياء الاقاليم الاخرى.ووقتها تكثر الموسيقى الشعبية في كل ركن من المدينة بالاضافة الى الحوانيت لبيع الازياء الشعبية والاشياء التراثية وبعدها سير الموكب البهي الملون في المدينة والذي يمثل هوية الاقليم فيه وبالاخص الحسناوات بازيائهن الجميلة حيث تجذبهن الانتباه وكذلك تلعب الموسيقى الشعبية دوراً كبيراً في احياء الاحتفالية في هذا اليوم التاريخي للمدينة.

احتفالية وعروض المدينة

لقد كانت مدينة (زيل أم سى) لغاية عام 1928 قرية صغيرة وبعدها تحول اسمها من القرية الى المدينة وتوسعت وتحمل المدينة اسم (زيل أم سى) منذ عام 1810 ومنذ عام 1875 افتتح خط سكك الحديد فيها وقد بدأت حركة السياحة في هذه المنطقة منذ اكثر من مائة عام وكثرت في الفترة الاخيرة بصورة كبيرة حيث الهواء الصحي والماء الكريستالي النقي.

ومنذ عام 1961 تعد المدينة المنتجع الصحي والسياحي لاقليم سالزبورغ لما يحمل من مواصفات الجمال والهواء النقي والاجواء الملائمة للصحة.

بحيرة(زيل أم سى)..

تقع البحيرة بالضبط في المدينة وهذه هي المرة الاولى التي اشاهد فيها بحيرة تقع تماماً في المدينة ،لقد نشأت البحيرة نهاية العصر الجليدي ،أي منذ حوالي 10 آلاف سنة ولغاية 16 الف سنة وذلك من حركة قياس الجليد في جبال الألب. تقع البحيرة على ارتفاع 750 متراً فوق مستوى سطح البحر ويبلغ طولها 8،3 كيلومتراً وعرضها واحد ونصف الكيلومتر واعمق نقطة فيها تبلغ 70 متراً

بحيرة زيل ام سى

ومتوسط العمق 39 متراً. تكثر انواع كثيرة من الاسماك في هذه البحيرة وتسري قوانين الاتحاد الاوربي حول الثروة السمكية في هذه البحيرة . لشواطئ البحيرة رومانسية كبيرة وتكثر القوارب فيها واعمال الفنانين النمساويين مستمدة من جمال وسحر البحيرة وتشهد البحيرة احتفالات كثيرة واحيانا شواطئها تغدو ساحة عرض للاعمال الفنية.

بدل رفو على شواطئ بحيرة زيللر

العرب في المدينة والبحيرة..

خلال سياحتي في هذه المدينة فوجئت بالعدد الكبير من السواح العرب والمنقبات والمحجبات فتأتي الافواج السياحية من الخليج الى هذه المينة وحين تحدثت مع صحفي نمساوي اخبرني بانه التبادل الثقافي وهذه المدينة من اكثر المدن النمساوية اقبالا للسواح العرب ولكن البعض الاخر من النمساويين غير مرتاحين من اقبال العرب عليهم خلال احاديثي معهم واخبرني احدهم أين هو التبادل الثقافي حين لايقدر الضيف على ربط حزام الامان ولايحترم قوانين بلادنا او رمي النفايات في سلة النفايات بدلاً من رميها في الشارع او التحدث بصوت عال في الشارع ويجلب الضجيج لنا..!! لاهل المدينة آراء مختلفة في استقبال السواح.

تعد منطقة (زيل ام سى) ومركزها المدينة على اسم المنطقة من اشهر المناطق في النمسا في التزحلق على الثلج وسحر التلفريك في جبال الالب ولذلك هي عالم من الرياضات والهوايات والبحيرات والقلاع والمتاحف..النمسا برمتها عالم سحر وجمال ومشاهداتي وتقاريري بعيون شرقية كوردستانية.

محجبة عربية سائحة على شواطئ البحيرة

ما قالته لوحة جمشيد

(3)

عبد الرحمن سيدو

"داموش" قارع الطبل، راح يقوي القرع في يوم عرسه، لم ينم، ظل يقرع الطبل ويقرع حتى نفرت إلى عرسه كل القرى المجاورة "تسرين" الطويلة مثل نخلة، انتصبت شلالاً من لحن عذب وعوداً من خضرة القصب، تمسح عن النبع عكره، وعن الأمسيات ترهلها.. "الشيخ حكيم"، خلع الجبة، حصرها بين رجليه، أخذ يردد الغناء، ويتثنى، وقد صبغت الحمرة خديه، نظراته مضطربة، ترف رموشه، رفات متتالية فيطرق... يوم مختلف... جبل مختلف... بشر مختلفون، كل يوغل في حلمه الخاص، كل يرقص، يغني، وينذبح، لملهاته أو مأساته..

الأم في غمرة حماستها سألته بحماس:

- أوسيب أين الشهادة...؟!

حينها كانت الهواجس تزكو قائلة:

- "هذا ابني.. ابني.. هاهو يحمل شهادة كبيرة.. الحكومة حتى... تقول عنه أنه مؤهل وفهيم... أنا التي ربيته.... وهل تصدقون... قذاراته لم تزل تحت أظافري...).

قام (أوسيب)، فتح حقيبته، دسَّ يده بين الكتب السميكة، أخرج الشهادة الجامعية، أخرجها من الظرف الأسمر، تأملها لحظة تأملها وكأنه يعيش ماعاناه ثانية في سبيلها، القرية.. الدرب الموحل المتجمد... لسعات عصا الملا بركات، المدرسة، "الخضر" ذلك الأستاذ الحقيقي، المدينة، الوحدة، فرح الجامعة ومعاناتها، الأصدقاء الذين ماتوا ورحلوا، وخلفوا لنا صورة حلوة أو مرة، وها.. القرية ثانية.

الشهادة لا تزال في يده، بزهو قدمها لأمه، أمه، لم تصدق.. في عينيها دهشة وخيبات، وفي فمها ألف سؤال حائر...؟!

أبداً.. لا يمكن أن تصدق، فصاحت:

- كل هذا التعب والمصروف، السهر والسم الزعاف، العمر الذي مضى ولن يعود.. كل هذا من أجل هذه الورقة.

وراحت تستعيد في مخيلتها صورة الشهادة كما كانت تراها...

فمرةً.. رأتها بساطاً كبيراً واسعاً من شعر الماعز، نبت في منتصفها زخرف يمثل أسطورة شعبية، جميل ودافئ، يمكن أن يمد في أرض الدار، من الجدار إلى الجدار، ومرة رأتها بغلاً ميكانيكياً ضخماً يمكن أن يريح زوجها من عناء التنقل والفلاحة، وثالثة.. تنوراً واسعاً يفيض بالأرغفة أو سهلاً يطفح بالخيرات، يطفح بالقمح والعدس والشعير والبطيخ، جبلاً يدلق الزيتون والجوز واللوز والزبيب والماعز الذي يمنح الحليب واللبن والدفء.. للأطفال.. لكنها...لم تكن تتصور أن الشهادة قطعة تافهة من الورق في أسفله ختم...؟!

فراحت بعد كل فرحها تنشج...

قحَّ "جمشيد" ثم أردف:

- ايه يا "الخضر".. ياأخي..."أوصمان" اختصر الهم وطلب:

- أعطوني عشر دجاجات وسترون... ايه يا أخي، كان ينام مع الدجاجات، يطعمها صباحاً ومساءً، يرسل يده في كيس الشعير، ينثر فضتها فوق مائدة حبيباته ويغمغم... لم يكن مفهوماً ماذا يقول.. حتى الأبالسة لا تقدر على فك طلاسم "أوصمان"...؟!

وبإصرار يرفض أن يبيع بيضة لأحد، ينتقي أفضل الدجاجات وأقوى الديوك، يؤشر على البيض إشارة خاصة، صلبان، خطوط مستقيمة، مثلثات، مستطيلات، دوائر، خرائط يعجز العلماء عن قراءتها..

أما (أوصمان) فيفك رموزها بلمح البصر، يضع أعداداً من كل زمرة تحت دجاجة وينتظر.. يتمتم.. وينتظر..، يفقس البيض، تمد الصيصان برؤوسها من الفتحات المنقوفة، فيهرع، يتناولهن برفق، يحملهن على كفه، يحدق إلى عيونهن ثم يهزج بسعادة:

وبإصرار يرفض أن يبيع بيضة لأحد، ينتقي أفضل الدجاجات وأقوى الديوك، يؤشر على البيض إشارة خاصة، صلبان، خطوط مستقيمة، مثلثات، مستطيلات، دوائر، خرائط يعجز العلماء عن قراءتها..

أما (أوصمان) فيفك رموزها بلمح البصر، يضع أعداداً من كل زمرة تحت دجاجة وينتظر.. يتمتم... وينتظر...، يفقس البيض، تمد الصيصان برؤوسها من الفتحات المنقوفة، فيهرع، يتناولهن برفق، يحملهن على كفه، يحدق إلى عيونهن ثم يهزج بسعادة:

- أصيلة.... والله العظيم أصيلة...

وأصبح يمتلك عدداً كبيراً من الديوك والدجاج.... ولماذا لا يمتلك...؟!

- الدجاج يحمي هكذا يعلن ضاحكاً، وغامزاً... الدجاج ضروري لبطون الشرطة والموظفين رضا الحكومة من رضا الله.. الملك لله هذا صحيح، لكن الدجاج يرفع الرأس، ويبيض الوجه، عادة لا ينصرف (أبا جميل) إلا بعد أن يأكل دجاجة كاملة، يشترطها أن تكون مشوية، وقبل أن يوتد الفرس... نعم ياصديقي... يا الخضر...

صار عنده ديوك مثل النسور، يعلمها العراك، صباحاً يجلب لها العروق من عند القصاب، يحمضها بالسماق، ينثر فوقها شيئاً من الفلفل الأحمر، يطعمها، يحملها إلى البيادر، لتقاتل ديكاً قيل عنه أنه مصارع شرس، مصارع قوي.. وبنقرة... نقرتين.. في الوجه أو العينين...(هوب).. يهوي الخصم.. ينتشي..(أوصمان)، يقهقه، يذبح الديك المهزوم بمطواته الحادة، يحتضن ديكه المنتصر إلى البيت بسرور...

ذاع صيته، أخذت الناس تقول:

- ديك جيد.. لكن ليس مثل ديكة (أوصمان). ومن قريب وبعيد، أصبحت الناس تأتيه، تشتري ديوكاً للعراك، وتمضي.. نعم وتمضي.. وأوصمان... سعيد، يبدأ عالمه من البيضة التي فقست، إلى ديك يسمل عين خصمه، لم يحب إلا دجاجاته المخلصات، هو عاشقهن وهن عشيقاته المقدسات، يتبادلون المسرات والانكسارات دون تأفف.. دون هزيمة..؟! هذا هو "أوصمان"، جيوب ملأى بالنقود ودجاج على مد النظر.. ملك الديكة هو... وعاشق الدجاج الأبدي...

تنحنح "جمشيد" ثم أكمل:

أما (بكر) فمنذ نعومة أظفاره، بدأ اللعب بالدحل، يربح، يخسر، يملأ جرابات طويلة بها، يسرق جرابات أمه، ثم يصب الدحل فيها، يبيع قسماً منها لأقرانه، يحتكر الباقي، أعجبته اللعبة، أخذ يفرض السعر الذي يريد يعود ثانية، يعاود اللعب مع المشترين ويربح منهم قائلاً:

يعود ثانية، يعاود اللعب مع المشترين ويربح منهم قائلاً:

- اذهبوا..اذهبوا.. تعلموا اللعب قبل أن تتورطوا مع (بكر)..

وكلما شب، ضمَّ لعبة جديدة إلى لعبة، مامن لعبة من لعب الورق إلا وتفوق فيها، من "الباصرة"، إلى "الطرنيب" إلى "التريكس" إلى "البوكر" إلى "البيدو"... امتدت السهرات حتى الصبح وكثرت، كثر الربح، يأتي إليه المقامرون من مختلف أنحاء الجبل، يخسرون أموالهم ويعودون، يذهبون إلى أحلامهم المبددة مع "بكر" ويذهب مالهم إلى جيبه.

ايه.. "بكر"...؟! لم تعد القرى تكفيك، تهبط المدينة تدمن مقاهيها وبيوتاتها المعتمة، المبالغ تكبر، ويبدو ماكنت تربحه في الجبل، تافهاً، ضئيلاً... وبين طيات صدره يرد "بكر"...

- (المدينة أنثى غضة ورطبة، فم تفوح منه روائح اللبن والشبع، ريحان هي، أعناق من الشهد المقطر... فقط أن تمتلك النقود، الدراهم رب المدن)

أحد أصدقائه قال له:

- "الدراهم مراهم"...

وبكر، أثرى، ابتاع بيتاً، سيارة، ثم أتبع ذلك بالمضاربة وشراء العملات الصعبة، والاتجار بها، أصبح عنده الكثير من الأصدقاء، أخذ يلعب في مجالس خاصة، فتح حساباً في البنك، وخوفاً على نفسه، استأجر شابين، يرافقانه أينما حل وحيثما وطئ.. وعندما زار القرية مرة، تجمع كل أهل القرية حوله، راحوا يرقبونه بفرح وحسد، يراقبون سيارته التي لم تر القرية مثلها، بدهشة واستغراب ويتمتون:

- ايه الله كريم... الله كريم....؟!

أمه ركضت، ووسمت زجاج السيارة بقطعة من العجين، علقت في داخله هيكل سلحفاة صغيرة، وحبات ناعمة من خرز أزرق، قبلته، قبلته، كأنها تراه لأول مرة، لآخر مرَّة، "أوصمان" ركض إلى الديك وذبحه، "مزيات" مدت على الفراش بساطين زاهيين محبوكين من شعر الماعز...، أما "بكر" فتمتم:

- طيبون أنتم يا أطفال.. طيبون ودس في جيب أمه بكتلة من الأوراق النقدية، قبل يدها، ركب السيارة، أدار محركها، زمر، وانطلق...لم ينتظر الديك الذي ذبحه تكريماً له "أوصمان"...حتى...

وَ " مزيات"

عينان كأصبعي لوز، وجه مدور مؤطر بشعر طويل فاحم، ينث دفئاً هادئاً ورزيناً، كانت تجمع نايها، توقظ الفلاحين والغجر، فيستسلم نسيم الجبل لأصابعها، وزهوره لأنسامها، تتحول الصخور الضخمة والدروب الوعرة المسيجة بأشجار البلوط والقطلب إلى سلالم موسيقية، تشع حبوراً وبهجة، فتتمايل رفوف البط وتتعرج، ترتفع، تهبط، يخلع المساء عباءته المدربة، ويرشق القمر الكائنات بفرح جليل، عندها تبدأ "مزيات" حياكة البسط بنشاط...

كل قصص الحب، تحولت إلى لوحات، نبتت في وسط البسط وشعت، الرعاة وقصص ارتحالهم إلى المراعي البعيدة على السفوح الشمالية الغربية للجبل، عذاباتهم، أحاديثهم مع الينابيع والصخور، العصابات التي تعترضهم، تذبح، تسرق ثم تفر، البواشق، الذئبان، وحبيبها الذي خطبها عدة مرات ولم يعطه أبوها وعداً... وعندما بكت، اهتزت لحيته النامية وهو يطيب خاطرها:

- قولي إنك تحبينه.. بلا خجل قولي... فقير لايملك إلا بقرتين ... لكن أنت حرة...؟! أمس... ركع خطيبها أمام البقرتين..؟! قام إلى العنبر، زاد كمية العلف، زاد الحبوب، الحبوب التي أخذ ينثرها فوق التبن، رش التبن بقليل من الماء، خلطها جيداً في المزود، شملته البقرتان بنظرة حانية، ثم راحت تجرش وجبتها، تقدم الخطيب منهما، وأخذ ينظف جسميهما مما علق بهما، يمسدهما بكثير من الحنان، هاهو يمرر بيده فوق جبين الأولى، وحول العينين يفرك جيداً، ثم يصعد بأصابعه الثخينة إلى العنق بحذر، وكأنه يمسد عنق"مزيات"

ثم ينتقل إلى الوسط وحوله منطقة الوركين يحاذر ثانية من أصابعه، يمرر بها حول الحوض بهدوء شديد.. كان هناك تكور ما..ضحك، ابتسم..، أهو عجل.. ابتسم ثانية وبخفوت، هو لا يود أن يذيع سراً، الفرح كبير، صدره صغير لا يتسع لفرح بهذا الحجم.. لذا انطلق خارجاً، التف مع الدرب، ركض، حتى وصل إلى دارها، كان يلهث ...منشرحاً...

- (مزيات) ستكون عندنا بقرة ثالثة، وكطفل بريء، هشت بيدها قرب رأسه، فهرول غائباً وهي تراقب حركاته، وتحيك على مهلٍ لوحة البقرة القادمة..

صاح "الخضر":

- أيه "جمشيد" هيت لك.. حكمتك في الكأس... والكأس طافحة بالخمر والحكايا، المجهول يتكشف لك، يفتح قلبه ويريل أوجاعه قدامك... لكن...

أيه "مزيات" ... هيت لك، إنك تشعلين الوجع والفرح بشعر الماعز وترقصين ملوك الجبل والتاريخ بسحرك... لكن...

فم "جمشيد" ينفتح وينطبق، يد "مزيات" يرتفع بالحياكة وينخفض، وبغمضة عين، يسقط الأب وراء محراثه هاهي تراه، ترى فردة حذائه التي سقطت، أمها تجن، شعرها متكوم فوق رأسها، ثيابها رثه، وعلى جانبي فمها زبد، تركض إلى الحرش، تصرخ... ترفع يدها بالدعاء:

- أولاد الحرام.. اقتلهم يارب...

تركض من جديد، تنحجب، تدمحي، تبحث كل القرية عنها دون جدوى.. تصرخ "مزيات":

- "رماد على رأسي يا أبي... رماد على رأسي يا أمي.. لتتحول جذورهم إلى بصل وثوم"...

"أوسيب"... هاهو، شهاداته ملتصقة بصدره، وفوق ظهره، خيطت الثناءات الكثيرة، يحمل كتبه الضخمة، يضعها في كيس من القنب، يعلق الكيس في رقبته، يقف فوق السطوح ويزعق:

"الساعة آتية لا ريب فيها.. كفاكم غواية... نذالة وقبحاً... نفاقاً وكذباً... سرقة وقتلاً... كفا..."..

ويرفع يده، فوق القلب يضعه، تتلطخ اليد بالدم، يبقُ من ثلاث فتحات صغيرة، دمٌ كثير... يصبح أصغر، ينكمش، يتجعد، الرأس على الحجر تماماً، القدمان تقفزان ثم تهمدان، ينفتح فمه وينطبق، تزعق "مزيات" رماد على رأس أخي... رماد"..

وتستمر في الحياكة تنقل المشهد بدقة... "أوصمان"، ملك الديكة يستلقي، دجاجاته نافقاتٌ، جانب من وجهه أخضر، والكهولة تلبسه... "بكر" ...آه... يابكر... كنت تجفف حبات الحصرم تجهز منها قلادة، تقدمها إلى عنقي قائلاً:

- مبروك عليك... تعب أخوك...

هاهو قرب الطاولة هاهو، أمامه كومة نقود،يتقدم منه أحد المقامرين، أنيقٌ، من ثيابه، يهيل عطر ساحرٌ، وعلى وجههُ مشروع ابتسامة، بحركة باردة، يستل سكيناً ويدفع نصله في ظهره، ينهض الآخرون، ينصرفون بهدوء، أما هو فتقدم قليلاً إلى الأمام، مال رأسه عن عنقه، سقط فوق النقود التي غمرته،بينما بقيت شفته منفرجة عن أسنانه، وكأنها تود أن تفعل وتقول الكثير.... بينما كانت "مزيات" تكمل آخر درزة في اللوحة،' التي سيشتريها أحدهم، أحد الأثرياء الذين لا تعرفهم كي يعلقها على جدار غرفته، ويمتدح ذوقها، ومهارتها، ارتفع صوتٌ هائلٌ، اهتزت الجبال، سقطت بعض الحجارة عن الدور، أصبح الصوت فوق البيوت، تمزقت الأفئدة، دمعت العيون، سالت روائح كريهة، وتقطعت الأنفاس..؟!

نهض "جمشيد" قبض على خنجره، ثم ترك الكأس التي كان يحدق فيها، ومد يده الأخرى إلى عنقه، وسقط، تدحرجت الكأس وابتلعت الأرض ماكان في جوفها.. الأم لم تتحرك من مكانها، كانت تنقي العدس، فجأة تجمدت، ركض "أوسيب" صوب الباب ولم يجتز العتبة، أوصمان فرك عينيه وصاح:

- ياناس.. لا أرى شيئاً..؟!

بكر صرخ:

- أشهد أن لا إله .....ولم يكمل الشهادة..؟!

" الخضر الواعدي" غيبه الجبل..؟! وأنا التي أدعى "مزيات" فقد لفتني ألحان الناي والحكايات والحياكة، ورمتني على حدود بعيدة، لأبقى حية وأكمل حياكة الأسطورة وترديد الأغاني الحزينة..؟!

امتصت الأرض آخر نقطة من كأس "جمشيد"، ارتفع ضبابٌ خفيف، وعلقت اللوحة في متحف الذكريات لتنضم إلى أخواتها الأخريات...

أليست اللوحة جميلة...؟! أرجو ذلك....

- في الأساطير الشرقية، أنه للحكيم الحاكم "جمشيد" كاساً إذا ملئت خمرة ظهر فيها كل ماسيحدث ويحدث في العالم.

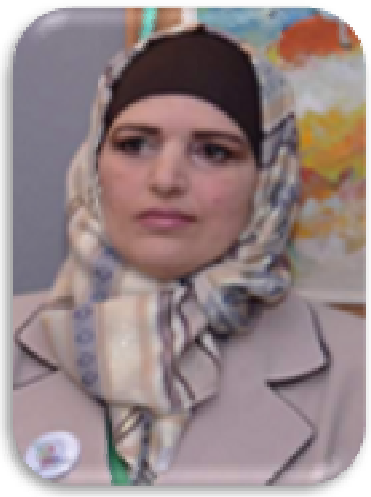

لوحــة للفنانــة
سـحر عـزام

بقلم: زياد جيوسي

في لوحة الفنانة سحر العزام، نجد أمامنا عملاً فنياً بسيطاً، ولكنه من جانب آخر يحمل فكرة كبيرة، فلو نظرنا للوحة، وهي لوحة مرسومة بشكل طولي، لوجدنا أن **موضوع اللوحة والجانب الوصفي العام** يتركز على فكرة واحدة هي الرجاء، وهي عملية قائمة على الدعاء لله سبحانه وتعالى، وعلى مجموعة من المكونات الرمزية التي تنقل للمشاهد الفكرة ببساطة، مكونات تنقلنا بين العتمة والنور والرجاء والقيد الذي يشد الفتاة سيدة اللوحة من يديها ويربطها بالأرض.

استخدمت الفنانة في اللوحة **الخصائص التقنية** القائمة على استخدام ألوان الزيت سريع الجفاف "أكليرك" على قماش الرسم المعالج "كونفس"، ويلاحظ بشكل عام التوجه لدى الفنانين، وأيضاً لدى الرسامين، لهذا النوع من الألوان بسبب توفرها ورخص أسعارها مقارنة بالألوان الزيتية المستخرجة من المواد العضوية، لكن بالتأكيد أن قدرات اللون الزيتي العضوي على التعبير والبقاء أكبر بكثير من المواد غير العضوية، والتي تدخل الكيماويات في تركيبها ما يقلل من عمرها الافتراضي إن لم تتم المحافظة عليها بشكل جيد، واللوحة بحجم 70/50 سم، وقد استخدمت الفنانة أسلوب الريشة وأسلوب الكشط بالسكين معاً في رسم اللوحة وفرش الألوان.

الفنانة سحر العزام اهتمت كثيراً **بفضاء اللوحة**، فقسمت الامتداد البصري إلى أربعة أقسام متفاوتة الحجم، ومتداخلة بالفضاء العام بتوزيع المساحات البصرية بما يخدم الفكرة للوحة، فنجد على الزاوية اليمنى في أعلى اللوحة بالنسبة لرؤية المشاهد المنطقة المعتمة، بينما يقابلها وبمساحة أكبر المنطقة المضيئة في الزاوية المقابلة للوحة، وهاتان المنطقتان مثلتا ثلث اللوحة العلوي، بينما نجد مساحة جيدة موشحة بالأخضر، وفي أعلاها التلال تمثل القاعدة التي تعكس فكرة الغد، بينما قاعدة اللوحة عبارة عن صخرة صماء داكنة اللون تمثل ثلث اللوحة كما التي سبقتها بالمساحة، وبذلك نرى أن الفضاء العام في اللوحة استخدم بشكل جيد، وأعطى مساحة واسعة للرمزية في اللوحة.

اهتمت الفنانة **بالدلالات النفسية** في اللوحة من خلال ملامح الوجه البشري الوحيد وهو لفتاة، فنلاحظ رغم أن الوجه بمساحة صغيرة إلا أن الفنانة أظهرت فيه حجماً من الألم، وفي الوقت نفسه لم تغفل الأمل بانقطاع الحبل رغم بقاء القيد، وجثو الفتاة على ركبتيها وهي تنظر للسماء تناجي خالقها، وهي تضع يديها على صدرها ولا تستطيع فتح الكفين كما العادة في الدعاء بسبب القيد في يديها يوحي بلمسات صوفية، فالأمل قائم فقد تقطع الحبل، ولكن لا تزال تعاني ولا تكف عن الرجاء.

من يتأمل اللوحة يجد أن الفنانة اهتمت **بالبنية والتكوين العام** لها، فهي لم تترك فراغات بدون معنى، فكانت مهتمة أن لا تكون هناك مساحات فارغة لا تعطي معنى، فالامتداد الفضائي متناسق مع أهداف ورمزيات اللوحة فنجد أن الرمزيات المستخدمة في اللوحة مثل: المرأة، الشمس، مساحات العتمة، الفضاء العام، الأرض.. كانت متوازنة بشكل جيد، فلم تظهر إشارات تهز مكانة تموضع الرموز

والأشكال المستخدمة، وكان التمازج بين الفضاء المنير والفضاء المعتم متواصلاً مع انقطاع نسبي لا يثير النفور بمقدار ما يثير الاستغراب حين تتحرك العين المراقبة بين جانبي اللوحة، والشجرة العارية التي تهزها رياح العتمة كانت نقطة الوصل بين الجانبين فأعطت تواصلاً، لكن مع انقطاع نسبي باختلاف اللون، وأيضاً لو نظرنا من الأسفل للأعلى وبالعكس كان المنظور العام جيد.

من المسائل المهمة في أية لوحة فنية، هي كيفية تطويع واستخدام **الألوان والإنارة**، فهي مسألة مهمة، وتعطي للوحة مفهومها، وأيضاً تعطي المشاهد فكرة عن القدرات الفنية للفنان، فقد سبق لي أن شاهدت لوحات لفنانين لهم حضورهم، ولكن الخطأ بتقدير كيفية استخدام الإنارة وانعكاسها على اللوحة أدى إلى خلل فاضح في لوحاتهم، وهنا في هذه اللوحة للفنانة سحر العزام نجد مصدر الضوء يتركز في أعلى الزاوية اليسرى بالنسبة للمشاهد، ويضيء جوانب اللوحة باستثناء الزاوية المعتمة على أعلى يمين اللوحة للمشاهد حيث الشجرة العارية التي تدفعها الرياح باتجاه الشمس تحجب النور، وهناك شمس أخرى رمزية تقع في منتصف اللوحة في الجهة المواجهة لرأس المقيدة التي تحلم بالرجاء، وهنا نجد الفنانة وقعت ببعض الأخطاء بالإنارة، فنجد انعكاس النور على شعر الفتاة من الواجهة الأمامية، وعلى جذع الشجرة من الناحية الخلفية، بينما الظلال موجودة على خلف ومقدمة الرداء الأبيض الذي ترتديه الفتاة، بينما تدرجات الألوان كانت جيدة نسبياً، وهذا يظهر جلياً في المنطقة السهلية تحت الشمس حيث تمازج الأخضر مع لون الأرض البني.

اهتمت الفنانة بمجموعة من **الرمزيات في اللوحة** حتى توصل الفكرة التي تسعى إليها، فنجد أن الفتاة تجثو على ركبتيها على صخرة صماء معتمة اللون، والصخرة إشارة رمزية واضحة للمجتمع الذي تعيش فيه، فهو هنا مجتمع يقيد المرأة بقيود قوية وكثيرة، ولهذا رمزت بذلك إلى القيد الذي يربط يديها وهو مرتبط أيضاً بالصخرة/ المجتمع، والفتاة تجثو على ركبتيها بحالة رجاء ونظراتها للسماء وللشمس التي ترمز هنا لفجر قادم بالحرية والنور، لذا نجد القيد قد قطع من منتصفه، لكنه لا يزال يقيد يدي الفتاة، فرحلة التحرر طويلة، والمجتمع جامد كالصخرة، وفي الوقت نفسه نجد الفتاة ترتدي الثوب الأبيض في رمزية واضحة للطهارة.

نلاحظ أن الفنانة رسمت السماء المعتمة بمساحة أقل من المنيرة في إشارة واضحة إلى أن النور سيتغلب على الظلام، كما رسمت شجرة عارية من كل الأوراق تقف في مهب الريح فتميل باتجاه النور في مواجهة قوة الريح القادمة من العتمة، لكنها عصية على الاقتلاع فجذورها راسخة وهي تصر أن تقاوم وتصمد في وجه ريح العتمة، في إشارات رمزية إلى دور القوى الظلامية في تخريب المجتمع ومحاولات اقتلاعه وإعادته للخلف بدل أن يتجه للغد، لكنه يميل إلى الشمس والنور.

يلاحظ في اللوحة وجود شمسين وليس واحدة، الأولى في السماء وتبعث نورها بقوة فتجعل الأرض تتمازج بين الأخضر والبني، وهي رمز واضح يشير للغد الذي سيفك القيود والذي تنظر إليه الفتاة وتتمناه، وشمس صغيرة كأنها مشرقة من عقل الفتاة وحلمها بغد منير وجميل، وسهل جميل يقع بين الصخرة/ المجتمع والأفق البعيد على مرمى نظر الفتاة المقيدة يرمز للخصب القادم وتحقق الحلم.

مسألة أخرى لا بد من الإشارة إليها في اللوحة وهي يديّ الفتاة، فرسم الأصابع به خلل تشريحي، فهي طويلة ومقوسة أكثر من الطبيعي، وهي أشبه بالمخالب، وهذه نقطة كان يجب معالجتها قبل عرض اللوحة، وأعتقد أنه لو جرى إخفاء قوس الشمس والاكتفاء بشلالات النور لكان أجمل، وابتعد عن التقليدية في بعض مناحي اللوحة.

وهكذا نجد بعد هذا التجوال في اللوحة أن الفنانة قد تمكنت رغم بعض الهنات ونقاط الضعف من التعبير عن آلام وظروف المرأة العربية تحت ضغوط المجتمع والجهل الذي يسوده، والعتمة التي تحيط به من خلال الممارسات الخاطئة تجاه النساء والنظرة إليهن، والفنانة تعيش في بلدتها في شمال الأردن، وبالتالي شاهد على طبيعة المجتمع وما يحكمه سواء من درجة الوعي وصولاً للعادات والتقاليد، وقد تمكنت من استخدام اللون بشكل جيد للتعبير عن الفكرة، إضافة إلى الرمزيات سواء المرسومة أو الرمزيات التقنية اللونية.

الفنانة سحر العزام درست الفنون الجميلة وحصلت على الدبلوم فيها في كلية بنات إربد، لكنها أكملت دراستها الجامعية لاحقاً في مجال إدارة الأعمال في جامعة إربد الأهلية، والفن بعض من تركيبتها النفسية منذ الطفولة، فهي فنانة بالفطرة، وكانت تهتم بداية بالرسم والرصاص، وعبر مراحل زمنية انتقلت إلى استخدام الزيت منذ العام 2015، وشاركت في العديد من المعارض، وكانت أول مشاركة لها في سمبوزيوم أم قيس، وشاركت أيضاً في مهرجان برقش الدولي، وفي ملتقى الرواد، وفي سمبوزيم النهر والليمون برعاية وزارة الثقافة الأردنية في العام 2017، وتهتم في لوحاتها بشكل عام بالخيول، وتعتبرها تمثل أصالة المرأة العربية والتراث باعتباره رمز للأصالة والطبيعة لأنها رمز للحياة وبخاصة الطبيعة الصامتة تاركة إياها تتحدث عن نفسها.

الإرادة المعرفية في مواجهة القمع

الحلقة السادسة

ريبر هبون

حين يتحدث ديكارت عن حالة الخوف من الموت، حيث تبدو له الحياة أكثر مشقة برحيل من نحب، فبمقدار ما نحب الحياة، ونبتهج لها، بمقدار ما نخشى على أنفسنا أكثر، حين نفجع برحيل من نحب، كذلك هي الوحدة كشعور يرادف الموت، بل يحيلنا لمجالسته، وننتقل الآن للفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا في معرض حديثه للموت، توصيفه إياه، قائلاً : **" العقل البشري لا يمكن تدميره بصورة مطلقة مع الجسم, لكن شيئاً خالداً يبقى منه"**، هنا يحوم الفيلسوف اسبينوزا حول هاجس الخلود مجدداً، تحول هذا الجسد البشري لشيء محسوس آخر، يكون تتمة للوجود، إذ يعود لعناصره الكلية ويقول أيضاً:

"إننا لم نعز الى العقل البشري أي ديمومة يمكن تحديدها زمنياً, إلا بقدر ما يعبر ذلك عن وجود فعلي للجسم ,يفسر عن طريق الديمومة ويمكن تحديدها زمنياً, أعني اننا لا نعزو اليه ديمومة إلا بقدر ما يدوم الجسم, غير أن هناك بالرغم من ذلك شيئاً ما تقتضيه ضرورة خالدة معينة عبر ماهية الاله ذاته, وهذا الشيء الذي يتعلق بماهية العقل سيكون أزلياً بالضرورة "

حيث يعبر **اسبينوزا** هنا عن الأزلية، خلود العقل، فناء الجسم، تحوله، فالعقل البشري في مضمار هذا المعنى باق، إذ تنتقل بين الأجيال، عن طريق أفكار تتشبث بقيم الحياة، لا الموت،

1- إصرار الإنسان المعرفي على انتزاع التشاؤم الأسود المكبل لحيوية الفكر والوجدان، ساعياً لإغاثة المكتئبين، المتقوقعين في قيعان النظرة التي تنحو لتمجيد الفناء وملحقاته من تعصب وعنصرية وكراهية الآخر

2- التعريف بعبثية الشعور بالخيبة، والعمل على تحسين صور الحياة الضاغطة على المفاهيم الطبيعية والملوثة لها، بإذكاء شرارة الحس الإبداعي لعيش الحياة بصورة ممكنة ومعبرة عن مواهب الإنسان المعرفي في الوجود.

3- محاربة التخلف كونه الوجه الأكثر سوءاً للموت، والتسلح بفلسفة الحياة في أطوار المرء المتعددة لغاية الطور الأخير، المفضي للتدبر والتذوق من الخلاصة المستنبطة من فعل الحركة المديدة

4- التعريف بأن جودة التفكير وجدته هو شكل فريد من أشكال الحياة غير المرئية والعمل عليها بصورة متقدة ، عبر الآداب والفنون والأفكار الحرة..

لننتقل الآن للفيلسوف المعرفي الألماني **إيمانويل كنط 10**، لنتعرف على توصيفه للموت في إطار محاولته العنيدة في إثبات الخلود قائلاً:

"ليس الموت إلا القناع الذي يخفي نشاطاً أكثر عمقاً و أقوى مغزى وان ما يسميه القانون بالموت هو المظهر المرئي لحياتي وهذه الحياة هي الحياة الأخلاقية.. وما يسمى بالموت لايمكن أن يقطع عملي لأن عملي ينبغي أن ينجز لأنني يتعين علي ان أقوم بمهمتي فليس هناك حد لحياتي ,إنني خالد"

فخلود المنجز لدى كنط يتحدد في بيان القيم الأخلاقية ، الذي يكشف النقاب عن هذا التصالح الوثيق بين المرء العامل وأعماله، حيث ذلك النشاط المفرز للحيوية، حيث تصبح فيما بعد عملاً يحتذى، وشيئاً نفيساً يتجلى عبره الإنجاز الذي يحفل به المرء، ليكون بمثابة القوة التي يعملها لمعرفة الحياة الخالدة التي يؤمن بها وذلك عبر استمرار الحركة الرافدة لحسن المسعى، القادرة على بث الديمومة في الأعمال الحقيقية، البعيدة عن مظاهر التزلف والزيف، والرامية لتحسين الحياة، وفهمها بطرائق متعددة، التي تقف وراء ذلك القناع الذي أشار إليه **كنط** هنا ، وهو القناع الذي يخفي وراءه النشاط الغزير والإمكانات الكثيرة تلك التي ولسان الحال هو أنه ثمة الكثير المنتظر تحقيقه ودوام المسعى والرسالة المعرفية لا يتوقف بل يتناسل من جيل لجيل وهكذا دواليك..، فنرى هيجل11الرائد للفلسفة المثالية يحدثنا عن تصالح الروح مع الذات قائلاً هنا:

"ان الموت هو الحب ذاته , ففي الموت يتكشف الحب المطلق , إنه وحدة ما هو لإلهي مع ما هو إنساني , وان الله متوحد مع ذاته في الإنسان ,في المتناهي .. عبر الموت صالح الله العالم ويصالح ذاته للأبد مع ذاته"

إذ تتجلى كل الإرادة الكامنة في الإتيان بالحياة كإبداع وحركة لحظة اقترابها من شبح الفناء، ولعل المطلقية في الموت، ناجم عن مسعى المرء لتحييدها قليلاً ولرؤية ذلك العشق الكبير في استنطاق الوجود في لحظات ما قبل النهاية ، حيث أن علاقة الإنسان بالحياة هي أيضاً طريقة لمعرفة نقيضها، إذ تتجلى كل الإرادة الكامنة في الإتيان بالحياة كإبداع وحركة لحظة اقترابها من شبح الفناء، ولعل المطلقية في الموت، ناجم عن مسعى المرء لتحييدها قليلاً ولرؤية ذلك العشق الكبير في استنطاق الوجود في لحظات ما قبل النهاية، حيث أن علاقة الإنسان بالحياة هي أيضاً طريقة لمعرفة نقيضها، والتساؤلات لا تكاد تبرح الذهن، بحضور الموت أم بغيابه وهذا يبرز لنا الحب المطلق الذي رآه متجلياً في الموت لدى **هيغل**، لكنه لدى **شوبنهاور** 13دليل على ذلك العبث العقيم الذي لا ينفك عن الحياة وحقيقة الموت فيقول هنا:

ان المعاناة هي بجلاء المصير الحقيقي للانسان كما يقول انه يتعين النظر الى الموت باعتباره الهدف الحقيقي للحياة لأنه في لحظة الموت فإن كل ما تقرر حول مسار الحياة بأسرها ليس الى إعداداً ومقدمة فحسب و الكفاح الي تجلى في الحياة على نحو عابث وعقيم ومتناقض مع ذاته تعد العودة من رحابه خلاصاً.

فثمة ذلك التقابل ما بين القولين من حيث المعنى، ما توصل إليه شوبنهاور عن حقيقة تجلي الحياة على نحو عبثي عقيم ومتناقض، يفضي لنتيجة أن في الموت الخلاص من تلك الأهوال المتجسدة في التخلف المقيت والفقر والمرض والاستبداد الفاتك بالناس ، فمهما تجسدت بواعث التشاؤم، اتسعت بوابة الإرادة في الولوج للحياة، على الرغم من حقيقتها المفضية للفناء ، ولهذا فالإنسان معني بدورة الحياة، وانبثاق الحياة من رحم الموت، حيث لا العقل يستطيع الإجابة ولا الوجدان يستطيع أن يصوغ علماً بمفرده، ذلك أن القصور هو وجه المنجز الإنساني بعمومه لهذا يقول نيتشه هنا:

"ما من وقت ينقضي بين لحظة وعيك الأخيرة وأول شعاع لفجر حياتك الجديدة, ومثلما لمعه البرق سينزاح المكان, وذلك على الرغم من أن المخلوقات الحية تظن أنه انقضى مليارات السنين ولا تستطيع حتى أن تعيدها, فاللازمان وإعادة الميلاد المباشر يناغمان حينما ينحي العقل جانباً"

حيث الغوص في متاهات فلسفية، فقناعة المرء في ظل مجتمع يعيش قناعاته المتداخلة مع الأعراف والتقاليد الدينية، هي التي يُسلط عليها الضوء، وبطريقة تحاكي هذه الطبيعة ولا تراعيها، فأمامنا هيئة من ينتظر الفناء، كونه بلغ أرذل العمر، ولكن المغزى الكامن في هذه المناجاة التي تتوسط الحلم واليقظة، هو ما تستدعي التأمل، والمقاربة، والترابط الرؤيوي ما بين النص بدلالاته وتقابلاته مع ما قيل وحُلّل، وما يجدر الحديث هنا في معرض تطرقنا للاغتراب، الموت، الفساد، الاستبداد، خنق الحريات واستعباد الأفراد، ذلك الاستعباد المحاصر مفاصل الحياة الاجتماعية الغائصة في مستنقع الكبت إلى إشعار الانفجار، فالمأساة الحقيقية الملازمة للكلمة، هي في القمع الدائم لكرامة الإنسان وحريته، حيث تبدو الأجهزة الأمنية، مدعاة كبح ورعب للإنسان، بدل من أن يكون وجودها مدعاة أمان واطمئنان.

ولعل الصورة المؤلمة التي برع الكاتب في وصفها، لهي دليل أكبر على حجم الهوة والشرخ الحاصل ما بين الحكومة والجماهير، في أن القمع هو الوجه المفصح والأكثر جلاء هنا، والذي حمل معه الوجع الكبير، إزاء عزم السلطة القامعة على إذكاء شرارة الاحتقان وتربية الخوف لدى المجتمع، حيث الأجهزة الرقابية التي توظف لقمع الحياة، والحريات على حد سواء، الأمر الذي أفضى لمشاعر السوداوية والتشاؤم والحنق الشديد إزاء واقع لم يتغير، إنه قدر الجماهير الرازحة تحت سلطان الخوف والرعب والفوضى القمعية..، حيث أن قدرة الإنسان المعرفي الإبداعية تفوق ما لدى السياسي السلطوي من ذرائع لترغيب الناس بضرورات المعركة، حيث أن الرغبة في السلم تعني بكافة الأحوال الركون لمنطقها القائم على البناء والإعمار والوقوف عند حاجات الإنسان الأولية.

وبالرغم من ألا حدود لعطاء وإمكانات الإنسان، إن تم الوقوف عندها ورعايتها، بيد أن قدر المجتمعات المحاطة بأسوار متينة من الفكر الغيبي الديني من جهة، وتكبيل المنظومة الاستبدادية الشمولية لها من جهة أخرى، جعل العقل الشرق أوسطي في خمود وتقلص، جعل ذلك العقل يعيش في أسر الماضي، مما يختزل من حروب طائفية، قومية، ترسخ ماهية الاحتقان السلطوي وحقيقة التنازع واحتكار المنفعة إلى مالانهاية، تحتج على كل ما له علاقة بأبعاد الصراع السلطوي العميقة في الشرق الأوسط وعلى مختلف الصعد الاجتماعية، السياسية، التاريخية، إلى جانب ضغط الرأسمال المحتكر، وخلقه للأنظمة القمعية من جهة، وتذرعه بتحرير الشعوب من ربقتها من جهة أخرى، لتخفي غاياتها الجوهرية التي تحارب لأجلها، وهي السعي لموارد اقتصادية احتياطية على حساب الشعوب وطموحاتها في أنظمة تحرص على رفاهيتها وتصون كرامتها في العيش المتكافئ..، حيث يقابل الفساد، حالة الاحتقان، كلاهما يكتملان في مشهد الحرب، وما ينجم عنه من تفكك للمجتمع، والقلق الدائم الذي يتصاعد شيئاً فشيئاً، ليطغى بتمامه، وليصبح المؤشر الفعلي لذلك التهدم.

حيث نلحظ الإشارات التي تفصح عن مكامن الذوات واختلافاتها استناداً إلى نظرية الأجيال حيث عرّف الفيلسوف كارل مانهايم2 الجيل "لاحظ أن البعض اقترح أن مصطلح الجماعة أكثر صحة، لتمييز الأجيال الاجتماعية عن أجيال القرابة (الأسرة، المرتبطة بالدم) كمجموعة من الأفراد ذوي الأعمار المتشابهة شهد أعضاؤها حدثًا تاريخيًا جديرًا بالملاحظة في غضون فترة زمنية معينة"، هذا التباين بين الأمزجة والأفكار على نحو تصادمي، بغية إجراء سفر دقيق وشامل لمكنونات الرؤى ما بين الأبن وأبيه، على نحو مقلق، وشامل لمكنونات الرؤى ما بين الأبن وأبيه، على نحو مقلق، يجسد لنا الشرخ الحاصل بين عوالم لا تكاد تتلاقى، في أجيال عقدت العزم على أن تكشف النقاب عن هواجس زمنها، رغم تزاحم السطوة الأبوية، وتعسفها، كل جدة مستهجنة، وتكاد توقع بالمعايير الأخلاقية التي نشأ عليها، انعكاساً لصراع كامن في العقلية القائمة على رفض الجديد والمحافظة على الوضع القائم، حال القوى التقليدية في الاستماتة للبقاء في ظل صعود قوى جديدة تستميت هي الأخرى في إبراز كينونتها المنتهكة في الميدان السياسي.

فحسب مانهايم فإنه يرى أن تصاعد الوعي الاجتماعي المدشن لنهضة النخبة الشابة المرتبطة إجمالاً بالحدث يشكل استجابة للنضوج القائم في حقبة معينة ومكان معين، يكمن في إبراز تلك القوى المعنوية التي تتصاعد لتشكل الحدث الأكثر إثارة، وهي بالضرورة تعد المصدر الهام لصناعة الوعي المشترك القائم على التغيير الاجتماعي، يشير إلى ذلك الخوف الذي يعتري ذهنية الجيل المحافظ المستهجن للتغيير بأشكاله، هو في ذاته إشارة مبطنة لأنظمة الشرق الأوسط الأبوية البطرياركية، تلك التي تتخوف من التغيير والنهضة، وتحاربه بكل قوة، إنها حقيقة الصراع الأليم بين القوى القائمة والناهضة، فللنزق دلالة على انسداد مجاري الحوار بين الطرفين ما نجم عنه في النهاية ضياع البوصلة، وترسخ الاغتراب الفردي، وشيوع انعدام الثقة، كل ذلك أثر على عملية التغيير والنهوض، حيث ثمة عوائق تحول دون التحديث، والمحافظة على المهترأ وغير صالح للحياة، فالنوم في عباءة الماضي هو إفلاس راهن، وعجز عن مواكبة مستجداته، فبقاء التشرذم والاحتكام لمنطق القوة والتعنت يُذهب بالنتيجة تلك الطاقات المستفيدة من حصانة القديم، حيث أن الاحتجاج وبروز الحل بكم هائل من الحدة كان النتيجة عن ذلك الاستهزأ والاقصاء والتعنت.

ولعل عدم الاستجابة له مكن روح الفوضى وإشاعة الشرور بين الناس، فالتغير الاجتماعي أمر محتم لابد وأن ينشب لو بعد كمٍ من الفوضى والصراع المأساوي بخلاف ما أشار إليه مانهايم من أن التغير الاجتماعي قد يحدث تدريجيًا، دون الحاجة لأحداث تاريخية بارزة، حيث أعطت السلطات القمعية مسوغات لقمع شعوبها المنتفضة، دون النزول لمطالبها، جعل من الإدارات الشمولية في حالة من الفوضى الذي جعلها في تفتت مستمر إيذاناً بزوالها مع الوقت، حيث أن التفسخ والشللية القائمة في مؤسساتها، سرعان ما تغدو نهباً لأطماع القوى الكبرى وجشعها، فتفاصيل المحن التي عمت المجتمعات، جعلتها أشبه بالقطيع المحتقن، والذي يتفجر على نمط غريب يقود بالنهاية لدمار كل شيء.

فالشرخ الكبير بين المسؤولين والجماهير، يؤدي لتشكل هذه النظرة في رؤية المحكومين أنهم عبارة عن قطيع يطيع ويلحق برعاته، أما أن تتلبسهم روح التمرد والشكوى، فهذا ما لا يتوقعه ويتخيله المرؤوسون، إذ لا يمكن مفاوضة قطيع حيواني ، فالشعب بنظرهم ليسوا سوى ذلك القطيع المأمور، واستغرابهم تصرفات ذلك القطيع، هو بمثابة الحدث الأكثر جللاً، والذي قادهم إلى التفكير بإبادة القطيع، فقد خرج عن طبيعته المفترض أن تبقى عليها للأبد، هذا بوجهة نظر المتنفذين السلطويين، فهم يصفون كل انتفاضة بالجنون والخروج عن الجادة، وهكذا يستعر الصراع فيما بين المختار وجماعته من جهة....

..... يتبـــع .....

بوكتشين، أوجلان وجدلية الديمقراطية*

الجزء الأول

ترجمة: عدنان بدرالدين

جانيت بيل

مابين 3-5 شباط - فبراير- لعام 2012، عقد في مدينة – هامبورغ- بالمانيا كونفرانس تحت عنوان "تحدي الحداثة الرأسمالية: المفاهيم البديلة والقضية الكردية". النص التالي ألقي كخطاب أمام الحضور في الكونفرانس المذكور.

في شباط-فبراير- من عام 1999، عندما جرى إختطاف أوجلان في كينيا، كان – موراي بوكتشين- يقيم معي في برلينغتون، فيرمونت. تابعنا معا عملية القبض عليه عبر التقارير الإخبارية المعروضة. كان بوكتشين يتعاطف مع محنة الكرد- وكان يشهر تعاطفه هذا كلما جاء الحديث على هذا الموضوع- لكنه كان يرى أوجلان مجرد قائد حرب عصابات آخر من الطراز الماركسي-اللينيني، تحول لاحقا إلى المواقع الستالينية. كان موراي قد دأب، على مدى عقود، على إنتقاد مثل هذه الشخصيات، كونها تقوم بتضليل البشرعبر إستغلال إندفاعتهم للحرية لجرهم إلى موقع الخضوع للسلطة، وللعقائد الجامدة، وغرس قيم الدولاتية (ستاتيزم) فيهم إلى درجة قبولهم للرأسمالية.

كان بوكتشين نفسه، كفتى يافع، في ثلاثينات القرن المنصرم ستالينيا، لكنه هاجر الستالينية لاحقا خلال العقد ذاته، إلى التروتسكية. في ذلك الحين، كان التروتسكيون يعتقدون أن الحرب العالمية الثانية ستفضي، حال إنتهاءها، إلى قيام ثورات بروليتارية إشتراكية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، بذات الطريقة التي فتحت بها الحرب العالمية الأولى الطريق أمام قيام الثورة الروسية. لكن شيئا من هذا لم يحدث في عام 1945، مما أدى إلى إنهيار الحركة التروتسكية بعد أن تبين خطأ توقعاتها التي سوقتها كمسلمات. تخلى الكثيرون من أعضاء الحركة، إن لم يكن جلهم، عن الماركسية والسياسات الثورية عموما، ليصبحوا لاحقا، أكاديميين أو رؤساء تحرير مجلات، أي أنهم قبلوا، بدرجة أو بأخرى، العمل في إطار المنظومة السياسية القائمة.

بوكتشتين كان هو الآخر، من بين من تخلى عن الماركسية. فقد تجلى بوضوح أن الطبقة العاملة، رغم كل شيئ، لم تكن ثورية، لكنه بدل أن يجاري التيار العام، أنجز هو ورفاقه، عملا فريدا حين ظلوا ثوريين إجتماعيين. وقد قاموا بتذكير واقع أن تروتسكي قبل إغتياله كان قد قال بأنه، وفي حال حدث ماهو غير متوقع البتة، وإنتهت الحرب إلى غير الثورة، فإنه سيكون من الضروري حينذاك، إعادة التفكير بالعقيدة الماركسية ذاتها.

كان بوكتشين وصحبه لايزالون واثقين تماما من أن الرأسمالية هي بطبيعتها منظومة سيئة، تحمل في ذاتها بذرة موتها، ولكن، إن لم تكن البروليتاريا هي نقطة ضعفها، فماذا تكون إذن ياترى؟ أدرك بوكتشين مبكرا، في بدايات الخمسينات من القرن العشرين، بإن نقيصة الرأسمالية القاتلة هي أنها تدخل في صراع مع البيئة الطبيعية، وبكونها مدمرة للطبيعة ولصحة البشر على حد سواء. فقد صنعت (بتشديد النون) الزراعة، ولوثت المحاصيل وأبدان الناس عبر ضخها بمواد كيميائية سامة، وضخمت المدن بدرجة لاتطاق، ومن خلال عزل هذه الأخيرة عن الطبيعة، حولت البشر إلى آلات، ملحقة بذلك الضرر بأبدانهم ونفسياتهم. كما أنها تمارس الضغوط من خلال الدعاية النشطة على الناس العاديين لكي يهدروا أموالهم في شراء منتوجات غير مجدية يتسبب تصنيعها في إلحاق مزيد من الضرر بالبيئة،

وعلى هذا، فإن أزمات الرأسمالية لاتنبع من إستغلال الطبقة العاملة، بل من اللاإنسانية المتغولة للبشر وتدمير الطبيعة.

من أجل بناء المجتمع البيئي (الآيكولوجي)، يتعين تحويل المدن إلى تجمعات لامركزية لكي يعيش البشر في نطاق أضيق، يمكنهم من حكم أنفسهم بأنفسهم، وزراعة المحاصيل الزراعية محليا، وإستخدام الطاقة المتجددة. ولن يسترشد المجتمع الجديد، بآليات السوق أو أوامر سلطة الدولة، وإنما بإرادة الشعب التي ستهتدي بدورها بالأخلاق على صعيد الكومونة الواحدة.

إنشاء مثل هذا المجتمع الآيكولوجي الرشيد يستوجب وجود مؤسسات قابلة للحياة أطلق عليها بوكتشين تسمية "أشكال الحرية". إن كل من المنظمة الثورية ومؤسسات المجتمع الجديد يجب أن تكون تحررية حقا بحيث لاتمهد لظهور ستالين جديد، أو طاغية آخر بإسم الإشتراكية، ولكنها يجب أن تكون من القوة بما يكفي لهزيمة الرأسمالية.

أدرك بوكتشين أن هذه المؤسسات لايمكن إلا أن تكون مجالس ديمقراطية، إذ يجب القضاء على الدولة القومية القائمة ، ونقل سلطاتها إلى المواطنين في المجالس التي في مقدورها أن تتخذ قرارت أفضل من أرباب الصناعة، فيما يتعلق بالبيئة مثلا. وحيث أن المجالس تعمل في بيئات بشرية محدودة، فإنه، ولتمكينها من العمل على نطاق أوسع، يجب أن تتحد مع بعضها البعض في كونفدرالية.

أمضى بوكتشين العقود اللاحقة في صياغة أفكار المجتمع الديمقراطي الآيكولوجي. ففي عام 1980، على سبيل المثال، قال بأن كونفدرالية مجالس المواطنين، ستغدو قوة مضادة لقوة الدولة القومية، أو موازية لها. وأطلق على برنامجه هذا إسم الكومونالية التحررية، ولاحقا الكومونالية. بعد ذلك، حاول إقناع اليساريين في أوربا وأمريكا بأهمية هذا المشروع، لكن جلهم كان مشغولا بإبداء الإعجاب بماو وهوشي منه وفيدل كاسترو. بوكتشين قال أن هؤلاء هم مجرد طغاة، لكن اليساريين لم يكونوا على إستعداد لسماع مثل هذه الإنتقادات، وردوا عليه بالقول أن النزعة البيئية والديمقراطية هي أفكار برجوازية صغيرة. الفوضيون كانوا المجموعة الوحيدة التي قبلت الإصغاء إليه، بسبب آراءه المعادية للدولة، وكان هو ذاته قد بدأ يعتبر وجها فوضوياً مرموقاً.

أخبر بوكتشين الفوضويين أن مشروعه في الكومونالية التحررية يعكس سياساتهم الطبيعية، ونظريتهم الثورية. كانوا مهيئين للإستماع إليه بإحترام ، ولكنهم أخبروه، إثر ذلك، بأنهم لايتقبلون الحكومات المحلية، بنفس القوة التي يناهضون بها أية حكومة أخرى، كما أبدوا إعتراضهم على فكرة الإنصياع لرأي الأغلبية، بإعتبارها تصادر حق الأقلية. كانوا يفضلون تجمعات كومونالية لاسياسية وتعاونيات ومكتبات لترويج الفكر الراديكالي وبلديات مستقلة. بوكتشين كان من جانبه لايعترض على ذلك، ولكنه كان يؤمن بأنه لكي تنجح في إشعال ثورة حقيقية يجب أن تمتلك قوة قانونية وسياسية ذات هيكلية ملموسة وراسخة. الكومونالية التحررية، برأيه، هي السبيل لتحقيق ذلك من أجل إيجاد موطئ قدم لمناهضة الدولة القومية.

تودد بوكتشين للفوضويين، تغزل بهم، ناشدهم، تملق لهم، توسل إليهم، عنفهم، فعل كل مافي وسعه عبثا لإقناعهم بأن الكومونالية التحررية هي الطريق نحو تحقيق أهدافهم. وبحلول عام 1999، عام إعتقال أوجلان، وجد نفسه أخيرا مجبرا على فض إرتباطه بالفوضوية.

* * *

وبينما كان هذا كله يحدث، لم نكن قد قرأنا الكثير عن مرافعة أوجلان أثناء محاكمته بتهمة الخيانة: لم نكن نعرف، مثلا، أنه كان يمر بتحول كذلك الذي كان بوكتشين قد مربه قبل نصف قرن، وأنه بات يرفض الماركسية لصالح الديمقراطية، وبأنه كان قد خلص إلى أن الماركسية إستبدادية وعقائدية وغير قادرة على إجراء مقاربة خلاقة للمشكلات الحالية (1). "يجب علينا أن نستجيب لمتطلبات اللحظة التاريخية" قالها أوجلان أمام المحكمة. للمضي قدما إلى الأمام يجب "إعادة تقييم مبادئ وبرنامج وطريقة العمل" (2) هو شيئ كان بإمكان بوكتشين قوله في عام 1946.

اليوم، توجه أوجلان بكلامه إلى هيئة الإتهام التركية قائلا بأن الأنظمة الجامدة تنهار، وأن "المشكلات القومية والثقافية والعرقية والدينية، بل حتى المشاكل الإقليمية يمكن حلها من خلال توفير وتطبيق أوسع المعايير الديمقراطية." (3). على حزب العمال الكردستاني، يقول أوجلان، التخلي عن هدف إقامة دولة كردية مستقلة، وإعتماد برنامج يخص تركيا ككل.

الديمقراطية، برأيه، هي مفتاح (لحل) القضية الكردية وذلك لأن كل مواطن في ظل النظام الديمقراطي يتمتع بحقوق كثيرة بما في ذلك حق الإقتراع، كما أن بإمكان الجميع المشاركة بغض النظر عن عرقهم. هناك إمكانية لدمقرطة الدولة التركية بما يكفل إعترافها بوجود الشعب الكردي وبلغته وثقافته. (4) هذا لم يكن له علاقة بديمقراطية المجالس، التي كان يدعو إليها بوكتشين، بل أقرب إلى شيئ معاكس تماما، رأسه على الأرض وقدماه في الهواء، إذ أن "الهدف هو الجمهورية الديمقراطية".

أوجلان أشار أيضا إلى أن الديمقراطية هي المفتاح لمستقبل تركيا لأنها لايمكن أن تكون ديمقراطية حقا بدون الكرد. بعض البلدان الديمقراطية، يؤكد أوجلان، تمكنت من حل مشاكلها العرقية من خلال إستيعاب الجماعات التي كانت ذات يوم مهمشة، وقد ساعدتها هذه الإستيعابية والتنوع لأن تكون أقوى. في الولايات المتحدة الأمريكية والهند وفي أماكن أخرى كثيرة تعاني من مشاكل أثنية أكثر تعقيدا من تلك التي تواجهها تركيا تم إحراز تقدم ملموس فيما يخص الإستيعابية الإثنية بشكل منح القوة للجميع. قبول الآخر حول في كل أنحاء العالم الإختلاف إلى قوة.

من الجائز أن تكون النيابة التركية قد فكرت بالرسالة، إلا أنها لم تهتم بقائلها، إذ أنها أدانته وحكمت عليه بالإعدام، الحكم الذي خفف لاحقا إلى الحبس الإنفرادي.

كان بوكتشين غالبا مايقول أن أفضل الفوضويين ماركسيون سابقون. فهم يعرفون كيفية التفكير، وكيفية إستخلاص منطق الأفكار، كما أنهم يفهمون الديالكتيك. وكان سيعترف لأوجلان بالتأكيد هذه القابلية لو قيض لهما أن يلتقيا، إذ أن الرجلين يتشاركان في ميزة العقل الدياليكتيكي، الموروثة من ماضيهما الماركسي. ذلك لايعني أنهما يستنيران بالمادية الديالكتيكية إذ كانا يعتبرانها ناقصة، من منطلق أن السببية التاريخية متعددة الأوجة، ولايمكن حصرها بالعامل الإقتصادي وحده، لكنهما ظلا، مع ذلك، متمسكين بالديالكتيك لحبهما (سبر أغوار) تطورات العملية التاريخية. الديالكتيك هو وسيلة لتوصيف التغيير، لكن ليس الحركي منه، فهذا شأن الفيزياء، بل وصف التغيير الذي يمس المادة العضوية، والتاريخ الإجتماعي على حد سواء. والتغيير قائم على التناقض، حيث أنه خلال أية عملية تطورية، يتم الإحتفاظ ببعض القديم مع إضافة بعض ماهو جديد، الأمر الذي يؤدي إما إلى الزوال "Aufhebung" أو إلى الإرتقاء.

الرجلان، كلاهما، كانا أيضا ميالين للتفكر في كنه التطور التاريخي، وقد كتبا في الواقع سرديات تاريخية شاملة عن الحضارة، فككت لأكثرمن مرة، جدلية الهيمنة والمقاومة. فالدول والطغاة جوبهوا دوما بنضال عنيد من أجل الحرية. وبعكس الماركسيين، تجنبا إستخدام الديالكتيك، للتنبؤ بثورة حتمية يخبئها المستقبل، فهذا، برأيهما، عصي على التنبؤ، لكنهما لجئا إليه، لرفع سقف الإحتمالات، وتحديد الإمكانات، لما إعتقدا أنها يجب أن تكون الخطوة السياسية القادمة. كما أنهما لجئا، بوعي أو بدون وعي، إلى الأخلاق ليستمدا مما حدث في الماضي لما يجب أن يأتي في المستقبل.

لقد كتب كل منهما، على حدة، عن أصل الحضارة، عن المجتمعات البدائية في العصر الحجري، عن صعود الزراعة والملكية الخاصة والمجتمع الطبقي، عن ظهورالدين، عن الإدارة والدول والجيوش، عن الملوك والنبلاء والإقطاع، وخاضا النقاش في قضايا الحداثة وإرتقاء التنوير والعلم والتكنولوجيا والصناعة والرأسمالية. وبقصد التيسير فقط، سأسمي هذه التقصيات التاريخية سرديات عن الحضارة.

كتب بوكتشين سرديتيين أساسيتين عن الحضارة هما: آيكولوجيا الحرية (1982)، وتمدن بدون مدن (1986)(6). أوجلان، من جانبه، كتب العديد من هذه السرديات، مثل: جذور الحضارة، وأجزاء من: حزب العمال الكردستاني والقضية الكردية، بما في ذلك أحدثها: خريطة الطريق (7). لقد سخر الرجلان سرديتهما عن الحضارة من أجل خدمة الإشكاليات السياسية الراهنة.

آيكولوجيا الحرية هي، من بين أمور أخرى، حجة ضد التيار العام في حركة حماية االبيئة المتسم بالإصلاحية، لصالح آيكولوجيا إجتماعية راديكالية. بوكتشين، أراد بذلك، أن يثبت لأولئك الليبراليين الحذرين بأن في إمكانهم أن يرموا إلى أكثرمن مجرد إصلاح الدولة، وأن عليهم، وفي مقدورهم، التفكير في (بناء) مجتمع آيكولوجي.

سلط بوكتشين الضوء على التجمعات البدائية المعروفة في التاريخ الإنساني، وأطلق تسمية "المجتمع العضوي" على القبائل والكومونات غير الهرمية التي عاشت متعاونة مع بعضها البعض، مبينا السمات المحددة التي جعلتها تقبل على هذا التعاون والمتمثلة، برأيه، في توزيع وسائل العيش بمقتضى عادة الإنتفاع (إستخدام الموارد المتوفرة حسب الحاجة)، ومبدأ التكامل (التبادلية الأخلاقية)، و مبدأ الحد الأدنى الغير قابل للإختزال (حق الجميع في الغذاء والمأوى والملبس) (8).

"من هذا الشعور بالوحدة بين الفرد والجماعة يظهر شعور الوحدة بين الجماعة وبيئتها" وكان يردد بأن هذه المجتمعات العضوية عاشت في تناغم مع العالم الطبيعي. (9).

إثر ذلك، تتبع بوكتشين مسار التطور الجدلي: صعود منظومات التسلسل الهرمي مباشرة من المجتمع العضوي: المجتمع الأبوي ومن ثم هيمنة المرأة، تلتها سلطة الشيوخ (الرجال المسنون)، ثم تلك العائدة للشامان (الأطباء السحرة)، ثم الكهنة، فالمحاربين، فالقادة، وصولا إلى المجتمع الطبقي. (10). بعد ذلك، برزت فكرة السيطرة على الطبيعة، إذ تم إعادة إكتشاف هذه الأخيرة كأداة قابلة للإستغلال.

إعتبر بوكتشين أن إرث الهرمية المتأسس على الهيمنة تم مواجهته على الدوام بميراث طويل من الحرية – حركات مقاومة على مر التاريخ جسدت مبادئ المجتمع العضوي في الإنتفاعية ، والتكامل والحد الأدنى الغير قابل للإختزال. لاتزال هناك، برأيه، إحتمالية للتجاوز الجدلي للهيمنة من خلال مجتمعات تعاونية حرة تجعل من الممكن إقامة علاقات تعاونية مع الطبيعة. مجموعة الأفكار هذه أطلق عليها بوكتشين تسمية المجتمع الآيكولوجي.

كان ذلك في عام 1982، في سرديته الثانية عن الحضارة: "تمدن بدون مدن"، حيث سعى إلى إقامة الأسس التاريخية لديمقراطية المجالس. تقليد ديمقراطية المجالس عثر عليه بوكتشين في إكليزيا الأثينية القديمة، وفي المدن الأولى القائمة في إيطاليا وألمانيا ودول المنخفض (هولندا وبلجيكا)، في فيتشي بسكوف الروسية ونوفوغورد، في كومونات المجالس في إسبانيا في القرن السادس عشر، في مجالس الأحياء الباريسية في عام 1793، وفي لجان ومجالس الثورة الأمريكية، في نوادي باريس في عام 1848، وفي كومونة باريس في عام 1871، في سوفيتات عامي 1905 و 1917، في تعاونيات أسبانيا الثورية 1936-1937، في إجتماعات بلدات بريطانيا الجديدة هذه الأيام على سبيل المثال لاالحصر. وقد لاحظ بأن الطريق إلى الثورة، وخلافا للماركسية، يمر عبر البلدية، لا عبر المصنع. فالتحضر (التمدن) يضع الأسس الجدلية للإنتفاضة البلدياتية (من البلدية) من أجل الحرية وضد الدولة القو مية.

معزولا في سجنه النائي، كرس أوجلان نفسه غالبا للدراسة وكتابة السرديات عن الحضارة. إحدى الإشكاليات التي تناولها في كتابه "جذور الحضارة الصادر عام 2001 كان الإشارة إلى حاجة تركيا الديمقراطية إلى إستيعاب الكرد. وقد أسهب في وصف عملية التطور الإجتماعي والعمليات التاريخية الشاملة للحضارة التي تعود بجذورها إلى ميزوبوتاميا (بلاد مابين النهرين) أثناء العهد السومري.

في سرديته زيگوارت (zigguart)* المعبد الذي كان مركزاً إدارياً وموقع إنتاج على حد سواء، يشير أوجلان إلى أنه يمثل "رحم مؤسسات الدولة" (11) حيث كان طابقه العلوي منزلا للألهة، فيما كان الطابق السفلي يستخدم في الإنتاج وتخزين البضائع، الأمر الذي يعني أن المعبد كان مركزاً للإنتاج الإقتصادي. لقد تم رفع الحكام إلى منزلة الآلهة، فيما كان على عامة الناس أن تكدح في خدمتهم كعمال في إقتصاد يتمركز حول المعبد.

لقد شكل الزيگوارت"مختبرا لترميز العقليات البشرية، والملجئ الأول للمخلوق المنقاد"، كما أنه عبر عن "الأسرالأولى القائمة على النظام الأبوي، وأول بيوت الدعارة". وقد أصبح الكهنة السومريون الذين أشرفوا على بنائها "أول مهندسي السلطة السياسية المركزية". من معابدهم هذه نمت المدن، ثم تحولت المدن إلى دول وإمبراطوريات منتجة للحضارة. لكن طبيعة الظاهرة ظلت هي نفسها إذ أن "تاريخ الحضارة ليس أكثر من مجرد إستمرار للمجتمع السومري الذي نمى طولا، ثم تفرع وتنوع، ولكنه حافظ على ذات صورته الأساسية" (12). مازلنا نعيش في سومر، لازلنا نعيش في (أجواء) هذا "الإختراع الفكري المدهش" الذي مافتئ "يضبط تاريخنا كله منذ ذلك الحين" (13).

إذا كانت الحضارة السومرية هي الإطروحة (thesis)، قالها أوجلان في تساءل جدلي، فنحن بحاجة إلى نقيضها (antithesis)، وهو مايمكن أن نعثر عليه في أماكن أخرى، في المسألة الكردية مثلا. المقاومة العرقية (الإثنية) للمدينة السومرية قديمة قدم المدينة ذاتها. لكننا نسطيع اليوم أن نتجاوز الدولة السومرية من خلال بناء جمهورية ديمقراطية حقيقية تكون بيتا (مشتركا) للكرد والترك معا.

لا أعرف أي شيئ عن التأثيرات الفكرية على أوجلان. أسماء والترستاين، بروديل وفوكو تذكر غالبا، لكن الواضح أنه إنكب منذ عام 2001 على قراءة بوكتشين بشكل مكثف، وخاصة آيكولوجيا الحرية وتمدن بدون مدن.

بعد ذلك، وعبر محاميه، أوصى رؤساء جميع بلديات كردستان تركيا بقراءة كتاب "تمدن بدون مدن"، وجميع المقاتلين بقراءة "آيكولوجيا الحرية". (15).

في ربيع عام 2004 إتصل محاموا أوجلان، عبر وسيط، مع بوكتشين وأخبروه بأن أوجلان يعتبر نفسه تلميذا له، وبأنه فهم أفكاره جيدا، وهو مصمم على تطبيقها في المجتمع الشرقي، كما طالب بفرصة للحوار معه، وأرسل إليه إحدى مخطوطاته.

كان هذا الحوار، لو قيض له أن يتم، سيكون أمرا مدهشا، لكن موراي، إبن الثالثة والثمانين كان مريضا لدرجة جعلته يرفض هذه الدعوة، على مضض وبإحترام.

كتابات أوجلان اللاحقة تظهر تأثيرات قراءته لبوكتشين عليه. بحثه "في الدفاع عن الشعب" هو بمثابة سردية عن الحضارة تتضمن وصفا لأشكال التجمعات البدائية الشبيهة بالمجتمع العضوي الذي قدمه بوكتشين، أشكال من الحياة الجماعية سماها أوجلان "المجتمع الطبيعي". في مثل هكذا مجتمعات، كتب أوجلان، عاش الناس "كجزء من الطبيعة" وكانت "المجتمعات البشرية جزءا من البيئة الطبيعية". وقد قدم وصفا لتنامي نظام التسلسل الهرمي الذي يشبه كثيرا ذلك الذي طرحه بوكتشين. فالدولة، برأيه، "عملت على الدوام من أجل فرض الهرمية الإجتماعية، وشرعنت لتراكم القيم والسلع". أكثر من هذا،

قال أوجلان، بأن تنامي الهرمية الإجتماعية أصبحت مقدمة لفكرة إخضاع الطبيعة. و "بدلا عن أن تكون جزءا من الطبيعة"، بات المجتمع الهرمي يرى "الطبيعة، بصورة متزايدة، مجرد مصدر للموارد" ليستخلص من كل ذلك بأن المجتمع الطبيعي، شكل منذ فجر الإنسانية، النقيض لفكرة المجتمع القائم على الهرمية والدولة. (16).

* نص كلمة ألقتها الكاتبة أمام كونفرانس "تحدي الحداثة الرأسمالية: المفاهيم البديلة والقضية الكردية" الذي عقد في مدينة هامبورغ بألمانيا عام 2012. الترجمة مأخوذة من نصها الأصلي المنشور باللغة الإنكليزية في موقع – نيو كومباس- الإلكتروني. ويمكن قراءة النص الأصلي على الرابط التالي:

http: ///new-compass.net articles/boo kchin - %C3% B6 calan-and -dialectics-democracy

** كاتبة وناشرة ومصممة غرافيك أمريكية معروفة. عملت بيل طويلا مع موراي بوكتشين وروجت لأفكاره في أوساط الحركة الخضراء في الولايات المتحدة. أصدرت سلسلة من الكتب في هذا المجال، بعضها بالتشارك مع بوكتيشين. ورغم أن جانيت بيل لم تعد تعتبر نفسها مناصرة ل"حركة الآيكولوجيا الإجتماعية" فإن كتاباتها لاتزال تلهم مناصري هذا التيار. من أهم مؤلفاتها: إعادة النظر في السياسات الآيكوفيمينية (1991)، سياسات الآيكولوجيا المجتمعية: الكومونالية التحررية (1997).

هوامش

(1) bdullah Ocelan, Delclarion on Democratic Solution of the Kurdish Question, 1999, trans. Kurdistan Information Centre (Mesopotamia publishers, 1999); hea rafter Defense; P. 106.

(2) Ibid; p. 44.

(3) Ibid; p. 55.

(4) Ibid; p. 89-90.

[6] Murray Bookchin, *The Ecology of Freedom: The Rise and Dissolution of Hierarchy* (Palo Alto, Calif.: Cheshire Books, 1982); and *The Rise of Urbanization and the Decline of Citizenship* [later retitled *Urbanization Against Cities*] (San Francisco: Sierra Club, 1986).

[7] Abdullah Öcalan, *Prison Writings: The Roots of Civilization*, trans. Klaus Happel (London: Pluto Press, 2007); and *Prison Writings: The PKK and the Kurdish Question in the 21st Century*, trans. Klaus Happel (London: Transmedia, 2011). Neither Bookchin nor Öcalan was an archaeologist or anthropologist; rather, in their accounts of prehistory and early history, they use such professionals' published findings.

[8] Bookchin, *Ecology of Freedom*, chap. 2.

[9] Ibid., pp. 46, 43.

[10] Ibid., *Ecology of Freedom*, chap. 3.

[11] Öcalan, *Roots*, p. 6.

[12] Ibid., p. 53, 25, 98.

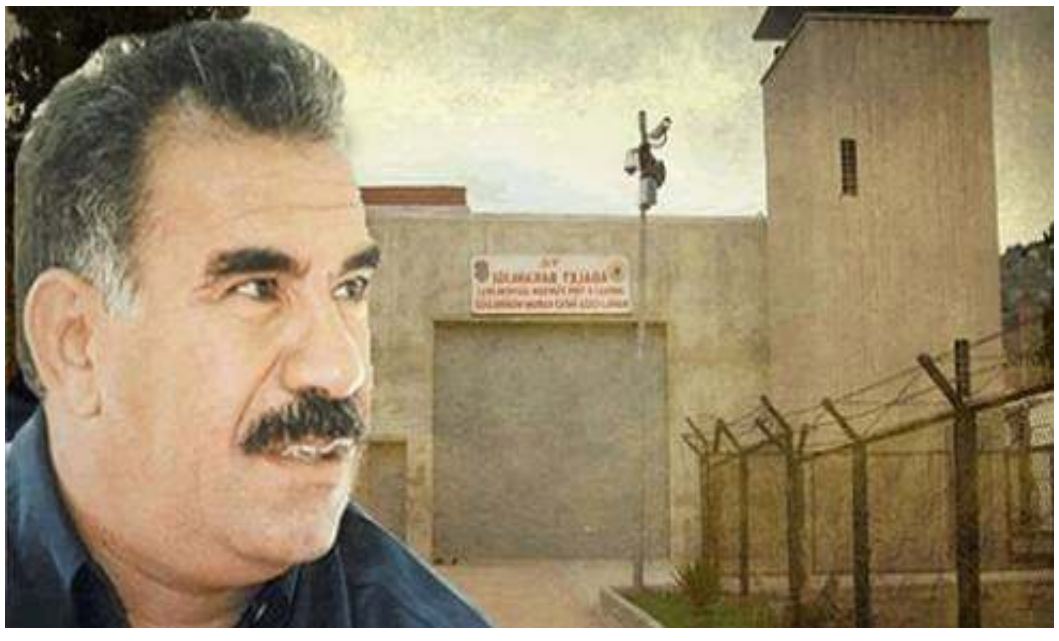

[13] Öcalan, *PKK and Kurdish Question*, p. 96

[15] So I was told by the intermediary between Öcalan's lawyers and Bookchin, who wishes to remain anonymous here.

* يعرف قاموس أكسفورد كلمة (zigguart) كما يلي: "برج مستطيل متطاول في السماء، يعلوه أحيانا معبد في ميزوبوتاميا القديمة. وقد تم إثبات وجوده أول مرة في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وربما تكون زيگوارت قد ألهمت قصة برج بابل الواردة في الكتاب المقدس" –المترجم.

[16] Abdullah Öcalan, *In Defense of the People* (unpublished), chap. 1.2, "The Natural Society," English translation manuscript courtesy of the International Initiative Freedom for Öcalan, Peace in Kurdistan. This book was published in German as *Jenseits von Staat, Macht, und Gewalt* (Neuss:

Mesopotamien Verlag, 2010).

* أهمية بحث السيدة بيل تكمن في أنها تكشف أن الأوجلانية ليست "فتحا باهرا في عوالم السياسة والفلسفة"، بل هي فعليا، صيغة غير متقنة لإطروحات وأفكار مجترة ومستهلكة، رفضتها النخب السياسية والثقافية في بيئاتها الحاضنة في أمريكا وأوربا منذ أمد بعيد.

نختلف بشدة مع أفكار الكاتبة وتقييماتها لفكر بوكتشين، وإن كنا نتفق معها على تأثيرها الكبيرعلى الزعيم الكردي لدرجة يصح معها إعتبار الأوجلانية في نسختها الحديثة مجرد "بوكتشينية محرفة". كما لانقبل، تحت أي طائل، محاولاتها غير الموفقة، إيجاد تبريرات لتناقضات أوجلان الجلية فيما يخص موقفه من الدولة، التي يعتبر أمر رفضها جوهر الطرح البوكتشيني. ولايهم، بالطبع، أن تكون بيل في ذلك مدفوعة بإعتبارات أيديولوجية، أو أن يكون الأمر نتيجة لجهل بواقع الأمور. كل هذه المسائل وغيرها سنعالجها في بحث منفصل بعنوان "على هامش مقالة جانيت بيل: بوكتشين، أوجلان وجدلية الديمقراطية"، سنقدمه للقارئ الكريم في أقرب فرصة ممكنة (المترجم).

** جانوس هو إله البدايات والتحولات في الميثولوجيا الرومانية. وقد صور على هيئة إنسان ذو وجهين ينظران في إتجاهين متعارضين، ومنه إشتق إسم شهر كانون الثاني – January-. (المترجم).

..... يتبـــع .....

نبذة تأريخية عن الكورد والآشوريين والعلاقة بينهم

كوردستان مهد السلالات البشرية الأولى

(الحلقة 21)

السوباريون وهجرة أقوامٍ سامية الى بلاد السوباريين (سوبارتو Subartu) - الجزء الأول

د. مهدي كاكەيي

نظراً لِلعلاقة الوثيقة بين أسلاف الكورد (السوباريين) وبين الآشوريين، ينبغي التعرّف قليلاً على السوباريين كمدخلٍ للحديث عن الآشوريين في هذه السلسلة من الحلقات.

يذكر مؤرخون كثيرون بأن السوباريين هم من أسلاف الكورد، حيث يشيرعلماء التأريخ والأجناس البشرية الى أنه منذ أقدم الأزمنة التأريخية، كانت بلاد (سوبارتو) يسكنها شعب آسيوي يشترك أفرادها في العرق والدين واللغة والثقافة التي كانت تميّزهم عن الشعوب الأخرى. من الجدير بالذكر أنّ أشهر الأقوام التي كانت تعيش في وديان جبال زاگروس وطوروس، هي السومريون والسوباريون والإيلاميون والگُوتيون واللولوبيون والكاشيون والخوريون (الهوريون).

يذكر الباحث الأمريكي (گلب Gelb) بأن السوباريين ينحدرون من الأقوام الجبلية مثل أسلاف الكورد (الگوتيين) و (الكاشيين) وأنّ السوباريين لم يكونوا شعباً سامياً و أن أسلاف الكورد (الخوريين) ينحدرون من السوباريين[a]. هذا يعني أن السوباريين هم من أسلاف الكورد والذين كانوا يعيشون في وديان سلاسل جبال زاگروس وطوروس. من جهة أخرى، يقول السير سدني سميث بأن ما حصلنا عليه من معلومات عن كوردستان حتى الآن تدلنا مما لاشك فيه أنه كانت في العهود القديمة منطقة تحدها من الشمال بحيرة وان ومن الغرب وادي الخابور ومن الشرق كركوك ومن الجنوب بلاد بابل، وكان يعيش في هذه المنطقة قوم يُسمّى (شوباري)[b].

يذكر (هيرزفيلد) بأن سكان بلاد سوبارتو لم يجر عليهم تغيير إثني، بل جرى تغيير أسمائهم، حيث أن إسم (الخوريين) حلّ محل إسم أغلب سكان (سوبارتو) بعد عصر حمورابي. يضيف "هيرزفيلد" بأنه يظهر من نصوص آثار منطقة (بوغاز كوي) التي ترجع تأريخها الى ما قبل سنة 1600 قبل الميلاد، بأن الحثيين كانوا يُسمّون لغة بلاد سوبارتو ب(خوريلي) وسمّوا اللغة الأكدية ب(بابيلي) وهو الزمن الذي يسبق ظهور مدينة بابل[c].

كما أنّ البروفيسور (مهرداد إزادي Mehrdad Izady) أستاذ التأريخ القديم في جامعة هارڤارد الأمريكية يؤكد على كون الكورد هم أحفاد السوباريين، حيث يذكر بأن أقدم عشيرة كوردية بادينانية هي عشيرة الزيبار وأن هذه العشيرة تنحدر من السوباريين[d]. في هذه المنطقة الواقعة في شمال مدينة أربيل، تمّ العثور على أنقاض مدرسة لتعليم الأطفال التي يعود تأريخها الى العصر السوباري، وعلى قرميدات عليها دروس للأطفال والشباب في علوم الحساب وجداول الضرب والمعاجم. كما تم إكتشاف كُتب عديدة و رسائل كانت عبارة عن صكوك وقيود ومسائل رياضية وفلكية و نصوص تأريخية في هذه المنطقة.

يذكر الأستاذ اسكندر داود أن السوباريين كانوا من أهم وأقدم شعوب المنطقة[1]. كما يقول الدكتور نعيم فرح أيضاً بأن السوباريين (الشوباريين) هم أقدم الأقوام التي سكنت في شمال بلاد ما بين النهرين وسُميّت تلك المنطقة ب(بلاد شوبارتو او سوبار)[2]. كما أنّ الدكتور عبد الحميد زايد يذكر أن إسم (سوبارتو) كان يُطلَق على المنطقة الممتدة من نهر دجلة إلى جبال زاگروس، وأن السوباريين كانوا شعباً جبلياً، ليست لهم أية صلة بالعرق السامي، قاموا بتأسيس مملكتهم في ورد إسم بلاد السوباريين (سوبارتو Subartu) في القسم الشمالي من ميزوپوتاميا، وهذه المملكة كانت تضمّ المنطقة التي عُرفت فيما بعد بإسم (بلاد آشور)[3].

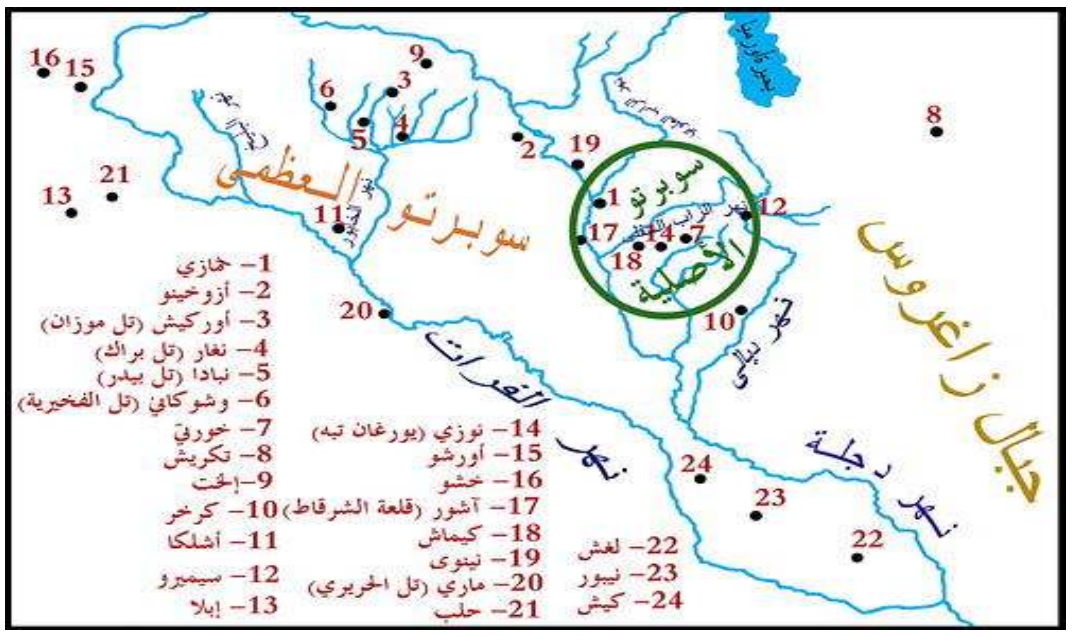

خارطة سوبارتو

النصوص المسمارية المختلفة بصيغ عديدة مثل سوبارتو، سوبار، سوبير، زوبار، شوبارتو، شوبور...الخ. كانت بلاد سوبارتو تتألف من المناطق الجبلية العالية التي دوّنت من قِبل السومريين بإسم (سوبير). ظهر إسم (سوبارتو) في أقدم صيغة جغرافية سومرية بشكل (سوبير) في لوحة أثرية سومرية التي يرجع تأريخها الى زمن (لوكال – آني – موندو) حاكم مدينة (ادب) في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، حيث تم تدوين الإسم الى جانب (إيلام وماراهشي وگوتيوم وآمورو وسوتيوم)[4، 5]. في سرد أسماء البلدان التي غزاها سرجون الأكدي الكبير، يشير نص مسماري الى حدود تلك البلدان. فيما يخص حدود بلاد سوبارتو، جاء في النص المسماري المذكور أن بلاد سوبارتو كانت تمتد من (إيلام) الواقعة في شرق كوردستان الحالي الى جبال الأرز (جبال الأمانوس). كما يذكر بعض النصوص الأكدية أن (سوبارتو) كانت تضم شرق كوردستان الحالي والجزيرة الوسطى والعليا وسوريا الحالية، ممتدةً الى حدود دولة إسرائيل الحالية، وكانت بلاد سوبارتو تضم أيضاً قسماً من أرمينيا وبلاد الأناضول.

من جهة أخرى، يذكر الدكتور جمال رشيد أحمد أن التسمية الآشورية ل"سوبارتو" هي "شوبارو و شوبريا" وأنه ظهر مفهوم هذا الإسم بشكل (علياتم) في النصوص الأكدية و الآشورية وتغيّرَ المصطلح الى "كوهستان - قوهستان" في العصر المبكر للإسلام و تمّت ترجمته الى "بلاد الجبل" و التي شملت مناطق واسعة من أذربيجان و كوردستان، و من جبال البزر جنوب بحر قزوين، متخللةً جبال زاگروس وطوروس وممتدة الى البحر الأبيض المتوسط و كذلك أرمينيا[5]. كما أنّ الحثّيين أطلقوا مصطلح (كور أوگو) على بلاد (سوبارتو) والذي يعني (البلاد العليا) و التي قصدوا بها المناطق الواقعة بين جبال طوروس و نهر هاليس (خالص).

هناك أدلة كثيرة على أن الآشوريين هاجروا الى بلاد (سوبارتو) منذ حوالي سنة 2000 قبل الميلاد وعاشوا هناك في ظل الحكم السوبارتي، ثم تغلّبوا على السكان الأصليين، وسيطروا على البلاد، وأسّسوا فيها مملكة آشور، فعُرفت تلك المنطقة بعدئذ بإسم (بلاد آشور)، حيث يقول الأستاذ حازم هاجاني بأن مملكة سوبارتو كانت محصورة بين جبال زاگروس من جهة الشرق ونهر الخابور من جهة الغرب ولذلك كانت سوبارتو تُطلق على المنطقة الاشورية وأن الاشوريين إستقروا في هذه المنطقة في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد عندما هاجرت قبائل سامية من الجنوب الغربي الى الشمال وتوغلت في منطقة ما بين النهرين وإستقرت هذه المجموعة في جنوب كوردستان الحالي في البقعة الممتدة على طول ضفة نهر دجلة اليمنى بين الموصل وشرقاط وكانت هذه المنطقة تُعرف بإسم سوبارتو[6]. هكذا فأن تأريخ أسلاف الكورد السوباريين يمتد إلى عصور سحيقة في القِدم.

كما أنّ الدكتور محمد بيومي مهران، يذكر أنّ الآشوريين لم يهاجروا الى أرض خالية، بل نزحوا الى بلادٍ كانت تسكنها أقوام آخرى، والمعروفة منها هم (السوباريون) الذين كانوا يعيشون في المنطقة الممتدة من نهر دجلة الى سلسلة جبال زاگروس[7].

يذكر الأستاذ طه باقر أيضاً بأنه في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، هاجر قسم من الأقوام السامية من جنوب بلاد ما بين النهرَين الى بلاد سوبارتو (جنوب كوردستان الحالي) وتأثروا بحضارة السوباريين من لغة ودين وعبادة الآلهة وإقتبسوا منهم الطقوس الدينية وأسماء بعض المواقع[8]. كما يذكر العلّامة **محمد امين زكي** أنّ بلاد آشور كانت حتى حوالي سنة 1100 قبل الميلاد، مؤلفة من عدة دويلات ضعيفة يتحكم بها أسلاف الكورد الزاگروسيين، حيث حكم الميتانيون بلاد آشور لفترة طويلة من الزمن[9].

يذكر (هاري ساغز) أن سرجون الأكادي الأول (حكم بين سنة 2350 – 2294 قبل الميلاد) هاجم منطقة كانت تُدعى (سوبارتو)، وكان هذا الإسم يُطلَق على الأراضي الشمالية في شرق سوريا، وكان الجزء الأوسط منها يدعى (آشور)، وكان هذا الجزء على هيئة مثلّث يقع بين نهر دجلة ونهر الزاب الأعلى ونهر الزاب الأسفل[10].

يقول الدكتور عامر سليمان والدكتور احمد مالك الفتيان أنّ إسم آشور لم يكن معروفاً في شمال بلاد ما بين النهرَين قبل الألف الثالث قبل الميلاد، بل كان يتم إطلاق إسم (السوباريين) على السكان القاطنين في تلك البلاد التي كانت يُطلق عليها إسم (سوبارتو)، وعند هجرة الآشوريين إلى شمال بلاد ما بين النهرَين، غَلَب إسمُ الآشوريين وبلاد آشور، وإنصهر الآشوريون مع السوباريين[11].

كيف إكتسب الآشوريون إسمهم؟

قبل الحديث عن موضوع تسمية الآشوريين، أود أنّ أذكر بأن وديان سلاسل جبال زاگروس و توروس الكوردستانية، كانت الموطن الأصلي للأقوام المسماة بالأقوام الآرية والتي هي في الحقيقة أقوام زاگروسية، تمددت وإنتشرت في إيران وأفغانستان و پاكستان والهند وغيرها من دول قارة آسيا ووصل قسم من هذه الأقوام الزاگروسية الى أوروپا وإستقروا فيها وبذلك بدأت الحياة البشرية هناك منذ ذلك الوقت. هكذا فأنّ الشعوب المسمّاة بالآرية هي جميعها أحفاد الأقوام التي كانت تقطن في وديان سلاسل جبال زاگروس و توروس الكوردستانية منذ ما قبل التاريخ (للمزيد من المعلومات، يمكن الإطلاع على كتاب " آريا القديمة وكوردستان الأبدية" للمؤرخ الروسي "صلوات گولياموف")[12].

نظراً لِكَون كوردستان مهد الحضارة البشرية، فأنّها بلاد الأساطير والآلهة والمعتقدات والأديان. أسلاف الكورد هم روّاد إكتشاف النار والزراعة والكتابة والصناعة. رغم ريادة الشعب الكوردي في الحضارة، إلا أننا نراه اليوم في تقهقر وأصبح يلعب دوراً هامشياً في حياة البشرية على كوكبنا الأرضي، حيث يفتقد الى كيانٍ سياسي على أرضه، وأنّ وطنه مُقسّم ومُغتصَب وإرادته وحريته مُقيّدة، فهو غريبٌ وذليلٌ في وطنه والمُغتصِبون يدّعون بأنهم أصحاب كوردستان و يحكمون الشعب الكوردي بالنار والحديد ويُجرّدونه من هويته وشخصيته ووطنه ولغته وثقافته وتاريخه وتراثه وعقائده وأديانه وينهبون ثرواته. آن الأوان للشعب الكوردي أن يقوم بنهضةٍ حضارية كبرى بكسر قيود العبودية والذل والتبعية والتواصل في رفد الحضارة الإنسانية بالإختراعات والإبتكارات والعلوم والثقافة والفنون، كما كان يقوم بها أسلافه السومريون والسوباريون والخوريون – الميتانيون والميديون.

هكذا إنطلقت الأساطير والعقائد والأديان من أرض كوردستان، حيث أنه في العهود القديمة، كانت الشمس هي محور العبادات في المجتمعات الآرية (الزاگروسية) وكانت الشمس تُسمّى (سورياش، سورا، آسور، آهورا)[13]، حيث أنّ الخوريين - الميتانيين كانوا يُسمّون إله الشمس (آسور) و الكاشيون كانوا يُسمّونه (سورياش) وعند السوباريين تمت تسميته ب (آ- أُوسار). لا تزال اللغة الكوردية تحتفظ بالإسم الزاگروسي/الآري للشمس، حيث أن الشمس تُسمّى بالكوردية (خور). ما تزال اللغة الكوردية تحتفظ بالإسم الزاگروسي /الآري للشمس، حيث أن الشمس تُسمّى بالكوردية (خور).

قام السوباريون ببناء مدينة، وسمّوها بإسم إلههم ("آ- أُوسار" أو "آسور")، وإتخذوها عاصمةً لهم. يذكر السيد عامر حنا فتوحي بأن الحاكم السوباري (كيكيا Kikkia) قام ببناء سور هذه المدينة وجعلها مدينة محصَّنة[14].

تغيّرَ إسم مدينة (آسور) الى (آشور) خلال الحُكم الآشوري، حيث أنه في الكتابات الأكادية تمّ تبديل حرف (س) في الإسم (آسور) الى حرف (ش)، وبذلك تمت كتابته بصيغة (آشور) بدلاً من (آسور) وتبنّى الآشوريون هذا الإسم ليكون إسماً لإلههم وعاصمتهم ودولتهم. قام الملِك السوباري (أُوشپيا Ushpia)، ببناء معبدٍ للإله السوباري الأكبر (آ- أُوسار "آسور") على أساس معبدٍ سومري قديم، والذي كانت تتم فيه عبادة الإلهة (إنانا Innana) التي تُسمّى عند الأكاديين ب(عشتار) و تمت تسمية هذا المعبد باللغة السوبارية (خورْزاك كورْكورا Ê- Xurzak- Kurkura)[15].

الكتابة الخورية

نص دروس تربية الخيول المكتوب من قِبل مُربّي الخيول ومُعلّم الفروسية، كيكولي

يذكر الدكتور احمد خليل في إحدى مقالاته بأنّ الإسم (Ê- Xurzak- Kurkura) مؤلّف من ثلاث مقاطع، (Ê) و (Xurzak) و (Kurkura)، حيث أنّ المقطع (Ê) يعني (الذي)، وهذا المقطع موجود أيضاً في بداية إسم إله السوباريين (آ- أُوسار). المقطع (Xur) و (Xurz) صيغتان لإسم الشمس في اللغات الآرية الشرقية (اللغات الزاگروسية)، حيث أنّ الشمس كانت محور العبادة في الديانات الآرية. اللاحقة (ak) المُلحَقة بالكلمة (Xurzak)، هي لاحقة تُستخدم للدلالة على إسم مفرد نكِرة أي إسم مفرد غير مُعرّف، حيث أن هذه اللاحقة موجودة في اللغة الكوردية وتُعطي نفس المعنى مثل (دارێك DARÊK) أي (شجرة). المقطع (Kurkura) يعني (جبال). هكذا فأنّ إسم المعبد السوباري يعني (الذي هو شمس الجبال) أي (إله الجبال).

الإلهَ السوباري (آسور)، الذي تمّ تعديل إسمه في العهد الآشوري الى (آشور)، إعتبره البابليون إلهاً أجنبياً ولذلك لم يتم إدخاله في طقوس البابليين ولم يتم ذكره من قِبل الملك البابلي، حمورابي، في مسلّته ضمن آلهة بابل.

عُرفت بلاد آشور في المصادر المسمارية بإسم (مات آشور)، أي (بلاد آشور)، ووردت بصورة (آ –شو- ار)، كما أن إسمها كُتِب في المصادر المصرية بصيغة (آسور) في عهد تُحوتْمُس الثالث (1490 – 1436 قبل الميلاد)[16]. كما أنّ إسم آشور جاء في بعض المصادر على شكل أَسْهور، و أَسْشور، وأَسور، وآثور، وآتور، وآسور، وآزور[17]. هذه الأسماء جميعها مُستمدة من إسم الإله السوباري (آ- أُوسار "آسور").

كما أنّ الإله آشور (آسور) مُقتبَسٌ من إله الشمس الآري (سورياش، آسور، آهورا)، والذي إسمه يعني الشمس[18]. كما أنّ عبادة الإله السوباري، بصيغة (آسُور)، إنتقلت إلى الجِنّيين أيضاً، الذين كانوا يعيشون في الأناضول.

كان رمز إله الشمس السومري هو عبارة عن قرص شمس مجنّح، النصف العلوي منه عبارة عن صورة لِشخصٍ مُلتحٍ، موضوع على رأسه تاجٌ، ويمسك دائرةً بيده اليسرى وهذه الدائرة ترمز إلى الكون. عند إحتلالهم لِبلاد السوباريين، قام الأموريون بِتغيير رمزَ الإله السُّوباري، حيث أنهم ألبسواي رأسه خوذةً لها قرنان[19]، الذي يرمز الى القمر الذي كان يُعبَد من قِبلهم، ووضعوا في يده اليمنى قوساً؛ الذي يرمز ُعبَد من قِبلهم، ووضعوا في يده اليمنى قوساً؛ الذي يرمز الى الحرب، وبذلك أصبح إله الشمس الزاگروسي النوراني عند الأموريين إلهاً للحرب.

رمز الإله آهورامزدا

رمز الإله آشور

يذكر المؤرخان (جيرمي بلاك Jeremy Black) و(أنثوني گرين Anthony Green) أنه لا علاقة للإله (آسور"آشور") بالأقوام الصحراوية (السامية)، وأن عبادته كانت شائعة بين الأقوام الزا گروسية/الآرية، مثل السوباريين والخوريين - الميتانيين والحِثّيين. لقد أطلق الميتانيون اسم (مِترا Mitra) على الإله (آسور) وقد تكون هذه الصيغة صفة للإله وليس اسماً له، حيث أنهم صوّروه في أختامهم الأسطوانية والذي يمكن إعتباره أحد صيغ الإله الوطني السومري (إنليل Enlil)[e]، مع الأخذ بِنظر الإعتبار أن الميثولوجيا السومرية كانت جبلية/زا گروسية/ شمسانية الأصل.

تُشير النصوص السومرية الى أنّ السومريين كانوا أول مَن إحتفلوا بِعيد (أكيتو Akitu) الذي كان يبدأ في الأول من شهر نيسان من كل عام. الإسم السومري لهذا العيد هو (أكيتي Ákiti) وكانت إحتفالات السومريين بهذا العيد تستمر لمدة أحد عشر يوماً[20].

قام الأموريون بإقتباس عيد (أكيتو Akitu) السومري وجعلوه عيداً آشورياً. كما أن البابليين إقتبسوا هذا العيد السومري وجعلوه رأس السنة الجديدة للإله البابلي (مردوخ)، وجعلوا الإلهة (صِرْبانيتوم) التي هي زوجةَ الإله (مردوخ)، زوجةً للإله آشور، وجعلوا الإله (نابو) الذي هو إبن الإله (مردوخ)، إبناً للإله آشور[21]. يقول (هاري ساگز Hary Sags) بهذا الصدد أنّ الإله (آشور) إمتصّ عدّة مظاهر من الإله السومري (إنليل) ومن مردوخ، إله بابل[22].

كان ملك الآلهة وإله الطقس الخوري إسمه (تيشوب Teshub). تبعاً للأساطير، قام (تيشوب) بخلع والده (كوماربي Kumarbi) عن عرش الألوهية من خلال عجلات يجرّها ثوران عظيمان هما { آلهة الثور / سيريس Seris) (نهار) و (هوريس Hurris) (ليل)}[23] اللذان إستعارهما الآشوريون فيما بعد وصوّروهما بِتمثالَين ضخمَين مُجنّحَين، وضعوهما على أبواب معابد الإله (عدد) رب العواصف عند الشعوب السامية[24].

إستخدام العنف وأصبح ملكاً. كان السكان في هذه المنطقة من كوردستان يعتقدون أنّ (تيشوب) يركب في عربة ذات أربع نستنتج مما تقدم، بأنّ إسم الآشوريين وإسم إلههم وبلادهم مُستمَدٌ من إسم الإله السوباري (آسور) وأنّ الآشوريين قاموا بإقتباس عيد (أكيتو Akitu) السومري وجعلوه عيداً آشورياً وكذلك إقتبسوا إلاهَي الثور اللذين كانا يجرّان عربة ملك الآلهة وإله الطقس الخوري (تيشوب) وبنوا لهما تمثالَين ضخمَين.

المصادر

1. اسكندر داود. الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر. مطبعة الترقي، 1959، صفحة 119.

2. الدكتور نعيم فرح. معالم حضارات العالم القديم، دارالفكر، 1973، صفحة 198.

3. الدكتور عبد الحميد زايد. الشرق الخالد: مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م.، القاهرة، 1966، صفحة 81.

4. محمد أمين زكي. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن. ترجمة محمد علي عوني، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1961، صفحة 67.

5. الدكتور جمال رشيد أحمد. دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد، 1984، صفحة 3.

6. حازم هاجاني (1997). مجلة متين، العدد 67، دهوك، صفحة 103.

7. الدكتور محمد بيومي مهران. تاريخ العراق القديم، 1990، صفحة 325.

8. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، بغداد، 1973، صفحة 77.

9. محمد امين زكي. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التارخية حتى الآن. ترجمة محمد علي عوني، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1961، صفحة 91.

10. هاري ساغز. عظمة آشور. ترجمة وتحقيق خالد اسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، 2011، صفحة 29.

11. الدكتور عامر سليمان و الدكتور احمد مالك الفِتيان. محاضرات في التاريخ القديم، الموصل ، بغداد، 1978، صفحة 143.

12. صلوات گوليامو‌ف. آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب). ترجمة د. اسماعيل حصاف، متابعة وتدقيق مارگريت حصاف، مطبعة رۆژهەلات (هەولێر)، الطبعة الأولى، 2011.

13. جورج رو. العراق القديم. ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، الطبعة الثانية، 1986م، صفحة 333.

14. عامر حنا فتوحي. الكلديون .. الكلدان .. منذ بدء الزمان – 5300 ق. م حتى الآن. الطبعة الثانية، 2007، صفحة 100.

15. المصدر السابق، صفحة 94.

16. الدكتور محمد بيومي مهران. تاريخ العراق القديم، 1990، صفحة 324.

17. هاري ساغز. عظمة آشور. ترجمة وتحقيق خالد اسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، 2011، صفحة 11.

18. المصدر السابق، صفحة 298.

19. عامر حنا فتوحي. الكلديون .. الكلدان .. منذ بدء الزمان – 5300 ق. م حتى الآن. الطبعة الثانية، 2007، صفحة 95 – 96.

20. جورج رو (1986). العراق القديم. ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، الطبعة الثانية، صفحة 148.

21. عامر حنا فتوحي. الكلديون .. الكلدان .. منذ بدء الزمان – 5300 ق. م حتى الآن. الطبعة الثانية، 2007، صفحة 95.

22. هاري ساغز. عظمة آشور. ترجمة وتحقيق خالد اسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، 2011، صفحة 298.

23. جرنوت فلهلم. الحوريون تأريخهم وحضارتهم. ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، الطبعة الأولى، عام 2000 م، صفحة 98.

24. الدكتور جمال رشيد احمد. ظهور الكورد في التأريخ – دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية ومهدها. الجزء الأول، الطبعة الثانية، 2005، صفحة 340-341.

المراجع

a. T. G. Gelb (1944). Hurrians and Subarians.

b. Smith, Sidney (1928). Ancient Kurdistan.

c. Herzfeld, E. (1968). The Persian Empire. Wiesbaden, page 158.

d. Izady, Mehrdad R. **The Kurds: A concise handbook**. Washington, London, Taylor & Francis Publishers, 1992, pp. 268. ISBN 978-0-8448-1727-9

..... يتبـــع .....

محاولة في النقد المقارن

الجزء الرابع

د.علي القاسمي

قراءة قصة جون أبدايك:

في هذه القصة القصيرة التي تُعدّ من أروع قصص جون أبدايك، نجد أنّ السارد يحكي الأحداث بضمير الغائب فهو يتحدّث عن كارسون وما وقع له في المدينة. وهذا يمنح السارد أو الكاتب الذي يروي الأحداث أن يعلّق عليها من مخزون معارفه، فيعرّفنا بأهم معالِم المدينة الأمريكيّة التي تميزها عن القرية، فيقول:

"صار الآن (أي كارسون)، وهو في الخمسين من عمره، ذوّاقة للمدن، وأحيائها المركزيّة النامية، وأحزمتها الصناعية المتضخّمة، وسككها الحديديّة الصدئة، وأبنيتها الزجاجيّة الجديدة، وفنادقها المكسوة أرضيتها بالزرابي ذات اللون البرتقاليّ، وحاناتها التي تقلّد الأكواخ الإنجليزيّة في زخرفتها الداخليّة؛ ولكلّ مدينة لهجة خاصة بها، وزي نسائيّ محليّ، وحيّ قديم تاريخيّ متميز، وناطحة سحاب ذات شكل غريب، ومتحف يضمّ لوحة لسيزان، أو قُل لونسلو هومر، لا تجد مثيلاً لها في أيّ مكان آخر".

في هذه الفقرة التي تصف المدينة تتتابع الجمل والعبارات تتابعاً سريعاً ويتعالق بعضها ببعض تعالقاً وثيقاً، وكأن الكاتب أراد أن يعطي القارئ انطباعاً إضافيّاً علاوة على المعلومات التي تضمَّنتها تلك الجمل والعبارات. ويتعلَّق هذا الانطباع بخصيصتَين من خصائص المدينة هما: ازدحام المدينة بالبنايات ووسائط النقل والناس، والوتيرة السريعة التي تجري بها الأحداث والأعمال. فالازدحام يبرز على مستويَين: مكانيّ وزمانيّ. وهذا الازدحام يُحيل على الزحام الذي ذاب فيه الشابّان بعد وصولهما إلى المدينة. وكأنّ شخصيّة الفرد تذوب وتنعدم في المدينة بسبب ضخامتها وازدحامها.

ونلاحظ أنّ ذلك الوصف الشامل ينصبّ أساساً على معالمها الخارجيّة، ويغيّب، بصورة مُتعمَّدة، الخصائص الداخليّة في العلاقات الاجتماعيّة بين الأشخاص في المنازل والمصانع والحانات والفنادق ومحطات السكك الحديديّة، إشارة إلى عدم وجود تلك الوشائج الإنسانيّة بين سكان المدينة أو ضعفها. إنّ الشعور بالعزلة والوَحدة والضياع هو الذي يغلب على كلّ فرد هناك.

وإذا كانت اللغة هي أداة التواصل والتفاهم بين الناطقين بها، وهي التي تنسج العلاقات الاجتماعيّة بين الناس وتوثّق أواصر التعاطف بينهم، فإنّ اللغة مغيَّبة في هذه القصة على مستويين مترابطين:

الأول، مستوى الشكل، كما تصوغه التقنيّات السرديّة. فالقاصُّ لا يستخدم الحوار في هذه القصة، على الرغم من تمكُّنه منه واستخدامه له في معظم قصصه القصيرة الأخرى ورواياته العديدة. إنّه يعمد إلى السرد والوصف هنا. وإذا نطق أحد شخوص القصة، كما في حالة إخبار الطبيب المريضَ بنتيجة الفحوص، فإنّ كلامه مبتسر لا يتعدى مفردتين أو ثلاث، في شكل خبر أو أمر لا يقبل الأخذ والرد، ويبقى كارسون " صامتاً مثل كلب لا يمكنه إلا أنْ يعوي أو ينشج." على حدّ قول السارد.

الثاني، مستوى المضمون، فالشخوص صامتون لا يجيدون الكلام، فجارا كارسون في الطائرة "لهما فمٌ مطبق" ، وإذا أراد أن يتبادل معهما بضع كلمات، جاء جوابهما بلغة غير مفهومة وبصورة آليّة مثل جهاز تلفزيون اختلّ فيه الصوت. وجاره في ردهة المستشفى يشاهد التلفزيون ولا يتبادل الكلام معه. والطبيبة التي فحصته تتكلم برطانة أجنبيّة لا يستطيع فهمها، وهكذا. فالعلاقات الإنسانية مقطوعة، ويرمز النصّ لهذا الانقطاع، كذلك، بطلاق كارسون من زوجته، وتخلّي ابنتُه عن أبوّته، وبُعد ابنه مكانيّاً.

إذن، فالشعور بالعزلة والوحدة هو الغالب على سكان المدينة. الإنسان يعيش في مدينة ولكنه في حقيقة الأمر محاط بصحراء قاحلة من العواطف الإنسانيّة. ويرمز الكاتب لهذه العزلة بالغرفة التي أمضى فيها كارسون فترة النقاهة وحده لا يشاركه فيها مريض آخر. ومع ذلك، فقد شعر "بالسعادة الخالصة"، لأنّه اعتاد حياة العزلة وأصبح يتضايق من وجود الناس حوله. وهذا يذكّرنا بذلك الشاعر الصعلوك الذي اعتاد الوحدة في الصحراء وقال: عوى الذئبُ فاستأنستُ إذ عوى وصوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

ويَصِم السارد المدينةَ بسيّئة أخرى هي طغيان المادة على القِيَم، واضمحلال الخصال الروحيّة واختفاؤها. وقد أبرز السارد ذلك بطريقتين:

الأولى، الإكثار من ذكر المعطيات الماديّة في المدينة وإغفال أيّ ذكر لقِيَم أو مُثُل أو عقائد، أو ما يمثّلها من أماكن ومؤسسات. فالقصة تزخر بالطائرات في المطارات، والسيارات المزدحمة في الشوارع وتقاطعاتها، والدرّاجات، وناطحات السحاب، والأجهزة والمعدّات والآلات، وغيرها من المنتجات الصناعيّة. ولكنها تخلو من ذكر المدارس أو أماكن العبادة، كما أنّنا لم نسمع أيّة صلوات أو أدعية يتلوها مريض ما في المستشفى. على العكس من ذلك، أبرز السارد مريضَين كانا يُعالجان من الإدمان على الخمور أو المخدّرات وكانا يدندنان بأغانٍ لا لحن لها ولا معنى. اللغة هنا مؤلَّفة من مادة الأصوات ولكنها مفرغة من المعاني التي تمثّل روحها.

الثانية، يتجلى طغيان المادة على سكان المدينة في رغبتهم في الحصول على المال بأيّة طريقة مشروعة أو غير مشروعة. إذ تسعى بائعات الهوى في الحانات إلى الحصول على المال ببيع أجسادهن؛ ويسعى الأطباء في المستشفى إلى الحصول على المال بالكذب والتزوير، فلم تكن زياراتهم المتكرّرة لكارسون والتي لا لزوم لها ، أثناء فترة النقاهة، بدافع من مهنتهم الإنسانيّة أو لمواساته، وإنّما من أجل إدراج تلك الزيارات في سِجّل المريض، وقبض ثمنها بعد ذلك.

ولعل وصف السارد للاتصال الهاتفي الذي جرى بين كارسون وابنه، يمثّل انقطاعَ التواصل الإنساني الحاصل في المدينة، وغَلَبَةَ الروح الماديّة عليها في آن واحد. يقول السارد:

"واتّصل به هاتفيّاً، وعلى حسابه (حساب كارسون)، ابنُه من المكسيك يوم الأحد، وكان صوته يبدو قريباً، وكلامه تتخلّله فترات صمت بصورة تُنذر بالشرّ، وكانت فترات الصمت الطويلة المُربكة بين الأب وابنه، في هذه المكالمة الهاتفيّة، تأكل الدولارات أكلاً".

بل إن طغيان الروح الماديّة على المدينة، وانقطاع العلاقات الإنسانيّة، وانعدام التواصل البشريّ فيها، تلخِّصه الجملة الختاميّة الرائعة:

"كانت المدينة مثل امرأة التقى بها في حانة خلال إحدى رحلاته الأخرى ودفع لها فأسلمتْ جسدها إليه دون أيّ حديث تمهيديّ".

وتذكّرنا هذه العبارة الختامية بالشاعر الفرنسي بودلير صاحب " أزهار الألم " الذي شبّه المدينة بالعاهرة.

قصة " المدينة" لعلي القاسمي:

أما قصة " المدينة " لعلي القاسمي (6)، فتتحدّث عن شابٍّ قرويّ بَهرته أخبار المدينة وتوفرُّها على فرصٍ للعمل يغنم الإنسان منها أجراً سخيّاً ويعود بعد مدة إلى قريته رجلاً ميسور الحالً؛ فيتوجّه هذا الشابّ إلى المدينة. يلج أوّل شارع في أطرافها باحثاً عمَّن يدله على نُزُل يحلّ فيه، فلا يجد إلا السيارات التي تمرق مسرعة بجانبه، فيواصل سيره حتّى يصل تقاطعَ طرق يقف في وسطه شرطي ببزته العسكريّة وهو ينظِّم السير وإلى جانبه يُقعي كلبٌ ضخم الجثة، فلم يجرؤ الشابّ على مخاطبة الشرطيّ وتوجيه السؤال إليه. فيواصل السير ماشياً على الرصيف خوفاً من السيارات المنطلقة. ثم يلمح رجلاً يقود سيارته وبجانبه كلب يُطلّ برأسه من نافذة السيارة. وبعد ذلك يشاهد امرأة تسير على الرصيف وهي تدفع عربة صغيرة ينام في داخلها كلب صغير. وبينما كان يشاهد هذا المنظر الغريب بالنسبة إليه، تبتعد المرأة عنه فلم يَعُدْ من اللائق ملاحقتها وإلقاء السؤال عليها عن النُزُل. وبعد قليل يُقبل رجلٌ يقود كلباً بسلسلة، فيلقي عليه الشابّ القرويّ السلام، ولكن الرجل لم يرد التحية، بل ينظر إلى الشابّ باستغراب.

ويواصل الشابّ القرويّ سيره في الشارع فيرى من خلال إحدى نوافذ المنازل المفتوحة المحميّة بمُشبّك حديديّ، كلباً ضخماً أسود أفطس الأنف، وما إن التقت نظراتهما حتّى اكفهرّ وجه الكلب وكشَّر عن أنيابه، وتأهَّب للنباح والهجوم، فيبتعد الشابّ مسرعاً، ولكنّه يواصل النظر من خلال النوافذ حذراً وبدافع من حبِّ الاستطلاع، فيرى، مثلاً، في حمام أحد المنازل، كلباً يستحمّ في المغطس وتتولى امرأة غسله بالماء والصابون المُعطَّر.

ولمّا تأكد للشابّ أن لا أحد في تلك المدينة يدلّه على نُزُل، اعتمد على نفسه وأخذ يتهجّى لوحات المحلات بصعوبة بحثاً عن نُزُل. وعندما يقرأ كلمة " نُزل " في أوّل إحدى اللوحات، يسارع في دخول المحلّ، ولكن يتبين له أنّه نُزُل خاصٌّ بالكلاب. فيواصل البحث حتّى يجد نُزُلاً للبشر. ولكنّ صاحب النُزُل يسأل الشاب قبل كلّ شيء عن كلبه، وعندما يقول الشاب إنّه لا كلب لديه، تظهر أمارات الدهشة والاستغراب على وجه صاحب النُزُل ويطلب منه مغادرة المكان في الحال. وحينما يُبدي الشاب دهشته لذلك، يحدّق صاحب النُزُل فيه بحدّة، وتأخذ عيناه بالاحمرار، وأرنبتا أنفه بالخفقان، وشفتاه بالارتعاش الشديد، ويصدر منه صوت خافت سرعان ما يعلو حتى يصير أقرب إلى العواء، ويروح الزَبَد يخرج من شدقيه، ويكشّر عن أنياب حادّة، ويستطيل فكاه إلى الأمام حتّى يُصبحا مثل فكَّي الكلب، وتنتصب أذناه، ويزداد عواؤه حتّى يتحوّل إلى نباح، ويقفز من وراء المنضدة إلى الأرض، ويستوي على أطرافه الأربعة، وقد نبت لجسمه شعر قصير، ونمت لقوائمه الأربع مخالب بارزة، ومُسِخ كلباً نبّاحاً ضخم الصوت كبير الخطر. فما كان من الشاب إلا أن يولّى هارباً من النُزُل والمدينة، تاركاً نعلَيه خلفه، جارياً بأقصى ما يستطيع في اتجاه القرية.

قراءة قصة "المدينة" لعلي القاسمي:

عندما نقارن قصة "المدينة" لجون أبدايك بقصة "المدينة" لعلي القاسمي ، نجد أنهما يختلفان من حيث الطول (الأولى 20 صفحة والثانية 77 صفحات)، ومن حيث اللغة والأسلوب، ومن حيث المضمون، ومن حيث الطريقة أو المدرسة السرديّة التي تنتمي كلّ قصة إليها. ولكنّهما تتفقان من حيث تلميحهما إلى مساوئ المدينة.

فالسارد في قصة علي القاسمي يتحدّث بضمير المتكلِّم، فهو يحكي ما حدث له شخصيّاً، وهذا يوحي بشيء من الثقة وبنوع من التصديق. وتزداد ثقة القارئ بالسارد وتصديقه له في بداية القصة حين يبدأ السارد بوصف قريته أولاً بكلمات بسيطة صادقة وبأسلوب إخباريّ مباشر، وكأن القصّاص قد سقط في التقريريّة والمباشريّة، غير أنه سقوط مقصود. يقول السارد في افتتاحية القصة: "دخلتُ المدينة أوّل مرّة عندما كنتُ فتىً يافعاً غريراً".

ومما يزيد القارئ ثقة وتصديقاً موضوعيةُ السارد في وصف المدينة وتعداد محاسنها. يقول السارد:

"غادرتُ قريتي متوجهاً إلى المدينة باحثاً عن عمل. فقد بَهرتني أخبار المدينة قبل أن أرحل إليها.سمعتُ أنّ شوارعها فسيحة نظيفة، وأنّ مساكنها فاخرة ذات مرافق مريحة تُضاء ليلاً بالكهرباء، وأنّ غرفها مُجهَّزَة بمكيّفات الهواء فلا يشعر الإنسان فيها بحرّ ولا برد، بل بهواء ربيعيّ دائم. قالوا إنّ أحياءها تتوفر على مدارس يتعلَّم فيها الصغار والكبار، وتنتشر فيها عيادات الأطباء والمصحّات والمستشفيات، وقالوا إنّ العمل ميسور بأجور سخيّة لمن يرغب، وإنّ المرء يعود إلى قريته غنيّاً بعد فترة وجيزة".

هذه البداية الواقعيّة التقريريّة في القصّة هي من مستلزمات الأدب العجائبيّ (أو الفنتازي) الذي تنتمي إليه هذه القصة، بحيث يُفاجَأ القارئ بالأحداث العجائبيّة التي تقع في آخر القصة. وهذا أسلوب حذق فيه الكاتب الأمريكي دونالد بارتلم، الملقّب بأبي قصة " ما بعد الحداثة "، والمشهور بقصصه المُكثَّفة ذات الفضاءات العجائبيّة، والأحداث السورياليّة، والشخوص الكاركاتورية. فإذا كانت القصص الواقعيّة العاديّة تقوم على خلق مواقف يتخللها صراع ينتهي بنوع من الحلّ أو التوافق فيشعر القارئ بالارتياح، فإنّ القصص من هذا النوع تبدأ بصورة طبيعية معقولة ولكنها تنتهي بالقارئ إلى الصراع والقلق، وقد تثير فينا أحداثُها أو شخوصُها الضحكَ ولكنه ضحك ممزوج بالألم أو الاستغراب الذي يدفعنا إلى البحث عن حلّ أو إعادة تركيب الأحداث أو تأويلها من جديد.(7) وهذا ما حصل في قصة علي القاسمي. فمزجُها بين الممكن والمستحيل، والواقعيّ والمُتخيَّل، والحقيقيّ والأسطوريّ، يوسّع مدار التخييل لدى المُتلقّي، ويمكّنه من تأويل القصة على مستويات متعددة.

ويمكن قراءة قصة علي القاسمي على مستويات رئيسية ثلاثة:

المستوى الأول، هو مستوى منطوق النص، أو المستوى الظاهر للقصة، الذي ينصبّ على تفشّي عادة اقتناء الكلاب بين أهل المدن. فما من رجل أو امرأة التقى به أو بها السارد إلا وكان رفقة كلب، راجلاً، أو راكباً في سيارة أو عربة. وهذه عادة راسخة مستحكمة في المجتمعات المدينيّة الغربيّة ولها تقاليدها وأصولها وأخذت تنتشر في المدن العربية. ولكن السارد هو قروي اعتاد على أنّ الكلاب قد تساعد في الحراسة أو الرعي، ولكنه لم يتوقّع يوماً أن يرى الكلاب تمتطي السيّارات، وتنام في العربات، وتستحم في مغاطس الحمامات في المنازل.

المستوى الثاني للقراءة هو مفهوم النص الذي يتضمَّنه المنطوق. فتربية الكلاب تنم على الشعور بالوَحدة الذي يعانيه ساكن المدينة. وهنا تتفق هذه القصة مع قصة جون أبدايك في مسألة انحسار العلاقات الإنسانيّة في المدينة. وإذا كان انعدام

الحوار هو المؤشّر إلى ظاهرة العزلة في قصة أبدايك، فإنّ تربية الكلاب في قصة القاسمي هي وسيلة أهل المدن للتخلُّص من الشعور بالعزلة. إضافة إلى أنّ بعض تلك الكلاب هي كلاب حراسة ما يدل على فقدان الأمن وعدم الثقة بالآخرين. ويعزّز ذلك "الأبواب الموصدة" و " النوافذ المَحميّة بمُشبَّك حديديّ"، وعدم تحدّث أهل المدينة إلى غريب حتّى لو ألقى عليهم التحية وخاطبهم. وقد عرفوا الشاب غريباً ليس من هيئته فحسب بل من عدم اصطحابه كلباً كذلك.

أما المستوى الثالث للقراءة فهو تأويل النص، الذي يُفصح عنه الحدث العجائبيّ المتمثِّل في أنّ صاحب النُزُل مُسِخ أو تحوَّل إلى كلب نبّاح، وهذه

إشارة إلى فقدان الإنسان إنسانيّتَه في المدينة. وخاصية الإنسان الجوهرية التي تميّزه عن الحيوان في هذه القصة، لا تكمن في النطق، كما حددها أرسطو، فللحيوان لغته كذلك، وإنّما في القيم والمُثل التي تُهذِّب سلوكه وترتفع به عن سلوك الحيوان الغريزي وتخلّصه من شريعة الغاب. فالمدينة فيها جميع مظاهر القوة ولكنها تخلو من قِيَم القرية التي ذكرها السارد في أوّل القصّة كالمروءة والتعاون والتسامح ومساعدة الضعيف والعطف على المحتاج وإعانة الغريب، وهكذا أصبحت المدينة تتصف بالقسوة والجفاف لخلوها من تلك القيم الإنسانية.

وكما تضمّنت قصة جون أبدايك في خاتمتها تلميحاً لتشبيه بودلير المدينة بالعاهرة، فإن الجملة الختاميّة في قصة القاسمي، هي الأخرى، تتضمن تلميحاً. يقول السارد بعد أن رأى صاحب النُزل وقد مُسخ كلباً: "فما كان منّي إلا أن أولّي هارباً من النُزُل والمدينة، تاركاً نعلَيّ خلفي، لأجري بأقصى ما استطعت في اتجاه القرية".

وتتضمّن هذه الجملة تلميحاً إلى قصة الزاهد أبي نصر بشر ابن الحارث الذي نزل إلى أحد أسواق بغداد، فصُعق بما رأى، فخلع نعليه ووضعهما تحت إبطه، وجرى حافياً في اتجاه البادية، فعُرف بعد هذه الحادثة بـ "بشر الحافي".

الخلاصة:

إنّ صورةَ المدينة في الأدب العربيّ وفي الآداب الغربيّة المعاصرة صورةٌ يشوبها كثير من التشوّهات والبقع والخطوط السوداء. ونتساءل ما إذا كان ذلك نتيجة لحنين الإنسان لموطنه الأوّل في الطبيعة ذات الهواء النقي والخضرة الشاسعة والمناظر الخلابة، التي كان يتجوّل فيها بحرية وطلاقة ملايين السنين قبل أن توجد المدينة منذ بضعة آلاف من الأعوام.

هل يعبّر الإنسان المثقّف عن كرهه للمدينة لأنّها حرمته من حريته الحقيقية ومنحته محلها حرية زائفة؟ أخذته المدينة من رحاب الطبيعة الواسعة الرائعة لتجعله أسير أسوارها العالية وجدرانها السميكة وشققها الضيّقة، ولتُسمِّمه بتلوثها البيئيّ والأخلاقيّ. حرمته من استنشاق الهواء النقيّ لتخنقه بهواء مُلوَّث بدخان المصانع وعوادم السيّارات وبقايا المزابل. منعته من سماع تغريد البلابل وزقزقة العصافير وهديل الحمائم وخرير الجداول لتصمّ أذنيه بصخب دراجاتها الناريّة وسيّاراتها وقطاراتها وطائراتها، وهدير مصانعها وآلاتها، ودويّ إذاعاتها وفضائيّاتها، وضجيج ساحاتها وأسواقها المزدحمة.

هل يمكن أن نعدّ رفض الإنسان المُثقَّف للمدينة نوعاً من رفضه للمدنيّة الحديثة وقِيمها المُغرقة في الماديّة التي حرمته من ممارسة إنسانيّته: لغةً ومشاعرَ وأحاسيس واحتياجات اجتماعيّة؟

لعل الحقيقة تكمن في شيء من هذا وذاك.

الهوامش:

1. للتوسع في الموضوع، انظر: مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر (الكويت: عالم المعرفة 196، 1995).

2. Robert Drewe (ed.) The City (London: Penguin Books, 1998),P.4

3. جون أبدايك (1932 - 2009) شاعر ورسّام وقصّاص وروائي وناقد. يعدّ أشهر أدباء أمريكا المعاصرين، وأغزرهم إنتاجاً، ونال جائزة البوليتزر مرتين. ولد في بلدةٍ في ولاية بنسلفانيا، ودرس الأدب في جامعة هارفرد الأمريكية، ودرس الرسم في مدينة أكسفورد. وعمل في جريدة " النيويوركي " مدة سنتين قبل أن يتفرغ للكتابة.

4. علي القاسمي (1942 -) كاتب عراقي مقيم في المغرب. تلقى تعليمه العالي في جامعاتٍ في بغداد وبيروت وأوسلو وأكسفورد وباريس وتكساس، وحصل على إجازة في الآداب وليسانس في الحقوق وماجستير في التربية ودكتوراه الفلسفة في علم اللغة التطبيقي. عمل في التعليم الجامعي والمنظمات الدولية ثلاثين عاماً قبل أن يتفرغ للكتابة.

5. قصة " المدينة " لجون أبدايك مترجمة في:

على القاسمي، مرافئ على الشاطئ الآخر: روائع القصص الأمريكية (بيروت/ الدار البيضاء : إفريقيا الشرق، 2002) ص 109-1300.

6. قصة المدينة لعلي القاسمي موجودة في:علي القاسمي، دوائر الأحزان - قصص قصيرة - (القاهرة: دار ميريت، 2005) ص 81- 88؛ الطبعة الثانية: (الدار البيضاء: دار الثقافة، 20099 .7.(على القاسمي، مرافئ على الشاطئ الآخر، مرجع سابق، ص 141.

دلالة الحدث في مجموعة "هذيان السمع والبصر" لمحمود الوهب

الجزء الأول

ريبر هبون

دلالة السمع والبصر تكشف لنا عن تغييرات الأمكنة، ارتجاجها النفسي في داخل الشخوص، وعلاقة ذلك بالتغير الزمني، والحياة الاجتماعية في زمن الحرب، وقد أمعن الكاتب محمود الوهب في تجسيد ذلك، كذلك أدوار الشخوص في الحديث عن الحدث بالإستعانة بحالات الحرب وما تعكسه من مشاعر وردات فعل غرائزية تلقائية ، من هلع ورعب، وخوف، إن التصوير هنا في أوج تجسيده، وكذلك فإن مواكبة النفس، ورواسبها انعكاساً لأثر المكان، هو ما تتسم بها القصة الواقعية الدرامية، كونها تستعين بالحس الطبيعي التي جبلت عليه المجتمعات، في حديثها عن الأزمة القائمة، حيث يقابل الفساد، حالة الاحتقان، كلاهما يكتملان في مشهد الحرب، وما ينجم عنه من تفكك للمجتمع، والقلق الدائم الذي يتصاعد شيئاً فشيئاً، ليطغى بتمامه، وليصبح المؤشر الفعلي لذلك التهدم الذي يشير إليه الكاتب، هنا مستعيناً برصد الحدث بقوة، حيث نلحظ اللعبة الدرامية في خلق الإمتاع على صعيد الجذب، والاستعانة بالخيال في التتبع، مما يعطي للرصد والتصوير، مهابته على الحدث بكليته، وحدث الحرب نتيجة.

هنا النتيجة هو الهلع ودوام استمراره، حيث أن المجموعة الأخيرة للكاتب تتحدث عن النتيجة المعلنة عن عهود من فساد وسطوة وارتزاق عم مؤسسات الحكومة ونظمها، حيث أن الكاتب عمد ليكون العين البصيرة بكل ما يحدث من أهوال وويلات، تتشب أظافرها في جسد المجتمع، ولكن اليد القصيرة التي لم تستطع صون قيم الحياة، حالت دون أن تقدم أي وصفات حلول، هذا ما تقوله المجموعة القصصية التي بين يدينا لتجسد تلك المقولة الشعبية المحقة:

العين بصيرة واليد قصيرة لهذا فإن الخوض في المشاهد المؤلمة والتداعيات الجمة لهو أمر مؤلم تضع القصة ذلك على عاتقها، لإبراز ذلك بكل ما تحمله من مؤثرات درامية، تغوص في إطار تفعيل الإحساس بالكارثة التي لطالما تم استشرافها والتحذير منها دون جدوى، فهل رأى الكاتب في هذا السقوط المدوي الكارثي لآليات السلطة ورموزها على أنه جزء من قانون الطبيعة وجدليتها؟!!، لابد لنا من التساؤل في خضم القصص التي تتناول الأفكار، على نحو درامي، لنتعرف على دلالة الحدث ، المتعلق بقانون الطبيعة حيث نجد أن مفهومه عند الفلاسفة اليونان مهيمنة على الروابط والعلاقات الاجتماعية، حيث نجد دقة الوصف ورهبته في سياق ما يأتي ص3:

"عاد الرصاص يلعلع.. بدأ بزخة، تلتها زخات تتوالى، من جهات مختلفة، كأنما تتبادل تعكير مزاج الفضاء مع الانفجارات التي باتت تسمع بقوة ورهبة.. غادرت الشرفة عائداً إلى سريري.. استيقظ الحفيدان.. انشغل الصغير بزجاجة حليب فارغة، وجدها بجانبه.. اقترب الأكبر مني، التصق بي.. سألته، والأصوات المختلطة شديدة ما تزال.. ما هذا؟! قال بخوف ووجوم، مازجاً حرفي الصاد والثاء ببعضهما:

"رصاص..!"

قرَّبتُه من صدري، لندخل كلانا في صمت بتنا، خلاله، نسمع دقات قلبينا بوضوح..!"

فهول الحدث هو ما أخذ الأب وابنه في حالة اصطفاء كاملة للالتفات العاطفي الإنساني الحاد فيما بينهما فالرصاص والموت هما ضد إرادة الحياة وضد هذا الفضاء الذي يتعكر به، هنا ركز الكاتب على وصف المظاهر الخارجية التي رافقت الرصاص، ليشير في الآن ذاته إلى ذلك الجنون في التمادي بإيذاء الناس، حيث يعاني كل صغير وكبير وكل فضاء رحب ومكان يمتزج بالبراءة والحياة رغم محاولات خنقها وتقويضها، فالحرب الجارية تعصف بإرادة الإنسان، حيث يستقر الخوف في كل ركن، تصبح الحياة أشبه بكابوس، وتصبح الكلمة أيضاً عبارة عن كاميرا متنقلة تصور وتجسد هول ما يحدث، وتركز في ضبط عدستها حول الأشياء التي تثير البكاء والجنون والعويل والندب، لم يضمر الكاتب محمود الوهب التحدث عن المفاهيم السلبية المتمخضة عن الحرب والتي تستميت لقتل كل شيء جميل وحي، بل أراد أن يحدثنا أيضاً عن محاولات المجتمع وإرادته التي لا تموت، بل تحاول الوقوف أبداً بوجه المآسي والمهالك.

إذ نجد في قصة -حضرة المستشار- رصداً مهماً لحقيقة العلة التي نخرت صميم المؤسسات الحاكمة حيث تعتني بالفاسدين وترقّيهم، بدل أن تطردهم وتقصيهم، وتبقى للمجتمع المستكين ألسنة تلتف حول نفسها مخرجة أصواتاً خافتة لا تلوي على شيء سوى أن تهيم في الحديث والسخرية دون جدوى، وما وراء السطور هنا ليس تعبيراً أو اشتقاقاً كلياً عن أدب الحرب، إنما هو تمازج وجداني ما بين الفرد والجماعة وما يجمعها من تعاطف غريزي، يحول دون أن تتفتت وتباد، بفعل رواسب القمع وإفلاس المنظومة الحاكمة أخلاقياً، عجزها عن حماية القانون، الأمر الذي نجم عنه ضياع الحريات وامتهان كرامة الإنسان، حيث نتأمل هنا ص5:

"هكذا أخذت الشكوك تنهش في رأس الحارس بكري.. وهو الذي اعتادت أذناه التقاط أية نأمة نشاز، وخصوصاً تلك المتعلقة بشأن من شؤون الحكومة..! الكلمات الغامضة التي وصلته، على نحو عفوي، تركته في حيرة: (غير معقول.. مستحيل.. العمى إي ما في غير إبليس اللعين هذا..!) وجعلته يوقن أنّ سراً ما وراءها، وخصوصاً أنّ ذلك يبدر من الحاج لأول مرة.. لذلك فقط استوقفه بذلك الصوت الذي قوّاه هدوء آخر الليل وصمته المطبق، فظهر حاداً مرتفعاً، ما أزعج الحاج، وجعله يتجاهل بكري، وأسئلته الحشرية..!"

كأن نغمة النشاز هذه تحيلنا للشاعر نزار قباني1في قصيدة عزف منفرد على الطبلة، حين قال:

الحاكم يضرب بالطبلة

وجميع وزارات الإعلام تدق على ذات الطبلة

وجميع وكالات الأنباء تضخم إيقاع الطبلة

والصحف الكبرى والصغرى تعمل أيضاً راقصة

في مقهى تملكه الدولة

لا يوجد شيء في الموسيقا

أبشع من صوت الدولة

حيث تطغى مشاعر الاغتراب، صميم المشهد الإبداعي برمته، نتيجة فساد النخب الحاكمة، والكلمة الأدبية لا تغدو حينها إلا جرساً قوي الصوت إزاء عجز المجتمع عن تجاوز الفساد، وعزم المنظومة السياسية على استقطاب سيئي الصيت إلى أوساطها ومؤسساتها، أو لا تغدو عن كونها وسيلة تنفيس عن ألم الجماهير الباحثة عن صدى أحلامها المنتهكة من خلال تلك الكلمة التي تبوح بقصة الألم الاجتماعي، حيث تتوسط الكتابة ما بين إلمام بالوعي الاجتماعي والحديث عن مشكلاته، وبين رومانسية تشغل تفاصيل السرد القصصي، وما بينهما، يشيد الكاتب محمود الوهب، معالم الكتابة القصصية على نحو يتوسط الوعي والوجدان، فالغاية من الكتابة هو تصحيح النشاز القائم في الحياة، وإيجاد المناخ الملائم لحياة تتخللها روعة الموسيقا وقدرتها على تحويل الخراب إلى بناء، بروح النقد المتجلية في نقل روح المجتمع من خلال القصة.

ولاشك أن القصة تتدرج في نقد ظواهر الحياة وإشكالاتها، بمواكبة معاناة الأفراد، والإشارة إلى وعيهم بالواقع، ورغبتهم في التغيير، وتصحيح مسارات الحياة، حيث أن التماهي مع معاناة الإنسان، وتقصي سلوكياته وردات فعله، هي من ميزات القص الفكري، المستوعب حياة الإنسان، والمعطي

رؤى بعيدة عن تنقلات الجماعات الهاربة من الحروب من جهة، وجماعات أخرى تواجه فساد مرؤوسيها من جهة أخرى، فلا تنحصر وظيفة القص على تلخيص الأفكار الذاتية لدى الكاتب فحسب، وإنما تحاول إشادة بنية فكرية لكيفية التعرض للحدث، واستنباط أفكار ودلالات واقعية نقدية من خلاله، بعيداً عن المثالية المفرطة التي تنزع للتخييل والخروج عن جادة التمثيل الموضوعي للحدث الإشكالي، حيث نجد أن القاص والشاعر يشتركان في التمثل بالرمزية لخلق الأثر عبر الأسلوب، ولكن القاص يكشف على نحو مغاير عن الشاعر في إدخالنا لهالات الرمزية الشفافة في نصه على خلاف الشاعر، ولا يسرح في وجدانيات التخييل حيث نجد هنا ص5:

"حين صار الحاج داخل بيته خلع حذاءه، ونزع عن جسمه بعض لباسه، ودخل الحمّام ليتخفف من بعض ما يثقل جسده ودواخله.. همس إلى نفسه، والماء من تحته يدفع الأوساخ إلى مستقرها لتنوب في المجاري العامة:

صحيح أنّ الأحاديث التي فرشت على الطاولة، فيها الكثير من الأملاح والتوابل.. ولكن، حتى إذا ما غربلتها أو نقيتها، يا حاج عمر، فسيبقى فيها ما يكفي، ليس لاستهجان ما حدث، أو لرفضه بالمطلق، بل للكفر بكل ما هو قائم! فالعقل والحكمة والمنطق وكذلك الواجب، يتطلب أن تسحق تلك الحشرة التي تلحق الأذى بالمجتمع كلّه.. أما أن يرقّى، فذلك لا يمكن أن يخطر ببال أحد أبداً..! العمى، والله، شيء يصرع..!"

حيث يتجلى لنا أن الكاتب استخدم تعبير الأوساخ التي لها مستقر تذهب إليه رابطاً بمشهد زوال الأوساخ من جسد الحاج عمر بمشهد ترقي أحد الفاسدين في الحكومة بدلاً من طرده وإزالته من مراكز الرياسة، فالحديث عن الشأن السياسي هو الأكثر منطقية في تناول الحدث الواقعي، واستنكاره للتعبير عن الترابط الفعلي ما بين الكاتب والمجتمع، فالكلمة لسان حال الحياة المكتظة بالإرهاق والتعب والملمات النفسية، ورصد ذلك يعتبر مهمة وظيفية تتمحور في فضاء معالجة الواقع وما يستجد عنه من سلوكيات مواربة تقف وراء مأساة الحياة، وسوداويتها لدى الأفراد الذين يتحسسون مرارته إجمالاً، فالواقعية النقدية ما تلبث أن تبرز كطرف فاعل وجاذب للتساؤلات، في خضم القصة، حيث تترجم بصدق المأساة الجلية، حيث لا ينطلق الكاتب في الحديث عن الفساد بشمولية، وإنما يشرك كل أجزاء النص بشخوصه وكذلك الأمكنة التي تتخللها في عملية إنشاء الأفكار وزيادة التأثير النفسي فيها من خلال آليات الأسلوب التحريضي الناقد.

هنا يعرض الكاتب محمود الوهب لنا الواقعية السورية، كأنموذج يحتذى به في الشرق الأوسط، فالفساد والقمع فجراً فيما بعد ثورة لا تبور، وتفككاً رهيباً في مفاصل المجتمع، عبر أطواره المتباينة، حيث للنقد القصصي دوره في كشف العلل والنواقص، فهي ليست ضرباً من ضروب الوعظ الكلاسيكي، وإنما هو امتزاج الفن والواقع في سياق البحث عن الحلول الأكثر أهمية لبناء الفرد في ظل المجتمع، وإصلاح السلطة وتقويمها عبر الكشف المباشر عن إشكالاتها، وكذلك الإسهاب التأملي في سبر معالم المجتمع عن كثب كما في قصة -العباءة- حيث نلحظ الإشارات التي تفصح عن مكامن الذوات واختلافاتها استناداً إلى نظرية الأجيال حيث عرّف الفيلسوف كارل مانهايم2الجيل

"لاحظ أن البعض اقترح أن مصطلح الجماعة أكثر صحة، لتمييز الأجيال الاجتماعية عن أجيال القرابة (الأسرة، المرتبطة بالدم) كمجموعة من الأفراد ذوي الأعمار المتشابهة شهد أعضاؤها حدثًا تاريخيًا جديرًا بالملاحظة في غضون فترة زمنية معينة"،

حيث يبرز الكاتب محمود الوهب، هذا التباين بين الأمزجة والأفكار على نحو تصادمي، بغية إجراء سفر دقيق وشامل لمكونات الرؤى ما بين الأبن وأبيه، على نحو مقلق، يجسد لنا الشرخ الحاصل بين عوالم لا تكاد تتلاقى، في أجيال عقدت العزم على أن تكشف النقاب عن هواجس زمنها، رغم تزاحم السطوة الأبوية، وتعسفها، لنتأمل هنا ص8:

"نظرات حادة تعلن رفضه القاطع.. هو رفض متعال يستصغر شأن الشاب، وينكر عليه رأيه ورؤيته! رأي غريب يباغت الأب، يجعل من رأسه عشاً لدبابير مستثارة، يضج بالهواجس والفوضى! أسئلة يتناسل بعضها من بعض، تستهدف سر تخريف الولد وأبعاده، تتعقب أصوله ونشأته. ما بواعثه وغاياته؟ من أين طلعت للولد هذه الهرطقة الغريبة؟ كيف نبتت في رأسه؟ ومن تراه أوحى بها؟! من ذرّ بذرتها في أفق هذا الولد الغر؟! وكيف لها أن تنمو في ذهنه؟ أن تتواءم وخلاياه؟ أية مسالك عبرتها إلى ذهنه؟! وكيف؟! وما الزمن الذي استغرقته؟! وكيف لروحه ألا ترفضها؟! وما دور التربية والمربين؟! ثم من أين له هذه الجرأة ليلقي بها، هكذا، ببساطة، أمام أبيه.. أبيه السيد الكبير قبل أن أكون أبيه؟! وبهذه الوقاحة؟! "

الأب هنا في أوج توتره الفكري والنفسي، يجد في ذاته رمز كبرياء بدواعي أنه السيد الكبير، إلى جانب استهجانه الصريح لكل طفرة تتوثب من ذهن الابن، فهي من الممكن أن تعلو على ذهنيته وتصورات بني زمانه، وبهذا فلا يرى بداً من المواجهة والذود عن تلك القناعة التي جُبل عليها، نجد أن الكاتب برع في توالي التساؤلات، كل منها تشير إلى عظم النكبة التي تعم داخل الأب، لقناعته أن كل جدة مستهجنة، وتكاد توقع بالمعايير الأخلاقية التي نشأ عليها، انعكاساً لصراع كامن في العقلية القائمة على رفض الجديد والمحافظة على الوضع القائم، حال القوى التقليدية في الاستماتة للبقاء في ظل صعود قوى جديدة تستميت هي الأخرى في إبراز كينونتها المنتهكة في الميدان السياسي، فحسب مانهايم فإنه يرى أن تصاعد الوعي الاجتماعي المدشن لنهضة النخبة الشابة المرتبطة إجمالاً بالحدث يشكل استجابة للنضوج القائم في حقبة معينة ومكان معين.

فأوجه الإرتباط والشبه بين ما يشير إليه الكاتب محمود الوهب في قصة العباءة وبين نظرية الأجيال لكارل مانهايم، يكمن في إبراز تلك القوى المعنوية التي تتصاعد لتشكل الحدث الأكثر إثارة، وهي بالضرورة تعد المصدر الهام لصناعة الوعي المشترك القائم على التغيير الاجتماعي، بيد أن الكاتب محمود الوهب يشير إلى ذلك الخوف الذي يعتري ذهنية الجيل المحافظ المستهجن للتغيير بأشكاله، هو في ذاته إشارة مبطنة لأنظمة الشرق الأوسط الأبوية البطرياركية، تلك التي تتخوف من التغيير والنهضة، وتحاربه بكل قوة، حيث يشير الكاتب أيضاً إلى حقيقة الصراع الأليم بين القوى القائمة والناهضة، إذاً فثمة حالة من اللا رضا والخيبة تعتري الابن إزاء تعنت الوالد وقسوة كلماته، فللنزق دلالة على انسداد مجاري الحوار بين الطرفين ما نجم عنه في النهاية ضياع البوصلة، وترسخ الاغتراب الفردي، وشيوع انعدام الثقة، كل ذلك أثر على عملية التغيير والنهوض، حيث ثمة عوائق تحول دون التحديث، والمحافظة على المهترأ وغير صالح للحياة هو لسان حال الأب، حتى أن مسوغاته وسرده لرمزية العباءة تتلخص في متاهة التمجيد والتهليل لها، فالنوم في عباءة الماضي هو إفلاس راهن، وعجز عن مواكبة مستجداته.

المحافظ المستهجن للتغيير بأشكاله، هو في ذاته إشارة مبطنة لأنظمة الشرق الأوسط الأبوية البطرياركية، تلك التي تتخوف من التغيير والنهضة، وتحاربه بكل قوة، حيث يشير الكاتب أيضاً إلى حقيقة الصراع الأليم بين القوى القائمة والناهضة، إذاً فثمة حالة من اللا رضا والخيبة تعتري الابن إزاء تعنت الوالد وقسوة كلماته، فللنزق دلالة على انسداد مجاري الحوار بين الطرفين ما نجم عنه في النهاية ضياع البوصلة، وترسخ الاغتراب الفردي، وشيوع انعدام الثقة، كل ذلك أثر على عملية التغيير والنهوض، حيث ثمة عوائق تحول دون التحديث، والمحافظة على المهترأ وغير صالح للحياة هو لسان حال الأب، حتى أن مسوغاته وسرده لرمزية العباءة تتلخص في متاهة التمجيد والتهليل لها، فالنوم في عباءة الماضي هو إفلاس راهن، وعجز عن مواكبة مستجداته.

لهذا نجد الصمت والذهول سيد الموقف في نهاية كل حديث، حيث نجد أن للمرأة رأياً آخر يتجلى في تحديث القديم ليغدو مناسباً وذلك بالاعتناء بتلك العباءة لتكون للولد القادم، ولكن الوالد لم يفعل ذلك ، كأن في ذلك إشارة إلى أن الماضي فائح بنكهته، تجديد الماضي، هو بمثابة إسفاف بحرمته ورهبته، لدى المعاصرين لحقبهم، فالإصلاحات التي يُنظر لها بعين الريبة، كانت ستمنع انتفاضة توشك أن تحدث الفوضى، فبقاء التشرذم والاحتكام لمنطق القوة والتعنت يُذهب بالنتيجة تلك الطاقات المستفيدة من حصانة القديم، وسرعان ما يصل الابن لتلك الصرخة المدوية ص10:

"«صار لزاماً علينا يا أبت استبدال عباءة جديدة بهذه القديمة البالية..؟!» من تراه يرتدي عباءة عقوداً طويلة متتالية، ولا يستبدل بها ما يلائم زمانه وأيامه..؟! هي قديمة، بالية.. تالفة.. بل هي، إن شئتم، كريهة..! نعم هي هكذا وأكثر..!

وما العباءة إلا عنوان الرجل ومكنون سريرته ورؤاه..! فعما تراها تعبّر هذه الخرقة التالفة؟! ألا ترون شكلها المزري..؟! خيوطها المتهرئة، ألوانها الباهتة.. ثقوبها التي لا تعد ولا تحصى.! العثة استباحت صوفها وحريرها. لم يعد ينفع فيها رتق ولا صِباغ.. بل هي عصية على أيّ راتق أو صَبَّاغ..! إنها، وربي، مخجلة.. مخجلة لي، ولكم وللمعارف والضيوف، وللوفود والناس أجمعين! الكل، بعد العثرة الفاضحة، بات في غمز ولمز..؟! ألا ترون ألا تسمعون ما يقولون؟! ألا تستدعي العثرة الاعتبار..؟! ألم تكد أن تودي به، لولا أن سارع ذلك التابع البائس فافتداه بحياته؟! ذهب المسكين ضحية حاجته.. الحاجة والجهل والإخلاص الأخرق.. يتَّم أطفالاً.. حرق قلب أم، وترك زوجة لرياح الليالي وأوجاع الأيام! أتراه يعلم أن جوهر العلة كامن في قِدَم العباءة، وفي أنيالها الممزقة؟!»"،

حيث أن الاحتجاج وبروز الحل بكم هائل من الحدة كان النتيجة عن ذلك الاستهزأ والاقصاء والتعنت، ولعل عدم الاستجابة له مكن روح الفوضى وإشاعة الشرور بين الناس، ولاشك أن الكاتب محمود الوهب وجد أن التغير الاجتماعي أمر محتم لابد وأن ينشب لو بعد كمٍّ من الفوضى والصراع المأساوي بخلاف ما أشار إليه مانهايم من أن التغير الاجتماعي قد يحدث تدريجيًا، دون الحاجة لأحداث تاريخية بارزة، حيث نرى تلك الرمزية الكامنة في روح النص مشتعلة بغلالة التساؤلات، ففي قصة -قطيع بيت عاروب- نلمح تشابكاً في الأحداث، غرابة في الحكائية، وكذلك دلالات تتضح مع التبصر والأخذ بتلابيب القصة وتطورات المشهد حيث أن من يحيطون مضافة الشيخ حميد البطران يتضح لنا أنهم مأمورون لا حظ لهم من الرأي والمشورة، لهذا يلتفتون للراعي حمّاد ويشتركون مع المختار في توبيخه فهنا تحوم في داخله فكرة تبيان حقيقة ما جرى ص14:

"حمّاد الذي أرهبته صرخة سيّده المختار.. وضيقت الخناق حول رقبته.. وربما أسالت الماء بين فخذيه.. اضطر لفك عقدة ارتباكه، وأخذ يفرغ كل ما جرى معه، وما رآه بعينيه بالتمام والكمال! إذ لا منقذ له إلا أن يثبت ما جاء به من حوادث ووقائع بالحجج والبراهين!"

لهذا نجد أن الكاتب استخدم انزياحات في خضم مشهد القصة وحال القطيع، ليشير إلى ما أراد قوله من وراء هذه الحكاية، حيث تتضح لنا الفكرة الواضحة وهي الشعب (القطيع) وبين السلطة (المختار وحاشيته) لهذا نجد في النهاية أن الحل الذي أشار إليه المختار تعسفي قمعي كما هنا ص17:"- زين.. تجهز السيوف والسواطير..

واستدرك: لا.. لا هذي ما تنفع.. تأخذ، أنت وربعك، سلاح من مخازن الحرس عندي.. انتبه يا جلمود.. قبل أن تبدؤوا.. تفهم جماعتك الحقيقة كلها، تقول لهم بالكلمة والحرف:

..... يتبـــع .....

Rêz û silav

Morkurina çend pirtûkên min li bajarê Essen bi erîkariya komela Hêlî wê bê li darxistin. Pirtûkên min evin .

1 - riya penaberiyê . 2- fêrî zimanê kurdî bibe. 3 - êva . 4 - agirê sînema amûdê

5 - hêviya min 6 – nûbar 7 - dîwanek bi hevre .ez û nemir Ferhad Içmo

الى جميع الاصدقاء.

ساقوم بتوقيع عدة كتب من نتاجاتي في صالة جمعية هيلين في مدينة ايسن للكتب التالية.

-1- riya penaberiyê ديوان شعر وهو قصة رحلتي من القامشلي الى المانيا، كتب المقدمة الاستاذ زين العابدين زنار

-2- تعلم الكردية باللهجة الكرمانجية الطبعة السادسة حيث كتب المقدمة صديقي المرحوم فرهاد عجمو

-3- حريق سينما عامودا ترجمة لملا احمد نامي الطبعة الثانية حيث كتب المقدمة الاستاذ ابراهيم اليوسف

-4- hêviya min شعر حيث كتب المقدمة الشاعر المرحوم سيداي كلش -5- êva شعر -6- nûbar شعر

-7- ديوان شعر مشترك مع الاستاذ وصديقي المرحوم فرهاد عجمو

وذلك يوم الاحد 15.4.2018 في صالة هيلين - ايسن . الساعة الثالثة عصراً.

العنوان: werder.st.13/45138 Essen وبحضوركم يكتمل سروري

الملامح التاريخية لشعوب شرق المتوسط.....الحلقـــة – 18

انتفاضات و ثورات البارزانيين ما بين (1911- 1975) م

خورشيد شوزي

ثورة أيلول "1961- 1975" - الجزء الأول -

استهلال

الاتحاد السوفياتي كان يبدي التعاطف مع الثورات في دول العالم الثالث عندما كانت حكوماتها تعادي الأحزاب الشيوعية وتلاحقهم وتزج أفرادها في السجون، ولكنها كانت تغير موقفها من هذه الثورات التحررية عندما كانت هذه الحكومات تتقرّب من الشيوعيين، وخاصة عندما تعين أحد الشيوعيين في منصب وزاري - ولو كان وزير دولة، وتبدأ بالتخلي عن مبادئها وتدعم هذه الحكومات عسكرياً للقضاء على هذه الثورات التحررية.

لم تشذ ثورة أيلول عن هذه القاعدة، ففي بداية الثورة أبدى الاتحاد السوفييتي تعاطفاً مع معها ومع قائد الثورة الملا مصطفى البارزاني، حيث كان الشيوعيين منبوذين وملاحقين من الحكومات العراقية في العهد الملكي، وفي بداية حكم عبدالكريم قاسم عام 1958م، ولكنها غيرت موقفها من الثورة مع انفتاح حكم قاسم على الشيوعيين، وتكرر نفس الأمر في الأيام الأولى من حكم البعث 1963م، وكانت المؤامرة الكبرى على الثورة من قبل السوفييت بعدما توصّل إلى إبرام معاهدة صداقة مع النظام البعثي العراقي في السابع من أبريل/نيسان 1972م، ومع إشراك البعثيين شيوعيين في الوزارة ازداد الهجران بين الكرد والرفاق السوفيات بعد خلافات تحولّت إلى اشتباكات مسلّحة بين الشيوعيين والبيشمركة عام 1973-1974، واتهم الرفاق السوفيات زوراً الكرد بقمع الشيوعيين في كردستان، وقادوا حملة دولية ضدهم في المحافل الدولية. الأمر الذي دفعت بالثورة إلى الاتّجاه غرباً، وطلب الدعم الأمريكي.

في أواخر الستينيات من القرن الماضي بدأت أهمية منطقة الخليج العربي/الفارسي بالظهور، ومعها بدأت بوادر الصراع الدولي تطفو على السطح لفرض هيمنتها وسيطرتها على هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم الغنية بالنفط، سواء بين الكتلتين الشرقية والغربية، أو بين القوميتين العربية والفارسية.

ومع أطماع إيران في المنطقة، حاول شاه إيران أن تكون له الكلمة العليا في الخليج، فاتبع سياستين متكاملتين، إحداهما توطين العنصر الإيراني في الامارات الناشئة عن طريق البريطانيين المسيطرين على المنطقة، والآخر تسليح الجيش بأحدث الأسلحة لاستخدامهم كعنصر ضغط على الدول الناشئة، ولذلك سميت قواته بـ"شرطة الخليج".

نشط شاه إيران على المستوى الإقليمي كثيراً في بداية السبعينيات، وساعدت مواقف القوتين العظميين في ذلك الوقت مساعي الشاه، وتبعاً لظروف الثورة الكردية ومعاداة السوفييت لها لم يبق أمامها سوى قبول العون الإيراني، وتوسّط الشاه لدى الولايات المتحدة الأمريكية، ورتّب لقاء بينهم وبين قيادة الثورة في واشنطن عام 1973م، وعندما أحس النظام العراقي بالخطر يهدد حكمهم، بادروا إلى التنازل لإيران عن نصف شط العرب، مقابل إيقاف إيران دعمهم للثورة، وهذا ما حصل في اتفاقية الجزائر بين صدام حسين – نائب الرئيس العراقي، وشاه إيران محمد رضا بهلوي، عام 1975م. فنفض شاه إيران – ركيزة أمريكا في المنطقة – يديه من الثورة الكردية، فكانت الضربة القاصمة للثورة الكردية، وبتواطؤ من القوتين العظميين وخاصة الولايات المتحدة والتي كان يدير سياستها الكريهة هنري كيسنجر.

بداية الثورة

تعد ثورة الحادي عشر من أيلول عام 1961 من أبرز وأهم الثورات التي خاضها الشعب الكوردي في تاريخه النضالي المشرق، وكانت لهذه الثورة مسوغاتها السياسية، رغم أن الشعب الكوردي وبقيادة البارزاني الراحل كان قد حاول عدة محاولات لأن تصطلح الأمور ويخف التوتر الذي بدأ يسود العلاقة بين حكومة بغداد والكرد، لاسيما، وأن الشعب الكردي شارك وأيد بكل قوة ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958بقيادة عبدالكريم قاسم.

تعتبر ثورة أيلول إحدى الثورات الكردية الكبيرة، فقد خاضت العمل المسلح ضد الأنظمة العراقية لأكثر من 14 سنة، ورفعت شعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان. وإمتدت من عام 1961 الى عام 1975، إستطاعت خلالها ان تؤسس مدرسة نضالية كبرى بين صفوف الشعب الكوردستاني، الذي وجد نفسه أمام نظام أغلق كل السبل الدستورية والسياسية بالوسيلة العسكرية، فلم يكن لديه سوى خيار الدفاع عن النفس، وحمل السلاح لا حباً بالقتال وإنما إصراراً على الدفاع عن الحقوق.

وخلال سنوات عمر الثورة كانت هنالك العديد من الجولات التفاوضية بين قيادة الثورة والحكام المتعاقبين على كرسي الحكم في بغداد، وجاءت اتفاقية آذار عام 1970، التي كانت أطول الاتفاقيات عمراً وأدقها في التفاصيل وأشملها في معالجة المشكلات، ولكن بعد أن طالبت الثورة حكومة بغداد الوفاء بالالتزامات وما جاء في بنود الإتفاقية، إصطدمت تلك المطالبات بصخرة العنجهية البعثية، واندلع القتال مرة أخرى، وشنت القوات العراقية هجومها على على قرى وقصبات كوردستان في آذار 1974، واستعملوا الأسلحة المحرمة دولياً في العديد من المناطق ضد المدنيين الكورد.

تعرضت الكرد وكوردستان في 1975/3/6 إلى مؤامرة حيكت خيوطها في دهاليز العديد من عواصم العالم، وبدت الصورة في بداياتها حالكة بفعل تكالب قوى الأعداء وحجمها، وعاش الكوردستانيون أياماً حالكة نتيجة الغدر بهم وجعلهم قرابين الاتفاقات والمساومات للقوى الكبرى.

اتفاقية الجزائر بين إيران والعراق برعاية أمريكا 1975م:

في العام 1974 ازدادت تدخلات الجانبين العراقي والإيراني في شؤون بعضهما البعض الداخلية، وصلت إلى حد المواجهة، فقام النظام العراقي آنذاك بدعم بعض أحزاب المعارضة للنظام الإيراني، وبالمقابل قدمت ايران الاسناد اللوجستي للحركة الكردية، الأمر الذي أصبح ينذر باندلاع حرب شاملة بين الجانبين وفي حال وقوعها سوف تجر إليها أطرافاً إقليمية ودولية، الأمر الذي جعل الكثير من هذه الأطراف سواء على الصعيد الإقليمي والإسلامي والدولي تبحث عن مخرج لهذه الحالة، فالتأم شمل الأطراف الراغبة لإيجاد حل وتوجت بجمع محمد رضا بهلوي شاه ايران وصدام حسين نائب الرئيس العراقي آنذاك في العاصمة الجزائرية تحت رعاية هواري بومدين الرئيس الجزائري وعراب الاتفاقية هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي وبمباركة الاتحاد السوفييتي، ومصر والأردن والجزائر الراعية، الأمر الذي تمخض عنه عقد اتفاقية السادس من أذار عام 1975 على حساب الكرد كما صرح بذلك هنري كيسنجر.

وبموجب هذه الاتفاقية تجاهل الطرفان الاتفاقيات السابقة الموقعة بينهما والتي تنص على ترسيم حدودهما البرية والبحرية، ومنها اتفاقية "أرض روم" التي أبرمت إثر الهجوم التي تعرضت له مدينة المحمرة عام 1837 من قبل والي بغداد العثماني علي رضا باشا والذى أدى إلى تدميرها. وأبرمت الاتفاقية في عام 1884م برعاية الحكومتين الروسية والبريطانية، بالإضافة إلى ممثلي الدولتين المتخاصمتين، خضعت فيها المحمرة وعبادان وبعض المناطق الأخرى إلى الدولة الإيرانية، وفي المقابل التحقت مدينة السليمانية وتوابعها بالدولة العثمانية وذلك طبقاً للمادة الثانية من تلك المعاهدة.

إن هذه الاتفاقية لم تتسبب في انهيار الحركة الكردية وما رافقها من كوارث تجاه هذا الشعب وحسب، وإنما أدت إلى إيقاف كافة النشطات التي تقوم بها المعارضة الإيرانية من داخل الأراضي العراقية، وأدت أيضاً إلى اغلاق مكاتب الجبهة الشعبية لتحرير الأحواز ومنع كافة نشاطاتها السياسية والإعلامية والعسكرية وملاحقة أعضائها وتسليم البعض منهم إلى ايران.

والاتفاقية بشكل مختصر ظاهري تقول:

"ان الطرفين قد أجريا إعادة التخطيط النهائي لحدودهما البرية على أساس بروتوكول القسطنطينية لسنة 1911 ومحاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود لسنة 1914، حيث ثبتت 126 دعامة قديمة و 593 دعامة جديدة بموجب اتفاقية الجزائر، وحددا حدودهما النهرية حسب خط الثالوك".

إضاءات و توضيحات

** تعتبر ثورة أيلول بين1961- 1975 من أطول الثورات الكردية. وكان للتدخلات الدولية والإقليمية دوراً بارزاً في استمرارها، وفي نهايتها المأساوية. هذه الثورة التي اندلعت في أيام الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي بقيادة الدولتين العظميين في ذلك الوقت، وهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، فكانت لمصالح المعسكرين الدور الكبير في بقائها ومن ثم في إجهاضها بشكل مأساوي سريع ومريع.

** في العام 1974 كانت الحكومة البعثية تقوم بهجمات شرسة على الكرد والعالم لم يحرك ساكناً. بل العكس كانوا يقدمون له دعماً اعلامياً وعسكرياً. فالغرب ينعت الثوار الكرد بالمتمردين. والشرق يقدم أحدث الطائرات القاصفة من طراز (توبوليف، وسوخوي، وميج) لتصب حممها على السكان المدنيين في قلعة دزه وحلبجة وخرمال وكلالة وغيرها. وكانت إذاعة موسكو تردد ما يقوله الإعلام البعثي.

اما العالم الثالث فكان بوقاً وصدى لما يردده إعلام البعث، وأخص بالذكر "احمد حمروش" الكاتب المصري الذي يزخرف مقالاته ضد الثورة الكردية بافتراءات وتجني وكأنها خارجة من مطابع البعث في بغداد، وكذلك الرئيس المصري أنور السادات الذي صرّح كذباً لإحدى الصحف الغربية: "ان زعماء الثورة الكردية طلبوا منه التوسط لدى الحكومة البعثية فرفض ذلك".

** أمريكا لم تكن وقتها وإلى الآن سوى حلقة من سلسلة الدول الاستعمارية ذات المصالح في هذه المنطقة التي قسمتها وملأتها بالصراعات والأفخاخ والألغام. أما الشعوب المظلومة من أمثال الكرد فهم مجرد أدوات للوصول إلى مبتغاهم ولا علاقة لحقوق الانسان والضمير البشري بالمصالح التي هي فوق أي اعتبار إنساني. وهذا ما عبّر عنه هنري كيسنجر وزيرالخارجية الأمريكي آنذاك، عندما قال:

"إننا سوف نتخلى عن الأكراد لكي يمكن للعراقيين أن يتفرّغوا للسوريين الذين يرفضون الدخول في مفاوضات من أجل مرحلة ثانية من فضّ الاشتباك مع إسرائيل".

أما شاه إيران محمد رضا بهلوي فلم يكن شاه إيران أقلّ صراحةً من كيسنجر عندما اعترف لمندوب صحيفة "لوموند" الفرنسية قبل زيارته إلى فرنسا في يونيو/حزيران 1975م:

"ان الأكراد لم يكونوا بالنسبة له إلا ورقة يحتفظ بها إلى اليوم الذي يمكنه فيه أن يبادلهم ضد نزع السلاح من البلاد العربية التي يوجد فيها تيّار مضاد لإيران، وضمان سير سفنه في الخليج وشطّ العرب. لقد أراد الأمريكان لثورة البارزاني أن تكون متأججة بالقدر الذي يستنزف موارد العراق".

..... يتبـــع .....

هل تستحق "أن تقتل بوبريكين" البوكر الروسية؟

جودت هوشيار

تنفرد جائزة "البوكر" العالمية للرواية الروسية بين الجوائز الأدبية الروسية – التي يصعب حصرها لكثرتها – ليس فقط بقيمتها المالية - مليون ونصف المليون روبل –بل لكونها جائزة مرموقة ومستقلة فعلاً. ولا تخضع جائزة "البوكر" الروسية تخضع للتأثير القوي الذي تمارسه دور النشر والإشهار الروسية الكبرى على الجوائز المحلية، عن طريق شبكات دعائية هائلة يعمل فيها (نقاد)، يكتبون مقالات منمقة عن إصدارات تلك الدور، تحت مسميات شتى من نقد ومراجعة وقراءة وتحليل، وإقامة حفلات توقيع الكتب، وإجراء مقابلات صحفية مع مؤلفيها، وغيرها مما يدخل في باب العلاقات العامة.

لجنة التحكيم في جائزة "البوكر" الروسية تتغير سنوياً، ما عدا السكرتير الأدبي للجنة إيغور شايتانوف، رئيس تحرير مجلة "قضايا الأدب" الشهيرة، حيث يتولى هذه المهمة منذ عام 1998.

وصرّح شايتانوف قبل الأفصاح عن إسم الفائز بالجائزة لهذا العام: "أنا ذلك الأنسان الذي يخطأ دائماً ويمنح الجائزة لمن لا يستحقها".

وأعلن رئيس لجنة التحكيم الكاتب (بيوتر اليشكوفسكي) – الفائز بجائزة (البوكر) للعام الماضي –إن الرواية الفائزة هي "أن تقتل بوبريكوف" لألكسندرا نيكولاينكو. وأفاد بأن هذه الرواية إنجاز عبقري من حيث جمال اللغة والبناء الروائي.

مؤلفة الرواية الفائزة فنانة تشكيلية شابة متخصصة في تصميم أغلفة الكتب، وهي معروفة الى حد ما بهذا العمل لدى بعض دور النشر، وغامرت بتجرّبة حظها في مجال الأدب، ولم تصدق الكاتبة المبتدئة أنها فازت بالجائزة، لأنها لم تكن تتوقعها، وعندما نطق رئيس اللجنة باسمها في حفل التكريم، أخذت تبكي فرحاً.

وقالت بصوت مخنوق وكلمات متعثرة: "إن الأشرار في دور النشر رفضوا إصدار روايتي، ما عدا الناس الطيبين في دار نشر جاليفر الجديد، الذين ساعدوني وطبعوا كتابي".

وشهدت الجلسة الختامية للجنة من أجل تحديد الرواية الفائزة - من بين خمس روايات تضمنتها القائمة القصيرة – جدالاً حامياً، وانتهت بإتخاذ قرار بالأغلبية لصالح رواية نيكولاينكو.

مضمون الرواية الفائزة

"أن تقتل بوبريكين" رواية قصيرة من مئتي صفحة بضمنها الرسوم التوضيحية، التي رسمتها المؤلفة بنفسها. ولم تلفت الرواية الأنظار عند نشرها، ولم تجد إقبالاً عليها، وظل إسم الكساندرا - قبل فوزها بالجائزة - مجهولاً، سواء في الأوساط الأدبية أو بين القراء الروس.

عنوان الرواية يذكّرنا برواية "أن تقتل طائراً محاكياً" للكاتبة الأميركية (هاربر لي). تشابه في العنوان فحسب، وليس المضمون أو الأسلوب أو التقنية، ذلك لأن رواية (هاربر لي) عمل أدبي رائع، على النقيض من رواية الكساندرا نيكولاينكو، التي لا ترتفع بمستواها الفني والجمالي إلى مستوى رواية هاربر لي.

ساشا شيشين، بطل رواية نيكولاينكو، شاب قصير القامة، ضعيف البنية، ومأزوم نفسياً، فهو قلق ومتردد دائماً، طفولي السلوك، خاضع لهيمنة أمه الريفية الصارمة المتديّنة.

زمن الرواية قصير لا يتجاوز بضعة أسابيع بين عيدي الميلاد والفصح، في إشارة تمثل رمزية متعمدة. وخلال هذه الفترة نجد أن كل يوم من أيام ساشا يشبه إلى حد كبير سابقه. يستيقظ من النوم، ويسمع تأنيب أمه، ويتذكر شيئاً ما من الماضي، يشتاق ويكره، ويتذكّر أيام دراسته عندما كان يقضي معظم وقته مع حبيبته فتاة الجيران تانيا، التي تركته وفضّلت عليه زميلها الآخر بوبريكين القوي الوسيم، الذي تزوجها بعد تخرجهما من المدرسة منذ عدة سنوات، وأنجبت تانيا منه طفلاً. ورغم ذلك، فإن ساشا ما يزال يحب تانيا، ولا يستطيع أن ينساها أبداً.

ساشا يستعيد في خياله كل الأوقات الجميلة التي قضاها مع تانيا. ولكن بوبريكين لم يكتف بانتزاع الفتاة منه، بل أخذ يفسد عليه حياته: يضايقه ويغيظه حيناً، أو يهينه ويسخر منه حيناً آخر، عندما يلتقيان مصادفة في أي مكان، سواء في الطريق أو في المصعد الكهربائي للعمارة التي يقيمان فيها. بوبريكين يشغل ذهن ساشا في كل وقت وفي كل مكان، حتى في عالم الأحلام.

وعندما يحاول ساشا استعادة ذكرياته الجميلة مع تانيا، يبرز له بوبريكين هنا أيضاً بنكاته السخيفة وكلماته الجارحة.

والشاب القوي يصبح بالنسبة إلى ساشا، رمزاً للشر بسبب العديد من المتاعب التي خلقها له في حياته. يقول ساشا لنفسه: "بوبريكين كله شر، انتزع مني حبيبة عمري ولكنه أفضل مني، ولا بد لي أن اتخلص منه".

ومن أجل التخلص من بوبريكين يخطط ساشا طوال الرواية تفاصيل عملية شنق خصمه بالحبل. وفي كل مرة يقتني فيها حبلاً من المتجر القريب ليخنق به عدوه اللدود، يفشل فشلاً ذريعاً، حيث ينتزع بوبريكين منه الحبل، ويدفعه بعيداً، فيقع الشاب المهزوم على الأرض وهو يلعن حظه العاثر.

والفتى الملتاع من الحب يعيش في انتظار تانيا دائماً. وهما يلتقيان بالمصادفة أحياناً، حيث تسكن هي مع زوجها وطفلهما في شقة تقع تحت شقته.

ويبعث ساشا برسائل حب إلى تانيا ورسائل إلى نفسه نيابة عنها. وفي الليل يتخيّل انه يتحدث معها، ويرسم صورة سعادتهما المستقبلية، ويتذكر سنوات الدراسة عندما كانا يبحثان عن مدينة الزمرد ويحلمان بالهروب إلى أستراليا.

ما من حبكة أو نمو شخصية في الرواية. الوصف ممل، وثمة تكرار متعمد لكثير من التفاصيل الزائدة التي لا تلقي الضوء على ما يحدث، ولا تضيف جديداً إلى فكرة الرواية. نهاية القصة مبهمة: هل قتل ساشا بوبريكين؟ كلا.. بل ربما قتل تانيا. ولكن الأمر غير واضح. لأن كل شيء يجري في مخيلة البطل والذي يقول بينه وبين نفسه: "كنت سأقتل الجميع".

ليست هذه رواية رومانسية عن الحب، كما تبدو للوهلة الأولى - خاصة حين تقحم الكاتبة فيها شعراً منثوراً بين حين وآخر غريباً عن بنية الرواية - بل رواية فضفاضة حول الموت والقتل والأمراض. قصة سوداء قاتمة لا أمل فيها. الكاتبة صرحت بأنها كتبت قصة إنسان، ولكن هذا الإنسان ليس سوياً. سلوكه غريب وأفكاره المشوشة غير منطقية.

تقييم النقاد الروس

كان منح الجائزة لهذه الرواية مثار استغراب ودهشة. وقد أشار عدد من النقاد المعروفين بالموضوعية والحياد، الذين لا يرتبطون بدور النشر والإشهار إلى أن هذه الرواية ليس فيها أي تجديد. أو مزايا، ولا تستحق جائزة البوكر الرفيعة، بل حتى لا تستحق أن تقرأ.

وقال الناقد (كونستانتين ميلجين) في تقييم نشرته وكالة (تاس) الروسية: "ليس في الرواية قضية اجتماعية. كل ما هو ممتع فيها يجري في ذهن بطل الرواية ببطء شديد، وفي النهاية نجد بين أيدينا 200 صفحة. هذا كثير، نص يمكن اختصاره إلى ثلث أو ربع الحجم الحالي ليصبح قصة قصيرة عادية.

ونشرت الناقدة (أولجا تيموفييفا) تقييماً للرواية في صحيفة "نوفليا غازيتا" المستقلة تقول فيه: "إن ما يربك قارىء هذه الرواية أن المؤلفة تلجأ إلى الإستعارات التقريبية والمقارنات المتنافرة على نحو متعمد من أجل البهرجة اللغوية".

وقال الكاتب والناقد ديميتري بيكوف في مقال تحليلي نشر في عدة مواقع الكترونية حول الروايات الخمس التي تضمنتها القائمة القصيرة للجائزة: إن لجنة التحكيم إختارت أضعف الروايات الخمس لسبب غير معروف".

وقالت الناقدة (ليزا بيرغر) في صحيفة (كوميرسانت): "يبدو أن جائزة البوكر الروسية تحاول دفن نفسها. مرة تخسر منح الداعمين لها، ومرة تمنح الجائزة لرواية ايروتيكية –تأريخية (المقصود رواية الكاتبة ايلينا كوليادينا الموسومة "زهرة الصليب" التي نالت جائزة البوكر الروسية عام 2010) متصورة أنها كلمة جديدة في الأدب الروسي. أو يحدث جدل علني بين أعضاء لجنة التحكيم عند تقديم الجائزة.

ان أفضل ما يمكن أن نصف به جائزة هذا العام هو أنها كانت مفاجأة حقاً، فالجائزة منحت لرواية تخلو من أي مزايا فنية، ولهذا يحاول النقاد البحث عن هذه المزايا الموهومة. الرواية تدور في مكان واحد، ولغة الكاتبة تمتاز بتكرار الجمل.

رواية تقليدية تعود بنا إلى الحياة في الضواحي في أواخر العهد السوفيتي، وإذا كانت الرواية قد جذبت أنظارنا فهذا دليل على أن أدبنا أصبح فقيراً جداً.

الناقد "الكسندر كوزمينكوف، المشهور بملاحظاته القاسية، قال إن الرواية غير قابلة للقراءة، وأنه يشعر بمتعة بالغة إذا ما ألقى بها في الفرن، لأنها خالية من كل ما يمت إلى الأدب بصلة.

رأي لجنة التحكيم

ورداً على الإنتقادات الموجهة إلى لجنة التحكيم لاختيارها رواية "أن تقتل بوبريكين" كأفضل رواية نشرت خلال عام 2017، قال عضو اللجنة الكسندر سنيغيرف، الحاصل على جائزة البوكر في عام 2015: "إن إحدى وظائف الجائزة هي اختيار الإتجاه الجديد في الأدب. علينا أن نحاول التنبؤ في هذا الشأن. وكتاب (ان تقتل بوبريكين) يعكس ما نلاحظه اليوم من انجذاب النثر الفني نحو الشعر. هذا قد يعجب البعض، وقد لا يعجب البعض الآخر. ولكنه إتجاه جديد في الأدب الروسي المعاصر.

وأضاف: فوق ذلك يتضمن الكتاب رسوم المؤلفة التوضيحية للنص، أي إننا أمام توليف فني مطلوب الآن، لأنه إنساني.

وأردف يقول: "رواية" الكاتبة الكسندرا نيكولاينكو مثال حي على البحث الإبداعي. وأعتقد أن جائزة البوكر تمنح ليس فقط لكتب معينة، بل أيضاً من أجل البحث عن اتجاهات جديدة في الأدب، والجوائز الأدبية علامات في هذا الطريق.

وختم الكسندر سنيغيرف بالقول: "رواية نيكولاينكو الفائزة بالجائزة هو مثال جيد على هذا المسعى. الكتّاب يحاولون التجريب. وفي هذه الحالة فإن النتيجة ليست بذات أهمية، لأن المحاولة التجريبية أكثر أهمية "..

الأديبة د.ميسون حنّا تصدر:

"مطاردة النمل" و "الرّباط المقدّس"

عرض: د.سناء الشعلان

في العاصمة الأردنيّة عمّان صدر حديثاً عملان إبداعيان للأديبة الأردنية د.ميسون حنّا؛ إذ صدر لها مجموعة قصصيّة بعنوان "مطاردة النمال"، ومسرحيّة بعنوان "الرّباط المقدّس"؛ وكلاهما إصدارات من القطع الورقيّ الصّغير؛ إذ تقع المسرحيّة في 107 صفحات، في حين تقع المجموعة القصصيّة في 110 صفحات. وذلك بعد إصدارها للأعمال الإبداعيّة التّالية: "شباك الحلوة" 1978، "كاهن المعبد" 1989، "مقتل شهرزاد" 1990، "الشّحاد حاكماً" 1993، "مدينة الرّهان" 1998، "حكاية توت" 2020، فضلاً عن مسرحيّة "عازف النّاي" في عام 2001 التي حازت بها على جائزة أفضل نصّ مسرحيّ محليّ في مهرجان عمون المسرحيّ في الأردن.

والمجموعة القصصيّة "مطاردة النمال" تتكوّن من 36 قصة قصيرة، تحمل على التّوالي العناوين التّالية: الشّجرة، هاجس، اغة العناكب، بابا نويل، افتتان، نشوة، الطاووس، كرة، الشجرة والنّعش، المخلوقات التّحتيّة، ثلج، الدّالية، مطاردة النمال، ثلاثية الحبال، فنجان قهوة، الصّبي والقطار، الصّغير والنّهر، العشّ، العبد، الوالي، النّجمة، الوجيه، بحر الرّمال، الطّاغية، مورفين، ظريف وشقيف، البئر، جرّة، البوق، غيوم، وردة، الصّدى واللّيل، الأفعى، فراغ، التّمني، حوارية الضرير.

أمّا مسرحيّة" الرّباط الأزليّ" فهي تقع في ثلاثة فصول،يحتوي الفصل الأوّل والثّاني منها على مشهد واحد لا غير،في حين أنّ الفصل الثالث منها يحتوي على ثلاثة مشاهد.

ومجموعة "مطاردة النمال" هي تجربة قصصيّة جديدة وخاصّة للدكتورة ميسون حنّا؛إذ تقدّم فيها خلاصة نضوجها الفنّيّ والفكريّ وطريقتها الخاصّة في التّشكيل ومزج رؤيتها للواقع بما تملك من أدوات الرّؤية والسّبر والنّقاش، كما يتجلّى في مجموعتها هذه حسّها الفلسفيّ الخاصّ بما يزدحم حولها من تجليّات الحياة وتناقضاتها وفرضياتها وتجلياتها وصورها وانعكاساتها، مقدّمة ذلك من زاوية خاصّة للنّظر تنتقيها ببراعة كي تقدّم للقارئ مساحة رؤية نقيّة وصادقة تسمح له أن يرى الحقائق دون تزوير أو إكراهات في الرّؤية والتّلقّي، فهذا ما نراه في قصة "رقص"(1)؛ إذ يغدو سلوك الفرح والحياة عدوى لنيذة تنتشر بين البشر، في حين تقف الأشجار مراقبة لهذا السّلوك العذب المُشتهى "وبسرعة عجيبة تفشّى الوباء، وأخذ الحشد يتمايل ويتراقص، وموسيقى الرّيح تتصاعد وتتصاعد، ويتصاعد الرّقص. رقصت النّاس حدّ الإعياء. وأخيراً سقطوا على الأرض دون حراك، بقيت الشّجرة تتمايل وتنظر إليهم من علّ وتضحك" (2)

والرّؤية الكونيّة الفلسفيّة عند د.ميسون حنّا تجعلها تقترف لعبة الإحياء والإنسنة للكائنات الحيّة بل وللجمادات أيضاً، فتصبح شريكاً حقيقيّاً في خلق الحدث وصنعها؛ ففي قصّة "الرّيح"(3) تقسّم المشاعر البشريّة بكلّ تناقضاتها على الرّيح والأشجار، وصولاً إلى التّجليّ في صورة الحكمة المنشودة التي تنفذ الشّجرة إليها إذ تقول: "أمّا الشّجرة ففي غمرة اندماجها بالرّيح أدركت أن أنينها يحمل بين طيّاته الأمل، وأصبحت تنتظر الرّيح كلّ يوم ليندمجا معاً" (3)

وهذه النّزعة نحو أنسنة الكائنات والجمادات تغدة سمتاً ثابتاً في الثّلث الأوّل في هذه المجموعة القصصيّة؛ ففي قصة "الهاجس" الإناء هو بطل صامت في إزاء بطولة الإنسان، وفي قصّة "لغة العناكب" الحبّ والحياة والمشاركة ومفارقات الحياة نعيشها في قصّة صغيرة من قصص زوج من العناكب/ذكر وأنثاه. وفي قصّة "افتتان" العصفور يقوم بتجربته الشّعوريّة والفكريّة الخاصّة في قصّة مغازلة مع زهرة تستهوي قلبه. في حين أنّ الزهرة المسحوقة في يدي امرأة عابثة هي بطلة قصّة "نشوة"، لكن في قصّة "الطاووس" يتعاظم دور هذا الطّائر ليخلق من جمال تضحيته بريشة من ريشاته الجميلة لأجل إسعاد طفلة صغيرة من البشر جمالاً أعظم، وهو جمال العطاء وإسعاد الآخرين، ولو على حساب الذّات؛ فالإيثار هو البطل الحقيقي في هذه القصّة. في حين أنّ "الكرة" هي البطل في قصة "كرة".

وهذه النّزعة إلى الأنسنة تغدو واضحة في قصص "الشّجرة والنّعش"، وقصص "المخلوقات التّحتية"، و"ثلج"، و"الدّالية"، ومطاردة النمال"، و"فنجان قهوة"، والصّبي والقطار"، والصّغير والنّهار"، والعشّ"، و"النّجمة"، و "بحر الرّمال"، و"البئر"، و"جرّة"، و"البوق"، و"وردة"، و"الصدى واللّيل"، و"الأفعى"، و "فراغ".

وتطعّم د.ميسون حنّا مجموعتها القصصّية بشكل القصص المتوالدة؛ إذ تلجأ إليها في قصص: "ثلاثيّة الحبال"، و " الوالي"، و"ظريف وشفيق"، و"غيوم"؛ إذ نجد عنواناً واحداً تتوالد منه قصصاً لها لحمة موضوعيّة واحدة، وجميعها تحيك الفكرة من أكثر من زاوية وصولاً إلى تجسّد الحالة والمشهد، وقفله بطريقة ذكيّة. وكأنّ د.ميسون في هذه المشهديّة القصصيّة الخاصّة تنقل فكرة المشهد المسرحيّ إلى نسيجها القصصيّ، وتوزّع حبكته بطريقة فنيّة خاصّة على مساحات القصّ المتوالد انتهاء إلى قلق خاص وحساسيّة تقودنا نحو ما تريد أن تقوله بكلّ وضوح وصراحة.

واللافت للنّظر في هذه المجموعة أنّ د.ميسون تدير ظهرها للحدث الإنسانيّ ولبطولة أفراده في الأحداث كي تجعله أكثر حضوراً، وإن كان ذلك في تجليّة من التّغيب والإخفاء والصّمت الفاضح لا المتجاهل؛ فكلّ الأشياء والكائنات التي أضفت عليها رداء الأنسنة تكلّمت بصوت الإنسان، وعاشت تجاربه، وقاربت مشاعره وحيواته وإكراهاته، وفي النّهاية عاشت مخاضاته وتجاربه ومصائره، ولذلك كانت تهتف بالوجود الإنسانيّ وبتجربة الإنسان حتى وإن كانت تقف وهماً خارج هذه الدّائرة، في حين أنّ الإنسان لم يظهر في بطولة حدثيّة كاملة إلاّ في لقليل جداً من قصص المجموعة مثل: "بابا نويل"، والعبد"، والوالي"، والوجيه"، والطاغية"، و "حواريّة الضّرير".

نستطيع القول إنّ د.ميسون تقدّم لعبة سرديّة فكريّة ذات تجليات متعدّدة في هذه المجموعة؛ فهي تعني الإنسان، وتعيش عوالمه جميعاً، ولكنّها -في الغالب- ترفضّ أن تجهر باهتمامها المباشر به، وتزيح هذا الاهتمام إلى مساحات وظلال أخرى تخترق فيها عوالم الأرض والسّماء والكائنات والتّصورات والحقائق والأوهام، لتقودنا بعد رحلة مضنية شديدة التّعقيد والتّداخل واللهاث إلى كائن كونيّ واحد يعنيها أمره وعذاباته، وهو: الإنسان.

أمّا في مسرحيّة "الرّباط المقدّس" فنجد د.ميسون تنقل فلسفة القصّة وقلقها وحبكتها وصراعتها إلى عوالم الفعل الدّراميّ المتصاعد في جو من الحكاية الإنسانيّة المصيريّة حيث تدخل الثيمات الكبرى في الوجود لتكون أركان صراع؛ فيحضر القدر مجسّداً في رجل، لتكون له حكايته الخاصة مع "الحياة" المجسّدة في امرأة، ويدخلان في جدليّة متّصلة من المماحكة في خط قلق من التقارب والتّنافر، إلى أن يقع "القدر" في حبّ "الحياة" التي يعشقها البشر، وتحاول "الحياة " أن تستغلّ هذا الحبّ لتظفر ببعض المكاسب للبشر، مثل تخفيف قسوة الأقدار على محبّيها من البشر الذين ذاقوا الهول من تقلبات القدر وبطشه.

ويدخل البشر شركاء جبرين في هذه اللّعبة المفترضة بين "الحياة" وعاشقها المفتتن بها "القدر"، وتكون "الجزيرة المخلميّة" هي الجزيرة الفنتازية الخياليّة التي تخيرتها الكاتبة لتكون الفضاء المكانيّ والزّمانيّ لهذه اللّعبة الغريبة، وهنا يدخل شريك فنتازيّ ثالث في هذه اللّعبة، وهي "الإرادة" التي تقدّم دعمها للإنسان بطريقتها المشجّعة الموثّبة، لتكون الصّوت الحي والمحرّك في النّاس في "الجزيرة المخمليّة"، ويبدأ نضال البشر في المسرحية للظّفر بحقل السّعد الذي يرتوي ببئر السّعد، وفي خضمّ هذه الرّحلة تكون هناك مشهديّة البشر بما فيها من آفات الحسد والحقد والتغابن والظّلم، وتنتهي المسرحيّة بأن تحبّ الحياة الإرادة، وتدفع عاشقها "القدر" إلى أن يحبّ الإرادة مثلما تحبّها، وإن ظلّ حرمانه من حبّها وتعاطفها معه يعكّر صفو وجوده، ويقزّم فرحه، ويدفعه إلى أن يصرخ في وجهها في آخر المسرحيّة"لقد عشتُ من أجل هذا اليوم (حالماً) كي ألتقيكِ، وأنت عائدة عروس السّماء، وأركع أمامكِ فتمسحين على أنهض، وأضمّك إلى قلبي".(4)

وبذلك تلخّص د.ميسون صراع الحياة والقدر والإرادة في دراما جدليّة تحيك الوجود من هذه الخيوط الثّلاث، وتجعل الإنسان رهينها جميعاً، ليعيش في متناقضاتها، ويبني وجوده من تجاورها وتناظرها وتقاطعها، ويظلّ "القدر" هو ذلك المتربّص بالإنسان وحياته، والمصارع له كما يصرخ في الجملة الأخيرة من المسرحيّة عندما يقول موجّهاً كلامه للحياة: "(بيأس) إنّي أكرهكِ، أكرهكِ (بتحب). ويكون الصّمت هو جواب الحياة والإرادة أمام نزق "القدر" وطيشه" لحظة، ثم يكفّ عن النّحيب وينظر للحياة بلوم، ويأس، ووعيد) (الحياة والإرداة تتبادلان النّظر).

د.ميسون حنّا يروق لها في هذين العملين الإبداعيين الجديدين أن تخلق تجاوراً وتداخلان بين فني القصّة القصيرة والمسرحيّة، وان تنقل من أحدهما إلى الآخر قلق الحياة، وعدوى التّشكيل وفلسفة الرؤية، وألم التّجربة، إنّها باختصار تقول لنا: إنّها الحياة، وهذا ما أعرفه عنها، فماذا تعرفون أنتم عنها؟

الإحالات:

1- د.ميسون حنّا: مطاردة النمال، مجموعة قصصيّة، عمان، الأردن، 2017، ص7.

2- نفسه:ص2.

3- نفسه:ص9.

4- د.ميسون حنّا:الرّباط الأزليّ، مسرحية، ط1، عمان، الأردن، 2017، ص104.

5- نفسه:ص105.

جلال زنكابادي

هلمّ يا كفافيس

رهن براثن الصلبان المعقوفة

يعلـــــو

صـــــمتي برج إيفل

على ساحل شعري

وتترامى الآفاق

مرايا حبلى

فاصعد يا إمبراطورنا

وانتظر البرابرة

على مهل

عساهم.....

ولعلّك تظل حتى الأبد

راحلاً ماوراء مراياي الظمأى

إلى إيثاكا روحي-البركان...

تموز 2005 القاهرة

ذات حلم مع الديدان

ذات حلم

رأيتني ميتاً

أوقفتني دودة تسألني:

-ألاتعرفني؟

-كلاّ،من أنت؟

-كليوباترا

والآن ألاتعرف الدودة التي تلاحقني؟

-أنطونيو طبعاً

-كلاّ،إسكندر المقدوني

فكيف ستعرف كتلة الديدان التي يدحرجها أبو جعل؟!

-إن لم أعرفها؛ فأنا نغل ابن نغل

فهي ياملكتي طليعة أرومتي

عبقرية في خيانتي

عابدة الموتى والأجانب والمغتربين!

أليس كذلك؟

-بلى، ولكن كيف عرفت؟!

***

وإذا بي أستفيق في كهف غربتي

أيلول 2006 القاهرة

وا...بغداداه!

".....

نـسـيـم صـبـا بـغـد ادَ

بعد خـ رابـــــــــــــــها

تمنّيتُ لـــــــــو كانت

تمـــرُّ على قـ بـ ر ي" (1)

ويـــــــلاه

يا ويـــــــــــلاه

يا مليونَ جثّـةٍ في جثّـةٍ مبقورةِ السّـماء

إذْ يحتـــــــــــــربُ

تاريخُكِ/هواؤكِ/عويلُكِ

جثثاً رؤوساً جثثاً رؤوساً

بلا بلا بلا بلا

رؤوس جثث جثث رؤوس **(2)**

مـــادامـــــــــــت

تحـتـــــــــــــربُ

العمائمُ / الحشراتُ / الذئابُ

الصحفُ / اللحى / الشّاشاتُ

المآذنُ / الخفافيشُ / الرّاياتُ

المحاصصاتُ / القبابُ / الجراحُ

الأهواءُ / الضباعُ / الولولاتُ

الأحاسيسُ / الأسنانُ / الأصواتُ

العيونُ / الأزقّـةُ / الأراجيزُ

الألوانُ / المتاريسُ / الأنفاسُ

الحدائقُ / الظلالُ / العبراتُ

النوافذُ / المآتمُ / المراحيضُ

السّـرابيلُ / السّـفاراتُ / الأجنّـةُ

الغنائمُ / المقابرُ / الكروموسوماتُ

والجثثُ.....إلـــــخ.....

حـــتّـــــى

تتبرّجَ الحـــرابُ / الطّـلقاتُ / الصّـواريخُ

وتحتفلَ أنخابُ البساطيلِ / المراثي / الغربانِ

بجثّـةِ بـغـداد

(مزّةِ) مهرّجيّ الطوائف

/ الجواسيس / الشعارير

فحتّـى مَ تظلُّ شعوبٌ ترقصُ لحواتها الأوباش

وتظلُّ على قيدِ الموتِ

ج ث ث اً

رؤوســـــــــاً بلا جـــثـــــــــث

ر ؤ و س ؟!

وأنتم يا من هنـــاك

يـــا فردوسي / روستافيلّي / هوميروس**(3)**

أما زلتم لاتشهدون

عـويـــــلي

و ا بـ غـ د ا د ا ه ؟ !

1- من مرثيّـة بغداد الشهيرة لسعدي الشيرازي(ت1293):

"حبســـتُ بجفنيّ المدامعَ لاتجري فلمّـا طغى الماءُ استطالَ على السّكرِ"

2- وجبَ عليّ رسم هذه العبارات بصورتيّ (X) و(دائرة) مركزهما (بلا) لكنني أجّلت هذا الترف السخيف!

3- الفردوسي وهوميروس معروفان،أمّـا شوتا روستافيلّي فهو أقدم شاعر كَرجستاني ومن أعظم شعراء الشرق والعالم،وملحمته (الفارس في إهاب النمر) مترجمة إلى العديد من لغات العالم.

أيلول2006/القاهرة

لمى اللّحام

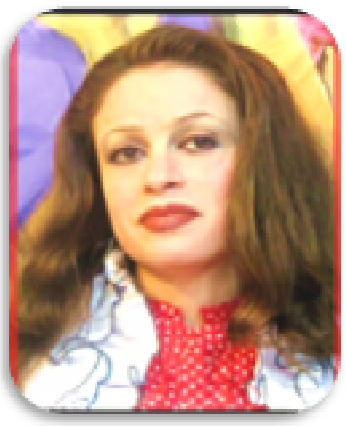

نوستالجيا

موسيقى الجاز صاخبة
صوتُك دافئ
لوحاتُك تستأذن للخروج من عيني
عبثاً
و محلٌ انتهاءُ متلازماتِ الأصابع
جذلى ألامس مياه الحياة الأبدية
هبتُك
يا كل الأصدقاء!
كيف تحرق وراءك غابات الزمن
بتذكرة سفر!
حالمون نحن
حين ينام الناس
يسافر الليل بنا على صهوة صرخاتِ أحلامه!
أتأملني في صورٍ بهتت الجميع، بعدستك
لا لأعاين نخب طلعتي
بل لأتجرع بُن غيابك
ثمت أماكن تجذب معصميَّ الى روقها
لتسرب الى عيني تماثيلَ رحيلك
ثم تُقَبّل..
موسيقى الجاز مُغرضة
أقول لن أسمح بتسللها مجدداً ليلاً
لا تطيب غفوة الجفن إلا على سهوتها!
مطربو العرب الذين هديتك إليهم..
متحالفون ضدي!
سجائرك تشبُ جذوتها في دمي
سأبقى و ستبقى
أصدقاء
و البقاء للأعمدة السامقة
ما بقت الأرضُ تقف؛ على و للنقاء.

2015/5/23م

فواز قادري

ميت قلب هذا العالم

ميّت قلب هذا العالم
وأغانيه سعال عجوز يحتضر
ليست نبضاً هذه الطقطقة التي نسمع
صوت دبّابة تمشي على الرؤوس
ليس جسداً حيّاً يتمطّى
هذا كشم في هواء الأرواح
فتحه هدير طائرات مغيرة.

00

ميّت قلب هذا العالم
لا تغشّكم عطوره الفائحة
مجرّد زهور تلفظ الأنفاس.

00

ميّت وهذا الشّرر المتقادح
تحريض كهربائيّ فاشل
لقلب دمية من الأسمنت!.

00

لم أغسل يدي منه
قلب هذا العالم الميّت
أمطرُ بأقصى ما تستطيع غيومي
أنكش تراب شجرة ورد ناشفة
أردم هاويات سحيقة في النفوس
أحرّك الذي لا تحرّكه الريح
ألوّن الليالي بالشفق
وأطبطب على كتف وطن يبكي.

00

ميّت قلب هذا العالم
يقول الفتى:
فلا تتعب حالك "عمّو"
ها أنا بقدم واحدة
أخطو إلى حرّية الجهات
عكّازي أمل ثابت الجَنان
يداي تتحركان على وقع أحلامي
وعيناي تريان عميق التيه
ميّت قلب هذا العالم
وقلبي يدقّ هل تسمع يا عم؟
يدقّ لا تقدر الهزيمة عليه
أجمّع قدري بقبضة واحدة
وأضرب عاسي الصخر حتى يلين.

00

ميّت قلب هذا العالم
في كل بيت حكايات يقطر دمها
في كلّ حارة
أشلاء تغرّبت عن أجسادها
دم البلاد بأقصى فصاحته
وتأتأة رذيلة ما يسمع الشهداء.
ميّت قلب هذا العالم
وأناعاتب عليك أيّها الصباح
فلا تتقبّل العزاء
أين أغانيك خفيفة الروح
لا أثر لأياديك البلسميّة على فتوقنا
طفل يرتّق يُتمه بضحكة عريضة
ولا انكسار في عينيه
أرملة مشغولة بتكفين أولادها
وبخبز ماتبقّى من الصغار
نحتاجك أيّها الصباح
لا عطرلكفي مآتمنا الكثيرة
الموت صاحب عصا طويلة
وأزهارك غافلة عن الأرواح.

أماني خليل

قبُلة مَسكُوبةَ

حَصاد

عليّ أن أزيح تِلكَ الجُثَثَ
وأمضي في الطَريق
أجمَع رمَاد اليوم
من طُرقَات المَدِينة البائِسة
لَيتَني أحصُد سنَابل القَمح
قاسية القَلبُ أنا مِثل الجَميع

قُرصان

بحّاري لا يَعُود أبدًا
أبدَلوه بِقُرصان بعَينٍ واحِدة
لكن أصابِعه حين اندَسّت في شعرِي؛
كَشفتُ سِرهُ!

هَزيمَة

اكتَمَلَ القمر الليلة
لأهَزِم استدارات البرتقال
فَيهزِمني الكافور الصامد
وسط بُحور الأسفَلت

شعر: مؤيد طيب

ترجم من الكردية: ماجد الحيدر

البـردُ غلـبني

وجهُها ربيعٌ

صدرُها ومَقبلُها الصيفُ

شَعرُها الخريفُ

وقلبُها شتاء قارسٌ مُثلِج.

تلكَ كانت سنةً من عمري

سنةً ثقيلة

كل السنين التي تلت

صرنَ شتاء.

وصرتُ أنا

مسافراً غلبهُ الزمهريرُ

صرتُ صخرةً أخفاها الثلج

تراباً ميتاً

لم ترفع نرجسةٌ

فيَّ يوماً رأسَها

وما حلقَتْ سنونوةٌ

يوماً فوق رأسي

...

انت تَيهورُ ثلجٍ

انهارَ على رأسي

أضأتُ أيامكِ كلَّها

ولم تنيري شبراً أمام أقدامي

أحرقتُ لياليكِ كلّها

وما دفّأتِ كفي وأصابعي

البردُ البردُ غلبني

لكنكِ ما شعرت مرةً

قيد شعرة

دهوك/ 2016

منير محمّد خلف

زجاج البيان

أَقلبي

وقلبُكِ ذا ينزفان

على مطرٍ

من زجاج البيانِ ؟

وأيّ الفريقين

ينأى بصوتي ؟

سأبقى

طوال الحياة أراني

إذا كنتُ

أقطفُ راءَ الفراتِ

فبالحرف

أبني حنينَ المكانِ

وأحلى الحروف

كميمك يسمو

ويشعلُ فيّ

بكاءَ الثواني

لأن الحياة القصيرةَ

شيءٌ مخيفٌ،

يهدّ المدى في العيان

فيا رحمة

من غيوم التمنّي

خذيني بصمتٍ

وهاتي بياني

فأنت الهواء الرقيق

بقربي

وأنت الندى

في قصور المعاني.

سيامند شيخي

حالــة

تحصدني الأيام

دون النظر

إلى خلوي من العاصفة

وامتلائي بحنان أمي.

النار

الوحيد

غير القادر على الاختباء

رقصتك

لا تحتاج إلى أغاني عادلو الشعبية

ولا إلى سيمفونيات بتهوفن

لأنك تجرؤ على الرقص في الأفراح

والأتراح

وحدك

القاصي

والداني

في السجل القضائي.

ضيافــة

لجوؤك المتكرر

إلى حجرتي

دون سابق إنذار

يحاصرني

فيما تبقى من أشلائي

دون أدنى محاولة للهروب.

-……-

أجزاؤك المغادرة من جسدي

تعرّي كلَّ ما كنت أملكه من جرأة

في لملمة بقاياك المبعثرة

في بيادري الرافضة للّجوء.

عماد يوسف

حكاية صورة

زهرة المشمش

للربيع جدوى وخصوصية وعذوبة

تلهم مداد الشعراء

وتحفز الكتاب على الإبداع والخوض في هذا الفصل

الذي يتغنى باخضراره،

ونسائمه، وزهوره، وفراشاته، والندى على محيا الربيع

وشيٌّ من جمال آخر

أوشك الربيع أن يتفتح على كل ناصية ومنعطف

وها هي شجيرة المشمش

تطرح ورودها كمصابيح تشع رونقاً وصفاءً

طالما وقفت أمام زهر اللوز

وتأملته بعين شاعرة، وقريحة معطاءة

وروح تائقة أن تعانق فيه

هذا الإبداع الرباني الآسر

أشبه ما تكون عليه هذه الزهرة

بوجه صبية حسناء

تفتحت بنعومة وعذوبة قلَّ مثيلها

ولها رونق وبهاء يخيل للناظر أنها جناح فراشة

أو هفهفة نسمة خامرها لون زهري مشوب ببياض هش آسر خلاب

شجرة المشمس قصيدة أعيشها طالما زهورها تتمرجح

على أغصان جرداء ومن ثم تؤول إلى التلاشي ليحل الاخضار

ومن ثم ثمرات المشمش التي لا تقل ضياء من زهرها

اللهم امنحنا ربيع القلوب كما وهبتنا هذا الربيع الممتد..

قصائدُ تعشقُ الشمسَ

قصائد كوردية من ترجمة
الشاعر حسن سليفاني

مسعود خلف

* من مواليد قامشلو، قرية خزنة 1981، يكتب الشعر منذ 2002 وقد صدر له:

- كلام قبل الموت –شعر – دار نشر تَفن– Tevin-استانبول 2006

- التهاب الحدود البعيدة –شعر – من منشورات اتحاد الأدباء الكورد في دهوك 2007.

- ديوان شعري باسم (قلعة ايردي) منشورات جمعية الشعراء الشباب-دهوك-2010

* يشرف على الموقع الالكتروني لاتحاد الأدباء الكرد في دهوك www.duhokwriters.com

يعمل في راديو دهوك،ويقدم برنامجاً أدبياً... عضو اتحاد الأدباء الكورد – دهوك... عضو نقابة صحفيي كوردستان-دهوك... عضو هيئة التحرير في مجلة نوبون الفصلية.

عشرة أحلام

1

كان ما يزال يشم الورود

حينما تلقى صفعة على خدّه

عندما قال: أنا شاعر

ما عاد المطر من يومها

يسقط .

2

قبل أن يرفع يده

ويقول (أنا)

سفّروه عبر الحدود

منذ ذلك اليوم

لم تعد أمّه الى البيت.

3

نسى أن يهديها وردة

في العيد

هي أيضا لم تسأله :

ماذا فعلت بقلبك؟

ومضت .

4

كان يتمنى الموت قبل أن يصحو

أيقظته العصافير وقالت له:

إنّك لم تودّع الجبال بعد!!

5

كذئب جائع

أستيقظ تلك اللّيلة

أستجمع أحاسيس حبيبته

وخبّأها في قمّة تلّ

منذ تلك الليلة

يعيش بلا قلب.

6

أستجمع آماله وقال:

الثالثة فارغة

الخامسة فارغة

الأولى والثانية والرابعة أيضا فارغات

وهاهو الخاتم معي

منذ ذلك.

7

كان الوقت قد حان

لإيقاظ الموتى في رأسك

وجمع الشهداء الذين لا قبور لهم

كي يزرعوا وردة من جديد

وليعلنوا يوم موتهم من جديد .

8

أقبلت حبيبته

كانت الساعة تضحك

فتح صفحة جديدة

حدّق في عينيها ثانية

وكتب كلمة:

م و ت

9

لم يبق بلا جواب

من جديد فاحت رائحة الشواء

ذبح الأحلام الثمانية الأخرى

وبهدوء بدأ بحفر قبره

10

كانت العين اليمنى تضحك

والعين اليسرى تبكي

ويده اليمنى كانت تأكل اليسرى

أفاق من النوم

وجد أنّه ما يزال بلا دولة !!

غمكين مراد

لا صـــدى

جَوعى
صدىً خافتٌ
عابرٌ على وجَعِنا
الهواءُ جدارٌ
الكلامُ جدارٌ
الخوفُ جدارٌ
السماءُ جدارٌ
الأرضُ جدارٌ
.....
لكــن
لا صدى
لصُراخٍ يحملُ الكونَ
لعويلٍ ينتحرُ.
للجدرانِ أصابعِ القاتلِ على رقبةِ الحياةِ
فلتهنأ الجُثةُ بدفنها
ولتبقى الحياةُ تتفيأ الخوفَ
بصمتٍ يدوم.
طويلٌ طويـــــــل
انتظاري في المتاهة
طويـــــــــــلةٌ
هُدنتي مع الموت
كلُّ لحظاتي:
على حافة الهاويةِ تقفُ.
انتظاري
حبلُ سيركٍ يتنبأُ السقوطَ.
آهاتي
وجعُ أمٍ تغزلُ أكفانَ أبنائها الشهداءِ.
أنا في برهتي
جثةٌ تترنحُ بالروحِ دونَ هُدى.
طويلٌ طويـــــــل
نَفَسُ الانعتاقِ لانتظارٍ يطول
طويلٌ طويـــــــل
هَوسُ البقاءِ في الصمتِ.
لا لا
لم تكنْ الحياةُ مزحةً إذاً
لم تكنْ أثرَ خطيئة
كانت حُبلى
بصرخات آثرٍ
بنواعيرِ دمٍ تفورُ.
لا لا
لم أكنْ وحيداً
أكتمُ السرَّ
لم نكنْ إلّا في الوحدةِ
ريْثَ تُناجي المجهولَ
مُدّي يديكِ
يا آلهةَ الخلاصِ
قودي الانتظارَ إلى الوصولِ
ولتبقَ
جملتي الأخيرةُ
طويلـــــــــــــةً
تُهرولُ إليها أحلامُنا
تُعرقِلها كوابيسٌ كُثر
تتكاثرُ في طريقها
حواجزٌ
سدُودٌ
حتى .....النقطة.
عندها
وقبلها
تتهادى بينَ شقوقِ الحياة
الكلمةُ:
مُختزلةٌ
مُترجمةٌ
حيثُ كلُّ ألمٍ يدورُ
حيثُ كلُّ خيبةٍ تعودُ
في الطريق الطويـــــلِ
مُدَّ يدكَ يا خلاصُ
واتركنا سائرين وراءَ ظِلالنا
هي مشيئةُ القيْدِ في الابتكار
هي حلمُ الوضيعِ في الخيانةِ
هو حليبُ رضيعٍ ولجَ الحياةَ
قفزاً.
طويـــــــــــــــلٌ
حبلُ سُرَّتِنا في الظلِّ
يقصُر
ثم يطــولُ
تاركاً انعكاسَ الحياة يحملنا.
طويلٌ طويـــــــــــل
خيطُ السوطِ على الروح
طريقُ الدخانِ في رحلتهِ الأخيرة
كلمةُ بقائنا حالمين.
أنا دخانُ سيجارتي
أُزيحُ في الفراغِ الهواءَ
كلِّي ساحةُ حربٍ
داخلي يُصارعُ
خارجي يُهادنُ
كلِّي صبرُ الألمِ في أسطورتهِ
كليِّ يُزيح في الحياةِ
الحياةَ،
وتبقى الفضيحةُ مرآةً
لحبرِ العدم.
لا صدى
عابرٌ
أو نهايةُ
قدرٌ
طويـــــــــــــــلٌ
هروبنا في النجاةِ.
طويـــــــــــــــلٌ
صمتنا لأجوبة الانتظارِ.
مُمَدّينَ على فراشِ الراحةِ
تقولونَ الصبرَ
تقولونَ الأملَ،
أسألُ:
أفي دادائيةِ الموتِ
ثقبُ باربوس؟
هل أطفالنا ظِلالٌ
لبيان السورياليةِ؟
هي عذاباتُ الحجرِ
في نحتهِ للصوت،
هي مناحةُ القرار دون صدى.
طويلٌ طويـــــــــــــــلٌ
ليلنا في مجونِ الكلامِ
نهارُنا في عَربَدةِ الموتِ.
لا منلصَ
من البقاء حيثُ نحْنُ.
لا منلصَ
من خروج عضوٍ
وبقاءِ آخرَ،
هو شِتاتُ الجسدِ الواحدِ،
هو اغتيالُ الوقوفِ.
طويلٌ طويـــــــــــــــلٌ
نهرُ دمعِنا
لئلا يبقى الموتُ وحيداً
لئلا يبقى النومُ دونَ غناءِ
صرخاتُنا،
قصيرٌ طريقُ الموتِ إلينا،
عند قدومهِ
لئلا تتسخَ قدماه
نفرُشُ لمهرجانهِ
البساطَ الأحمرَ.
طويلٌ طويـــــــــــــــلٌ
نسيانُنا
لموتى الأمسِ
لموتى اليومِ
لقبرنا،
كي لا ننسى الحلمَ
في الخلاص.
لا صدى
الآن أخيراً:
أصمتُ،
وأتنهدُ لأسمعَ الموتَ
رعشةَ حس فيكم
على الورقِ!!.

عبدالرحيم الماسخ

مُخالصة

قلبي هُنا غرستْهُ أمّي

مِن حنانِها رضعْ

فنما، فطابَ في يدَيْ دمهِ الشفاءُ و الوجعْ

آهٍ عرفتُ أنّ لي أهلاً و ملعَبا

وغربةً يُطلُّ رأسُها الذي اختبأ

مِن غمرة السُورِ البعيدِ نبلةً فمن تصيدُ

ظُلمةً فهلْ تبيدُ كوكبا ؟

طلعتْ

فصاحَ: اللهَ، صامتاً بعينهِ يصيحُ

القلبُ مِنّي في يديهِ تبوحُ مِرآةُ الهزائمِ بالفتوح

هنا جُنوحُ الشمس

عرسُ الأمسِ

قادمُ الوضوحِ يُتيحُ فرصَة المحبّةِ و الفداءِ

يُريحُ من رحلوا بمَن قدِموا على بُسَطِ الهواءِ

أنا و أنتِ هنا : المحبّةُ و الغِنى

وكذلك الأطفالُ ورْدٌ في النسيمِ يبلُّ بالعطرِ الضنى

أنتِ الضيرُ

الحُرن يخلُفهُ السرورُ

تدرُّجُ النفَسِ المُغادرِ حين تحبسهُ الصدورُ

الذكرياتُ

الصحوُ و النومُ

الولادةُ و المماتُ

ومَن يُحاربُ، من يثورُ

لِحضنكِ النغَمِيّ ما نظمَ العبيرُ

لوجِهكِ الألقيّ أقواسُ الفضاءِ

وراءَ فرحتِها تطيرُ

لقلبكِ الخّفاقِ ما تركَ التوحّدُ للشِقاقِ

لكيْ بلا قدمٍ يسيرُ

تكلّمي، قوليْ فإنيَ سامعُ

ودمي لأقمارِ الحديثِ مطالِعُ

عظمَتْ على روحي الحياةُ، وكلّما

أعطيتُها طلبتْ فكيف أمانعُ ؟

أنا شاعرٌ أحببتُ بين كراهةٍ

وأقمتُ والدنيا رُؤى تتصارعُ

لمّا رأيتُك في حياتي بسمةً

من كلِّ عين للعُلا تتدافعُ .

عبــور

بعد عامٍ مَرَّ عام

هكذا الأيامُ ، فالعمرُ شريدُ الخطو ،

والدربُ هُلام

قمرٌ يهمسُ أم شمسٌ تغنّي؟

لم أعدْ أبصِرُ ..

فالصُحْبةُ في ألفتِها تعتصِرُ الأيامَ،

يسري الظمأُ الأصفرُ :

طيرًا تخطفُ الأبصارَ مِنّي !

- كنتُ

- ما كنتَ، أنا الكائنُ، والنهرُ دمي

أشربُ؟

- لا تشربْ، وملْ صوبَ انسيال الحلُمِ

- النومُ بعيدٌ

والصحارى: شجراتُ الريح

- مِلْ

- ملتُ، هوتْ صفحةُ ثلج، ودمٌ سال

محا معزوفةً من وترٍ

- كنتُ مُحِبًّا وحبيبا

- لا تقلْ: كنتُ، أنا الكائنُ .. قال الليلُ

غاصتْ خطوتي .. وانطبقَ البحرُ

وعامٌ بعده عامٌ، كذا الأيامُ مرّتْ

عدتُ – مَن ؟ - ماضٍ

أقامَ البحرُ كهفا رصَدا،

والموجُ فرسانٌ

أثاروا زبَدا

ما خِفتُ،غُصتُ

استيقظ اللؤلؤ في كفّي

وللبحر هديرٌ، نفشتْ في عُشبهِ النارُ

ليغشاه العُبور!

نصر محمد

عذراً سيدي

عذرا سيدي

لاتشمئز مني

قسما كنت انظف

كان لي مأوى

كنت انام بسرير

ولحاف

كان لي دمية

صغيرة

وكنت اسرح

شعرها

عذرا سيدي

لا تمروا دون ان

تخجلوا مني

وتغضوا البصر

عن حرمة تشردي

حروبكم شردتني

فسحقا لكم سيدي

قسما كنت انظف

وكان لي مأوى

قبل ان تتدخلوا

وتقتلوا أمي وابي!! ...

....

من قال:

من قال:

ان لدى الفقر

سرير من ورد

واهم هو

هل ذاق مرارة

الشتاء

وبرودة الذكريات

دروبنا

موشاة بالحزن

ثلجية الملامح

تدفعنا

لواد سحيق

نبحث فيه عن

ذاتنا الضائعة!! ...

علي عبد الله كولو

بوابة الحرية

في أقبية السجون

المكتظة بالسواد والسواد

حيث تصير الحياة معدومة

والرأفة معدومة

ولا يبقى إلا وجه السجان

فمرحباً بك أيها السجن

ومرحباً بك أيها السجان

بجبروتك وقساوتك

بظلمك ومسباتك

فأضرب بسوطك اللعين أضرب

فأني أرى فيه باب حريتي وخلاصي

ففي كل مرةٍ تضربني فيها أكثر

أزداد قوةً وإرادة

فإن ظننت أيها السجان

بأنك شوهت ظهري بسوطك

فأنا أظن ..

لا بل أؤكد

بأنك ما رسمت على ظهري

إلا خارطة وطني

2006/3/8

بيار روباري

آذار

في كل أذار يُسال دم الكرد بأنهار

على يد العُرب والفرس والترك الأشرار

واتخذوا من السادس عشر يوماً لذبح الكرد كلما العام دار

كما تذبح الزبائح صباح عيد الأضحى بالأصفار

فإجرام هؤلاء بحق الكرد لا حدود له فهو حبلٌ جرار

فمن هدم قلعة دمدم على أهلها وكأنه قضاءٌ لا بقرار

ومدينة ديرسم التي جعلوها مدفناً لآلاف الأسر والأسرار

مروراً بمأساة مهاباد وقاضيها ثم حلبجة والأخطر منها الأنفال

وليس بعيداً مذبحة شنكال وقتل آلاف الأبرياء منهم في عز النهار

وأخذ النساء سبية بهدف البيع والإيجار

وهل من داعي لأن أذكركم بكوباني وعفرين التي تقاوم بإصرار

***

أيها الكرد!

إلى متى ستلهثون خلف المجرمين كالبقر؟؟

أفلا تعقلون وتعودون إلى رشدكم،

وتكفون عن هذا الحمق والضرر؟؟

فالقدر ما يصنعه المرء بيده لنفسه أجل

والمجد دربٌ طويلٌ شائك الشعب كبيوت الشعر

يحتاج المرء الى جهدٍ ومهارة كي يناله وبه يظفر ...

.....يظفر.

2018- 03 - 16

إثبتوا في أرضكم

أيها العفرينيون إثبتوا في أرضكم

ولا ترحلوا عن دياركم

حتى لو الإله طلب ذلك منكم

الرحيل يعني ضياعكم وضياع عفرينكم

**

أيها العفرينيون الكرام

الرحيل عن عفرين حرام

لذا تمسكوا بها بالأسنان والأضافر والأنام

فأي رحيل عنها يعني نهاية الأحلام

وسيتم تعريبها وتتريكها دون كلام

فالوطن أمٌ والأم أهم من كل عنوان ومقام

وهي تعلو على كالدين وجميع الحسابات والأرقام

**

يا أبناء عفرين

عودوا إلى بيوتكم وقراكم ولا تستمعوا للمضللين

من سياسين كرد كذابين ودجالين

الذين يتاجرون بمأساتكم

كما تاجر ويتاجر الأتراك بالدين

لا شك كليهما ملعونين الى يوم الدين

إبقوا في دياركم كي تبقى عفرين كردية

كما كانت منذ زمن الميديين

**

يا أهلي وأحبتي في عفرين

بقاءكم ي دياركم يعني فشل مخطط المحتلين

البرابرة الأتراك ومَن معهم مِن الخونة والمتعاونين

الذين يسعون لتغير هوية مدينة الزيتون والياسمين

وجعلها حظيرة للأشرار والقتلة المجرمين الحاقدين.

2018- 03 - 26

ريبر هبون و بنار كوباني

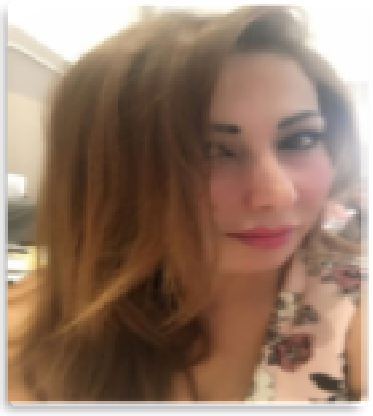

<<< جوقات كوبانية >>>

من وحي الوداع (1)

ريبر هبون:

فيك وجه الحياة

طفولتها

نقاوتها

لوعتها في جبين القلوب

ونشوة اللهث وراء الحلم

فضاء من الفرح اللذيذ أذت

وهمسات المطر على ظهر قوس قزح

بنار كوباني:

فيك أجد لهفاتي الغاربة

تنساب من لؤلؤتي عينيك بلا حذر ..

تهادن قدود القلب المكتحل

بالذهول الهارب من قطوب القدر ...

لتطوق مدائن الحلم

بشريط سلوفاني سرمدي العمر..

فيك اكتنف بكرتي

ومن همساتك الهاتنة من دلي أمل منتظر

أنصبك سلطان الكون

وقرين الصباحات والسهر

ريبر هبون:

أنصبك شجرة بلوط

على ارتفاع شاهق في مخيلتي .

وأستحضرك في نفسي

كلما شعرت برغبة في الاتحاد بك ..

اني موغل فيك

ومنساب كخطوط قلم الشفاه على شفتيك

أحفر فيك ذاكرة

وتراث ورقم عليه ميراث البطولات والعاشقين ..

وكل الجبابرة الخالدين

بنار كوباني:

انت يا(نيتون) بحَّاري الأعظم،

تشكم لجام العباب عبثاً،

لتدلق أمانك الممزوج بالسكينة على سطوحي ,

وإن خطت حروفك

على مبسمي الطري الرطب .

حطت نوارس الفراديس

على شاطئي المضطرب ,

لتلتقط حزني المبعثر كأجذاذ سحب,

وتغدق عليي نوراً متقداً ,

بريق شهب

بين الشفة والشفة

أختزل لك أعماراً طويلة من الشغف

الهادر بلا هوادة ,

وبآياتك أسمو إلى ما لم يرتقي اليه

أنسي بين الأنام ,

ملاكي الطاهر ,

أحبك كما لم يعرف الحب محباً بمستوى انبهاري بك

ريبر هبون:

انك المغشية عليها من حمى اللهث خلف الاحتضار

لاتجعلني أنتقل إلى رحمة الصخور السوداء ..

ودعيني بطيئاً

أورقي من أشجار مشاعرك قصائد لا تندثر

فيك روح السكارى ان طاش فيهم صوان الطعن حتى الجنون

فارفقي بشتائل الجوري التي أودعتها على صدرك ذات جنون

بنار كوباني:

قارص هو الوداع

أيها الممتهن لوضع النهايات .

صمتي سيكون ملاذي أمام هزيمتي وفواجعي ..

لست من امارس عربدة الحروف

في خبب المنعطفات ،

اتركني استجدي غبار طالعي الأحمق،

عله يدثرني بهرم منفاي من بعدك ..

لا تستأنف بي مطاردة المخذول ،

في ظلال مذعورة الأجل

أنا كنت وسأبقى زلال الشرود المغفي

تحت هياج القبل

أستودعك روحي تطوف بك

كل لياليك القادمة وإن أبعدتنا الأقدار ..

فكن أهلاً لحب لن ينقضي وإن انقضت عدتنا معاً

موجع أن يكون ذاك الموطن الشعري

،هو مسكن ينصب لنا فخاخاً من الخطأ الصرفي ،

عند كل مرة نكسر بها ذواتنا المعكوسة

على مرايا الضد من كل ما كان بارقاً بيننا ،

وبات مرخيا فوق ركح الخمود

مخمورة هذي الأدمع

وهي تنسكب على سراب مأهول

بمديات تجز نقاء العبر قبل الهطول

هي خيبتي أنا الطاعنة في الوضوح الوضاء،

انا الأعتق بالوفاء من لهيب أجرام تترك كبد الفضاء...

أنا من تطوي وتسدل

تلابيب الاحتمال وتطرز أمزجة العشاق

بشرانق الولاء ،

أنا من أكنس ردوم التورط من فسيح الخلاء

وأعصف بكل ما بي سفْراً لطوع روحك الجوفاء

أنا هنا إما الفعل والفاعل وكل الشيء أو اللاشيء من أدق شيء

أنا العفيفة حد العربدة

أنا الشفيفة حد الغبن

أنا السامية حد الفوضى

الطاهرة حد اللعنة

الحاضرة حد التلاشي والغياب

فكن أهلاً لحب غامر بالاخلاص والجنون

أو لا تكون ولا أكون..

..... يتبـــــــــــع .....

بدرية دورسن

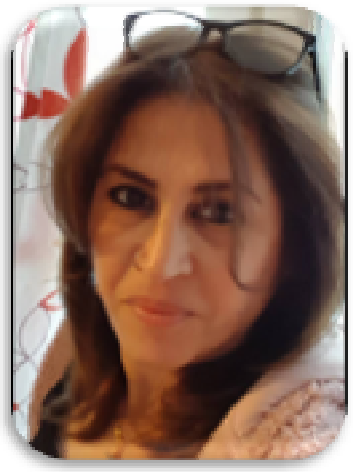

ما وراء هاتين العينين

مدينة عشق

ملاه للحب

هناك اجل هناك.....!

من يسرع بخطاه للقياي

اقفل ابواب النسيان

يركض...يسرع

يلهث لكثرة لوعته بهواي

ماوراء هاتين العينين

قصة ألم كانت....

لايستطيع أحد قرائتها..

وغير مسموح لأي شخص الاقتراب منها

قصة فرح قد باتت على الأبواب

مابين هاتين العينين وعيني

ما كان في الماضي،

ولن يكون في الغد له مثيل!!

ليال عذرية

باقات نرجس برية

رائحة زهور عسلية

وقبلات قد تكون المفتاح لفك شفرة يهودية

ما بين تلك العينين وعيني

قد.... بل لا بد ان تبدأ الايام الوردية

أنس عبدالله

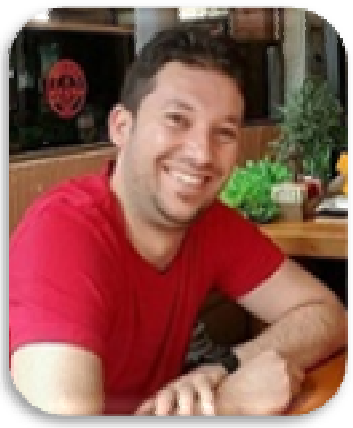

** قِطعُ النار **

النهر في خجلٍ صامت..

يهاتف الموتى..

ويتمتم بحزنٍ متوجع ضعيف..

من خمر الدماء..

آثار السياط..

حملت أطرافها بالرصاص و الدم..

صوب النوافذ..

تسرب الخريف و الشتاء..

على شكل رموزٍ وطلاسم..

و في داخلنا..

أسىً مكتوماً..

و ألماً دفيناً..

نمدُ الطرف نحو السماء..

و بصوتٍ دَمُوعٍ..

نُحاكي عريش الياسمين و القرنفل..

و أسراب اليمام..

ليُنسينا مرارة الحنق..

الضِفاف في حسرات..

جبن عريق..

موت الغلمان..

عبثاً ساقِطاً..

يترنحون في تلك البقاع..

توزيع الأنصبة..

تظنون أنفسكم سادة..

وأنتم لصوص.. !

إلا .. قلوب الغيارى..

و البسطاء..

نريد إصغاءً..

حتى لو بنصف إنتباه..

الأرض في غرابة..

الغضب في إحتراق..

فوربك جِثياً..

نحو الخراب والضياع..

أنتم ماضون..

بين ركن ضيق..

مزقتم عُذرية الأخوة..

كِقطع الزجاج المتناثرة..

بين الدماء..

سطرتم شراً مجسداً..

أغلقتم الأبواب كلها..

حتى خيم الحزن..

كخيوط العنكبوت..

بين ظلام كثيف..

عقب الزلزال..

لا تحملوا الشموع..

لا فائدة من دقائق الصمت..

لاتُبعثروا الورود..

في أخر الطريق..

فقط تقاسموا العار بينكم..

ويح الأخوة..

ستبكون طويلاً..

و الأعداء يقهقهون سُخرية..

تلعنكم المنارات الجريحة..

و جدران المساجد..

حتى أضواء الكنائس..

و بكاء الأمهات..

و يلعنكم الجبل..

و الأمس..

و اليوم..

السؤال يظل بلا جواب..

حول الأقنعة..

و عرق الخبث و التعاسة..

الأرض كالجمر المدفون..

تحت الرماد..

سُورُ المدينة يعانق المشتاق..

من بعيد..

لا عصافير تزقزق..

و لا عبير الياسمين..

الأرض في كربة العزاء..

يا لطف السماء..

ليكن التوفيق ظِل المدائن..

زهرة أحمد

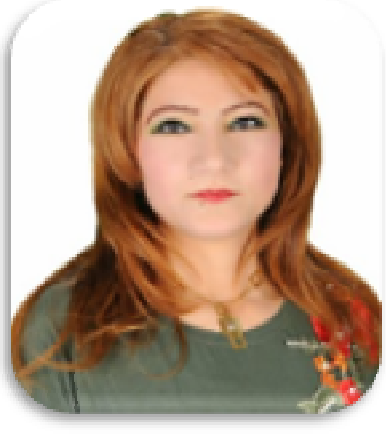

همسات الليل

في شتات الألم
صرخة تئن خجلاً
ترسم دموعاً غارقة
في الوجد
الليل قابع في ظل الشعر
يتيماً
يبوح بالحزن تاريخاً
ترانيم ثكلى تهمس للصباح
وجعاً حاضناً للاغتراب
نوافذ الشوق
مسافات تائهة
وخارطة جريحة للتشرد
وفي فصول الألم
قواف مكحلة بعيون مترددة
سواد الدمع
تبلل همسات الليل
وتجرح الذكريات
في أتون التاريخ
صمت السطور ملحمة
عتمة هالكة
وأراجيح من الضوء الجريح
على بقايا ظل تائه
عن قوافيه
في صفحات الدهر
رذاذ من ندى النرجس
ودهر من ملاحم الألم
لم يبق للصبح
إلا فسحة ظامئة
ورائحة ذكريات منسية
وتراتيل للغياب

برادوست الكمالي

عفرين

دنَّسوا ترابكِ غدراً
طردوا الكلَّ هجراً
جبال فيكِ قدْ هاجتْ
شموخُ العزّ مفتخراً
صباحُ الليلِ مكتئباً
نساء، رجال اتفقوا
وروا ترابكِ دماً
شبابُ الكردِ اعتصموا
كهوفٌ فيكِ منزلةً
ذكرى سنين يتقدوا
تاريخٌ فيكِ قد كُتبَ
شباب فيكِ يتقدوا
بوتين وترامب اتفقوا
شمالاً، ولا اعترفوا
ذبحوا الصبيَّةُ فجراً
وطفلاً منها قد كَبُرا
ضاعَ السلامُ مختفياً
بصمةُ عارٍ اكتسبوا
لا ماتْ اليوم شعباً
وكل زيتونةٍ لبوة
ولا ماتْ الغد فجراً
وكل الشجرات شموخاً
وعداً أن الغد ينتظرُ

رجالاً عاهدوا ووفوا
عفرينُ حماكِ الله مقتدراً
عقاباً اتاكِ الله متقياً
غداً ميعادنا حرباً
ثأراً لا صلحَ يتَّقدُ
بارينُ لا زالتْ تتكئُ
غصناً مقدساً يعلو
لنا الله مع الحق
حق لنا سننتصر
طفولةً فيكِ عذَّبوا
إلى الجنان ارسلوا
لكِ فيهم العطفُ
أنتِ خيرُ من عطفَ
عبيدُ الله قدْ ماتَ
صباحَ الموتِ مبتسماً
حنيفة الأم لا زالتْ
ترثي اباها منتصراً
عفرينُ لازالنا نعتذرُ
فغداً الوليدُ ينتصرُ
ينتصرُ، ينتصرُ

2018 / 03 / 21

بارين أحمد

رجل مغلق

في أي جرح ستخبىء ملح يديك
وأنت كدخان امرأة تمضي فارغاً
الريح ترتب أجنحة الوقت
وأنت لاشيء تساوم عليه غير الجسد الهزيل
وغرفة متساقطة تضم صرة من رماد الهديل.....
بعيدا تغني وبكل ما أوتيت من مسافة تغيب ..
كنا يا ورد كنجمتين في آخر الليل
نبعثر صدى الانبهار في مهب العناق
وحدك ستجلس قبالة زرقة الأفق
ولن يحضن رعشة الانتظار سوى حبر المكان .....
باتت المواعيد مؤجلة رغم ازدحام المكان ،،،.
ربما اليوم او في أواخر آذار ؛
سيحرق عظام قدميك الوداع ويدلف بأحمر قلبك على مياه السرير...
ربما غداً او في أواخر نيسان سأعلق على أوتار صمتك جدائل دمي....
فمن كنت تهواهم اصبحوا أعز ما يملكه الغرباء
أيها الموزع على خرز النساء:
لا قهوة ترتشف صراخ عينيك
ولا حبيبة تهوي بجسدها على وجهك الغريب !!؟؟.
أشعل الدمع واطفىء الشمع ..
ضع قليلاً من التبغ المعتق بين رئتيك.....
يا قادم من جليد الغربة
عيناك كوكبان من رحم الزحام
واصابعك شوارع تبكي ترانيم الهجران
من سينتظرك بقامة من لوز وحديقة من ألوان
اذكر حين ترتشف قهوتك
كانت الحلوى تبكي
وترسم موسيقاك على ألوانها المغبرة هناك.. هنااك !

2001

توظيف التاريخ الكردي في شعر جكرخوين

Rengvedana Dîroka Kurdî di Helbestên Cegerxwîn de

إبراهيم إبراهيم*

صدر عن دار Apec Tryck & Förlag AB في استوكهولم/السويد، كتاب جديد باللغة الكردية يحمل عنوان **توظيف التاريخ الكردي في شعر جكرخوين**.

(Rengvedana Dîroka Kurdî di Helbestên Cegerxwîn de) للباحث إبراهيم إبراهيم، وقد جاء الكتاب في 342 صفحة، تصميم الغلاف لقمان أحمد، المراجعة اللغوية محمد زكي محمد و هوشنك نزار نوح، وقد تضمن ملخص الكتاب ما يلي:

لا يقل الكرد في تاريخهم عن أقرانهم من شعوب الشرق الأوسط، فقد كانوا حاضرين في عصور التاريخ المختلفة القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وتفاوتت أوضاعهم السياسية، وانجازاتهم الثقافية من عصر لآخر.

تمكّنوا من تأسيس إمارات ودول، ودخلوا في صراعات مع القوى المتعددة في الشرق الأوسط، وكانت لهم إسهامات عديدة في التاريخ، ولاسيما خلال مراحل العصور الإسلامية، ولكن المؤرخين لم ينصفوهم، وبات تاريخهم عرضة للتزييف والتحوير.

ويعتبر جكرخوين أحد أبرز الشعراء الكرد في تاريخ الأدب الكردي المعاصر، أسهم في إغناء الساحة الثقافية الكردية، بمؤلفاته المتعددة في الأدب والتاريخ واللغة، واستطاع أن يثبت أنّه شاعر بارع في نقل مآسي شعبه وتاريخه إلى قصائد ذات موضوعات وطنية واجتماعية وانسانية، ليتغنى بها حتى العامة من الناس، لما تميز به من بساطة الألفاظ والكلمات، وصدق المشاعر وعمق المغزى وقوة التعبير عن المعاناة. والأهم من ذلك الكم الهائل من المعلومات والإشارات التاريخية التي تحتضنها قصائده بين ثناياها. ولذلك اخترنا شعره لدراسة كيفية توظيفه التاريخ الكردي في الشعر، وبيان العلاقة الوثيقة، وأشكال التكامل بينهما.

ويتألف البحث من:

- مدخل يتحدث عن سيرة الشاعر الشخصية والأدبية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشها، وأسهمت في صقل شخصيته، وأثّرت في ثقافته. كما يتناول طبيعة العلاقة بين الشعر والتاريخ وفق رؤى الفلاسفة والمؤرخين والشعراء.

- ثلاثة فصول تمّ في كل منها تناول لمحات من تاريخ الكرد خلال عصر تاريخي محدد (القديم، الوسيط، الحديث والمعاصر)، وصراعاتهم السياسية آنذاك، وبيان إسهاماتهم الحضارية. ثم عرض دراسة تحليلية لشعر جكرخوين، وبيان أسلوبه في توظيف ذلك التاريخ بأحداثه وشخصياته في الشعر.

ويبدو بوضوح أن جكرخوين حاول مراراً أن يستحضر الأحداث والشخصيات التاريخية للافتخار بالأمجاد والأسلاف. كما أراد أن يكون مؤرخاً ناقلاً للحدث، دون المساس بحقيقته ومجرياته، وكان يتقن توظيفه بحيث يغدو التاريخ والشعر كتلة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، ونجح في بناء علاقة متوازية ودقيقة بينهما، برشاقة، ولغة خصبة. واستطاع أن يولّد أفكاراً لا يستطيع النص التاريخي السردي القيام بذلك.

لمحة عن الكاتب إبراهيم إبراهيم:

- مواليد الحسكة 1971.
- ماجستير في اللغة والثقافة الكردية – جامعة ماردين 2016.
- دبلوم تخصص في الآثار - جامعة دمشق 1998.
- إجازة في التاريخ - جامعة دمشق 1997.
- مدرس لمادة التاريخ في ثانويات قامشلي في الفترة 2002-2013.
- عضو مؤسس في جمعية سوبارتو التي تعنى بالتاريخ والتراث الكردي، وترأسها لعامين متتاليين 2012 – 2013.
- يحضر الآن 2018 الدكتوراة في اللغة والثقافة الكردية في جامعة دجلة – ديار بكر.

العلامة علي القاسمي يصدر "مشاعل على الطريق"

أبدع وأروع القصص الأمريكية الحديثة

تغطية: د.سناء الشعلان/ الأردن

صدر عن المركز الثقافي العربي في بيروت والدار البيضاء كتاب جديد للعلامة الدكتور علي القاسمي بعنوان "مشاعل على الطريق: أبدع وأروع القصص الأمريكية الحديثة ".يقع الكتاب في 450 صفحة من القطع الكبير ويضم تسع عشرة قصة أختارها المؤلّف وترجمها ، مع دراسة معمقة عن تطور القصة في الأدب الأمريكي الحديث، تناول فيها أجيال كتاب القصة الأمريكية الحديثة، خاصة الجيل الضائع الذي عاش معظم أدبائه شطراً من حياتهم في باريس أو ترددوا عليها كثيراً بعد الحرب العالمية الأولى، مثل جون فتزجيرالد، وأرنست همنغواي؛ والجيل المتعب الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية، وعاش زعماؤه ردحاً من الزمن في طنجة أو ترددوا عليها كثيراً في الخمسينيات من القرن الماضي مثل وليم بوروز، وألان غينسبرغ، وجاك كيرواك، حتى نتج عن ذلك ما يسمى بـ " مشهد طنجة المتعَب "الذي يعدّ من أعلامه الكاتب محمد شكري والرسام محمد الحمري والقصاص الرسام محمد مرابط . وأولى القاسمي القصاصين الأمريكيين المعاصرين عناية خاصة في دراسته عن القصة الأمريكية الحديثة التي ضمّنها الكتاب .وقد تم اختيار القصص في ضوء معايير ثلاثة هي:

أولاً: أن تكون القصة لأحد مشاهير الأدباء الأمريكيين الذين تركوا بصمتهم على مسيرة الأدب الأمريكي، وأغنوه بتقنياتهم الفنية المبتكرة، وأثروا في أساليبه وموضوعاته وتوجُّهاته ، مثل إرنست همنغواي، وسكوت فيتزجيرالد، وجاك كيرواك، وشيرمان أليكسي، وغيرهم.

ثانياً: أن تمثّل القصة مدرسة سردية كبرى مثل المدرسة الواقعية، أو الواقعية القذرة، أو الانطباعية، أو الرمزية، أو ما بعد الحداثة ...إلخ .

ثالثاً: أن تتناول القصة مشكلة من مشكلات المجتمع الأميركي .

ومن أهم هذه المشكلات التي تجسَّدت في إبداع الأدباء الكبار:

أ ــ الحروب وويلاتها، وما أفرزته من مشكلات نفسية واجتماعية وصحية في المجتمع الأمريكي نفسه، كما تجلى ذلك في قصة تيم اوبراين " الأشياء التي كانوا يحملونها" التي حازت جوائز عالمية كبرى.

ب ــ معاناة المهاجرين الجدد، فهنالك أكثر من أحد عشر مليون مهاجر بلا أوراق رسمية في امريكا، ولهم مشكلاتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد تمثلت تلك المعاناة في قصة مالامود " المهاجر الألماني."

ج ــ الجريمة المنظمة والعنف الناتج من فلسفة القوة والهيمنة التي تغذيه أفلام هوليود، وسهولة الحصول على السلاح، وقد صوّر هذه المشكلة إرنست همنغواي في قصته "القتلة "وقصص أخرى

د ـ الحرية الجنسية والخيانة الزوجية والتفكك الأسري، وقد تناولها بصورة بديعة الكاتب الأمريكي الأسود إدوارد جونز في قصته " رجل غني."

ه ــ التمييز العنصري، والظلم الذي أصاب أهل البلاد الأصليين الهنود الحمر، وكذلك الأمريكان السود، وقد تناول ، الموضوع بصورة فلسفية مضحكة الكاتب الهندي الأحمر الشهير شيرمان ألكسي في قصته " ما ترهنينه أنتِ، أسترده أنا."

و ـ الأوبئة والأمراض المستعصية، كالسرطان، ونقص المناعة، وغيرها، وتناولت هذا الموضوع الكاتبة الكبيرة سوزان سونتاغ في قصتها " الطريقة التي نعيش عليها الآن."

ز ــ انتشار الأمراض النفسية في المجتمع، حتى قيل في أمريكا إن لكل طبيب نفسي طبيبه النفسي. وفي الكتاب نجد قصة الكاتب باري حنا الساخرة "عين الصواب" حول هذه القضية.

ح ـ عدم عدالة النظام الاقتصادي، والتفاوت الكبير بين الطبقات، وانتشار البطالة، وارتفاع أجور المدارس والجامعات، وانحصار الثروة في أيادي قلة قليلة من رجال الأعمال، كما في قصة "لقاء "للكاتب جون شيفر.

ط ــ الإدمان على المسكرات والمخدرات، وقد صور هذه المشكلة بصورة أخاذة جون فتزجيرالد في قصته الخالدة العودة إلى بابل"."

وكتب الناشر في ظهر الكتاب تعريفاً قال فيه: "بوصفه أحد أبرز الباحثين في الأدب الأمريكي ، أختار لنا الدكتور علي القاسمي، بحسّه الأدبي واللساني، باقة من أروع القصص الأمريكية التي أبدعها كبار الأدباء الأمريكيين منذ بداية القرن العشرين حتى يومنا هذا، ونقلها إلى العربية بلغته السلسة الجميلة، مع المحافظة ما أمكن على مميزات أسلوب كل كاتب وخصائص المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها، تكريماً لإولئك الأدباء الذين تركوا بصمتهم على الأدب الإنجليزي والآداب العالمية الأخرى.

و علي القاسمي و قاص وروائي ومترجم وناقد، سبق له أن ترجم بعض روائع الأدب الأمريكي الخالدة مثل كتابي همنغواي" الشيخ والبحر،و" الوليمة المتنقلة" اللذين نشرهما المركز الثقافي العربي وحظيا بإقبال كبير، تماماً مثل رواية القاسمي " مرافئ الحب السبعة " التي نشرها مركزنا كذلك ".

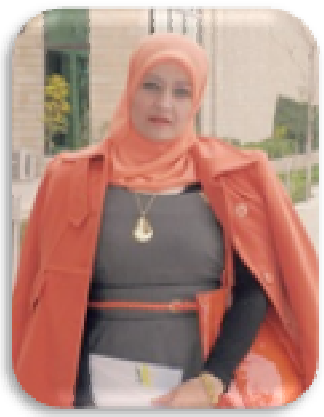

البروفيسور الجزائري شريف بموسى عبد القادر يصدر الجزء الثاني من سلسلته البيبليوغرافية:

الفهرس البيبليوغرافي للرواية المغربية (1942 - 2015)

عرض: د.سناء الشعلان/ الأردن

أصدر البرفيسور الجزائري شريف بموسى عبد القادر أستاذ الرواية المغربية والسّرديات من قسم اللغة العربيّة في جامعة تلمسان الجزائريّة الجزء الثاني من كتابه البيبليوغرافي " الفهرس البيبليوغرافي للرواية المغربية (1942 – 2015)" ،وذلك ضمن مشروع دار إي-كتب للنشر في لندن لإصدار أجزاء سلسلة بيبليوغرافيا الرواية المغاربية إلى غاية 2015 في طبعتيها الورقية والإلكترونية.

ويتصدّر هذا الجزء الثاني لإعطاء صورة أكثر واقعية وموضوعية عن التراكم الروائي المتزايد الّذي عرفه المغرب منذ بداية القرن العشرين وإلى غاية سنة 2015، ومدى تطوّر هذا الكم ابتداء من العقد الأخير من القرن العشرين والعقد الأول والثاني من الألفية الثالثة.

وينطلق هذا الكتاب من الهدف الضمني الذي ابتغاه له مؤلفه –بأجزائه الأخرى - هو خلق لُحمة بين الروائيين المغاربيين في القطر الواحد أو في الأقطار المغاربية الخمسة؛ وذلك بجعل هذا الكتاب وسيلتهم للاطلاع على ما قدّمه مواطنوهم الآخرون في القطر الواحد أو في الأقطار المغاربية الأخرى. فلا يصبح الروائي بمعزل عن إخوانه الروائيين الآخرين، وإنما يسمح له هذا الكتاب بالاطلاع على ما جادت به قريحة زملائه الآخرين.

وقد جاء ترتيب المتون الروائية في هذا الفهرس البيبليوغرافي ترتيباً تاريخياً، ابتداءً من أول سنة للنشر مصحوبة بعنوان الرواية، ثمّ مؤلّفها ثم دار النشر ومكان النشر وعدد صفحاتها.

بينما تضمّن القسم الثاني من الكتاب ثبتاً بأسماء الروائيين والروائيات المغاربة مرتّبين ترتيباً هجائياً مع ذكر جميع رواياتهم مرتبة بحسب سنة الصدور الأولى إلى غاية 2015، تسهيلا للدارسين والباحثين وطلبة الجامعات، للعودة إلى روائي معيّن حيث سيجدون جميع رواياته مرتّبة بتاريخ الصدور الأول دون مشقة.

يضمّ الكتاب خلاصات واستنتاجات غاية في الأهمية من حيث عدد الروايات المغربية إلى غاية سنة 2015، إضافة إلى استنتاجات بخصوص عدد الروائيين والروائيات المغاربة وأكثرهم انتاجاً، وعدد الروائيين ذوي الرواية الواحدة فقط، واستنتاجات أخرى على جانب كبير من الأهمية منها:

- يعتبر المغرب أكثر البلدان المغاربية إنتاجاً للسرد الروائي بمجموع إحدى وثمانين وتسعمائة (981) رواية بدءا من سنة 1942 إلى غاية سنة 2015.

- أربعمائة وسبعين (470) روائياً وروائية مغربيين إلى غاية سنة 2015.

- مائتان وأربعة وثمانون (284) روائيا وروائية ذوي الرواية الواحدة فقط؛ أي بنسبة 60.42 % من مجموع الروائيين المغاربة؛ بمعنى أنّ أكثر من نصف عدد الروائيين هم روائيون أصحاب رواية واحدة فقط إلى غاية سنة 2015.

- بالإضافة إلى استنتاجات أخرى على جانب كبير من الأهمية بخصوص عدد الروائيات المغربيات وعدد الروائيين المغاربة الذكور. كما أنّ هناك ترتيبا لأكثر الروائيين المغاربة إنتاجا إلى غاية سنة 2015 وعلى رأسهم الروائي المغربي محمد عزّ الدين التازي بأربعة وعشرين (24) رواية (من 1978 إلى 2015).

وهذا الكتاب بعد نشره مع الأجزاء الأخرى التي تكوّن الفهرس البيبليوغرافي للرواية المغاربية، سيصبح مرجعا أكاديميا هاما وأساسيا لجميع الباحثين والطلبة وأساتذة الجامعات، ليس في البلدان المغاربية وحسب وإنما في جميع البلدان العربية وغيرها من بلدان العالم، خصوصا لمن يريد البحث في الرواية المغاربية عامة والرواية المغربية على وجه الخصوص.

ولا ينسى مؤلف الكتاب في هذا المقام أن يوجه شكره الجزيل وتقديره العميق لجميع الروائيين والروائيات المغاربيين –وهم أكثر من 300 روائي وروائية - الذين اتّصل بهم سواء عن طريق الهاتف أو البريد الإلكتروني أو عبر مواقعهم الخاصة أو عن طريق مواقع التواصل، والذين استجابوا لتساؤلاته وسارعوا مشكورين بتزويده بالبيانات الدقيقة الخاصة برواياتهم المنشورة من حيث العنوان ودار النشر والسنة وعدد الصفحات، وذلك بالرغم من مسؤوليات بعضهم والتزاماتهم المهنية. وهذا يدل على مدى ما يتمتّعون به من حسّ حضاري راقي وتواضع معرفي يحسبان لهم. امتنانه لهم غير محدود.

ويُذكر إنّ البرفيسور عبد القادر شريف بموسى،له المؤلفات العلمية المتخصصة التالية: السنوات الدامية في حرب التحرير الجزائرية: مذكرات شاب مجاهد في جيش التحرير الوطني بتلمسان ونواحيها (1956- 1958) - بالي بلحسن –ترجمة وتقديم: أ.د. شريف بموسى عبد القادر ،و الفهرس البيبليوغرافي للرواية الجزائرية (1947-2015) ،و الفهرس البيبليوغرافي للرواية المغربية (1942-2015).

كما أنّه قد حاضر في جامعات وطنية وأجنبية،مثل جامعتي مدريد (إسبانيا) وإسطنبول (تركيا)،إلى جانب أنّه قد شارك في عدة ملتقيات دولية بسوريا والمغرب ودبي وإسبانيا. وله دراسات في الرواية العربية والمغاربية وكذلك التحليل النفسي للحكايات الشعبية وأدب الرحلة منشورة في عدد من المجلات العربية من بينها: مجلة نزوى(سلطنة عمان) ومجلة الفيصل (السعودية) ومجلة عمان الثقافية (الأردن) ومجلة طنجة الأدبية (المغرب) ومجلة الرافد (الشارقة/الإمارات) ومجلة فيلادلفيا (جامعة فيلادلفيا بعمان/الأردن) ومجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية (طرابلس/ لبنان) ومجلة فكر الثقافية (الرياض/السعودية) ومجلات جامعية جزائرية ومغربية.

هو خبير بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية لتقييم مشاريع البحث العلمي، وعضو هيئة التحرير لمجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية (طرابلس/لبنان) المحكمة، ومجلات دولية محكمة أخرى،فضلاً عن أنّه أستاذ السّرديات والراوية المغاربية.

اعتقال الزميل فيصل يوسف

يتابع مكتب الحريات العامة في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا بقلق نبأ إقدام أسايش الاتحاد الديمقراطي، في الساعة الواحدة والنصف من ليلة 1-4-2018 على مداهمة منزل الزميل عضو الاتحاد فيصل يوسف، عبرثلاث دوريات مسلحة، على طريقة الدوريات التي كان ولازال النظام السوري يقتحم بها بيوت مطلوبيه، غير مكترثين بحرمة المنزل، ولا بالأذى النفسي لمن فيه من حرمات، وبما يتنافى مع طبيعة مجتمعنا الكردي خاصة، والمجتمع السوري عامة، حيث تم اختطاف الزميل فيصل يوسف أمام زوجته المريضة وكل من في البيت، على خلفية آرائه، بالرغم من أنه يعتبر من المعتدلين العقلانيين في طرح رؤاهم، وهو من أوائل الكتاب والمثقفين الكرد الذين اتصلوا مع المعارضة السورية، وأقاموا معها علاقات طيبة في أصعب فترات الحصار على السوريين عامة والكرد خاصة، وكتب الكثير من المقالات خلال ما سمي ب"ربيع دمشق" مدافعاً فيها عن أبناء شعبه، بعكس كل معتقليه الذين لم يكن واقع ومستقبل حياة كرد سوريا بين أجنداتهم يوماً ما.

إننا في مكتب الحريات العامة في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين في سوريا إذ ندين اعتقال الزميل فيصل يوسف ونطالب بفك أسره، لاسيما وإنه قد أجرى قبل أشهر فقط عملية قلب مفتوح، وهو بحاجة إلى المعالجة من أكثر من مرض منذ ربع قرن، ونعد الاتحاد الديمقراطي مسؤولاً عن أي أذى يتعرض له، كما نطالب بإطلاق سراح معتقلي الرأي كافة في سجون الاتحاد الديمقراطي والكف عن الانتهاكات في مجالات الرأي والحريات العامة.

الحرية للزميل فيصل يوسف

الحرية لمعتقلي الرأي في سجون البلاد كافة

2018-4-3

مكتب الحريات العامة في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

الصفحة الأخيرة

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

مؤسسة ثقافية أدبية تضم الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

تسعى إلى إعلاء الكلمة الكردية وتطوير الأدب والثقافة الكرديين

كما تهدف إلى تطوير الإعلام الكردي

تأسست في 22 نيسان 2004

البريد العام للاتحاد

REWSENBIRINKURD1001@GMAIL.COM

شروط النشر في الجريدة

- أبواب الجريدة مفتوحة امام الجميع وهي ترحب بأي مساهمة أدبية أو فكرية.
- الجريدة ترحب بمساهمات أصدقاء الكرد من الكتاب والأدباء السوريين .
- ليست بالضرورة أن تعبر المواد والآراء المنشورة عن رأي وتوجهات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا.
- تخضع المواد المرسلة إلى تقييم من جانب هيئة التحرير في الجريدة.
- الجريدة تعتذر عن نشر المواد المرسلة في حال تم نشرها مسبقاً أو تم إرسالها الى أي جهة إعلامية أخرى.
- الجريدة ترفض نشر المواد الخارجة عن قواعد الآداب العامة.

الهيئة الاستشارية للجريدة

د. أمين سليمان سيدو

د. خضر سلفيج

أ. ديا جوان

أ. سعاد جكر خوين

أ. سيف الرحبي

أ. فرج بيرقدار

د. محمد راشد الحريري

د. محمد عزيز ظاظا

د. محمد علي الصويركي

د. مهدي كاكه يي

القسم الفني والكاريكاتير

عنايت ديكو

يحيى سلو

أكرم سيتي

الإخراج

خورشيد شوزي